الدراسات

استخدام أجهزة الحاسب الآلي في المكتبات
المبررات والعوائق

فالح عبدالله الغامدي

أستاذ مساعد – كلية التربية – قسم التربية – جامعة الملك فيصل

ملخص :

في هذه المقالة يعرض الباحث بعض مبررات استخدام الحاسبات الآلية في المكتبات ، ويذكر أهم المشكلات والعوائق التي تواجه المكتبات عند تطبيق النظم الآلية على أعمالها وخدماتها . وقد بدأها باستعراض المحاولات الأولية لتطبيق الميكنة على أعمال الفهرسة ، والآثار التي نتجت تباعاً لذلك . ثم ناقش دور الحاسب الآلي في إجراءات التزويد ، وخدمات القراء مثل المراجع ، والإحاطة الجارية ، والإعارة ، والبحث الآلي عن المعلومات ، واختتم المقالة بشرح بعض العوائق والمشكلات مثل النواحي السيكلوجية للموظفين والعاملين المتعلقة بشكوكهم وتخوفهم من إدخال التقنيات الحديثة إلى المكتبات على اعتبار أن ذلك سيؤثر على مستقبل وظائفهم ونوعية الأعمال التي سيؤدونها . إضافة إلى ذلك هناك العوائق المتعلقة بالموارد المالية ، والتقلب والتطور التقني الذي قد يؤدي إلى تقادم النظم الآلية وبرامجها بشكل سريع .

وأخيراً هناك المشكلات المتعلقة بالتقنيات والمعايير الخاصة بالنظم الآلية في المكتبة العربية .

تمهيد :

لم تكن المكتبات على مختلف أنواعها بعيدة عن التأثير الكبير الذي أحدثته التطورات المستمرة في علم التقنية خاصة ما يتعلق منها بهندسة وبرمجة الحاسبات الآلية . ومشوار المكتبات مع تنقية نظم خزن واسترجاع المعلومات يعود إلى بضعة عقود من السنين ، وعلى وجه التقريب في الخمسينات بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها ، ومن ثم بدأ العالم الغربي يتوغل في الصناعة والابتكار والتطور . فكانت النتيجة أن تزايد تشابك المعلومات وتداخلها ووقفت النظم التقليدية عاجزة عن مجاراة هذا الانفجار المعلوماتي مما حدا ببعض المكتبات إلى دراسة البدائل والحلول ، فكانت أجهزة الحاسب الآلي أحد الحلول المناسبة ، وأكثرها تجاوباً مع معطيات ما بعد الحرب حسب معايير وأوضاع ذلك العصر . ومن أجل التحكم المباشر الفعال في الخضم الهائل الذي أنتجه العقل البشري من فكر ومعلومات عمد البعض إلى الاستفادة من التقنيات المتوفرة ، مما أدى إلى نشوء نظم مكتبات آلية متكاملة قدر لبعضها البقاء والعطاء وتهادى البعض الآخر إلى الفشل والزوال إما لأسباب فنية أو مالية أو نقص في الخبرة والتجربة .

واستمرت المكتبات في تأثرها وانسجامها أحيانا وتنافرها أحيانا أخرى مع كل جديد في عالم التقنية ، فكان لظهور أشرطة الفهرسة المقروءة آليا (Machine - Readable Cataloging Tapes - MARC) من قبل مكتبة الكونجرس الأمريكية ، ومن ثم توزيع هذه الأشرطة على المكتبات ، دوراً كبيراً في بناء قواعد المعلومات الببليوغرافية ، مثل مركز المكتبة الآلي المباشر (On - Line Computer Library Center - OCIC) الذي أصبح اليوم بحق أكبر قاعدة معلومات ببليوجرافية على مستوى العالم . وأول تجارب المكتبات مع أجهزة الحاسب الآلي

يسجلها التاريخ في الخمسينات حيث كانت أجهزة الحاسب الآلي الكبيرة (Mainframes) محور العمل والتحكم، تلتها بعد ذلك في الستينات أجهزة أصغر حجماً (Mini Computers) تميزت بعملها المتداخل وتنفيذها لعدة عمليات في وقت واحد، وأخيراً ظهرت الأجهزة الصغيرة في السبعينات، ولاتزال في تطور مستمر حتى أصبح العقد الثامن من هذا القرن معلماً بارزاً لما وصلت إليه هذه الأجهزة من تطور وما أعد لها من لغات وبرامج، لتفي بالعديد من المتطلبات، والاستخدامات على مستوى الأفراد، والشركات، والمؤسسات، وما شاكلها.

إن الهدف الأساسي من وجود المكتبات في هذا العصر هو تسهيل عملية البحث عن المعلومات وإيجاد حلقة الوصل المناسبة في الوقت المناسب، وبالطريقة المناسبة بين القارئ والمعلومة. والناظر في تاريخ المكتبات يرى أنها لم تأل جهداً في اكتشاف واستخدام أنسب الطرق وأفضل البدائل من أجل تيسير أعمالها وتقديم خدماتها إسهاماً في دفع عجلة التقدم العلمي ورفع مستوى الثقافة والتعليم بين أبناء المجتمعات. والشيء الذي لا جدال فيه أن الميكنة الآلية للمكتبات ودخول الحاسب الآلي إلى حقول المعلومات في هذا القرن قد حور الكثير من أهداف المكتبات التقليدية، وأحدث تصوراً ومفهوماً جديدين في ساحة الخدمة والعمل. وإذا أمعنا النظر في التغييرات والتطورات التي حدثت في حقول المكتبات والمعلومات وجدناها وثيقة الارتباط بما أحرزه علم الحاسب الآلي من تقدم في تصاميمه وتعدد في استخداماته. والمكتبة كأي مؤسسة أو منظمة تسعى دائماً إلى كسب الأفضل لتقديم الأفضل. لهذا نجد الكثير من الأقسام في كبريات المكتبات قد وضعت لأجهزة الحاسب الآلي كينونة خاصة بين جدرانها وعبر قاعاتها وجنت من جراء ذلك فوائد جمة هي بعينها مبررات للمكتبات ومراكز المعلومات الأخرى التي تنوي تطبيق النظم الآلية على خدماتها ووظائفها. وهنا يمكن أن نرى أيا من هذه الخدمات والوظائف تأثرت بالتقنية الحديثة واستفادت كثيراً من معطيات النظم الآلية.

هدف الدراسة :

وفي هذه الدراسة سوف يستعرض الباحث بإيجاز بعض مبررات وعوائق استخدام أجهزة الحاسب الآلي في المكتبات، وهذه المبررات والعوائق ستظهر لنا عن طريق عرض أهم استخدامات التقنيات الحديثة في أعمال ووظائف المكتبات وما يواجه ذلك من مشكلات ومتطلبات وعوائق، معتمداً في شرح ذلك على الخبرات والتجارب السابقة وأفكار المتخصصين والباحثين في هذا المجال.

الخدمات الفنية

تعتبر أقسام المكتبات الفنية من أوائل الأقسام التي استفادت بشكل كبير من معطيات أجهزة الكمبيوتر بل إنها كانت من أوائل حقول التجارب الناجحة في آلية المكتبات، إلا أن تطبيق التكنولوجيات وعلى رأسها الحاسب الآلي على وظائف المكتبات كما تقول ماري وولف (Mary Wolf) بدأ بالعمليات اليدوية، مثل الإعارة، وتسجيل الدوريات، ثم لأداء العمليات غير التقليدية، وأخيراً بدأ استخدام أجهزة الحاسب الآلي لتقديم خدمات جديدة (١). في مجالات فنية منها :

الفهرسة :

ومن المشاريع المشهورة في ميكنة المكتبات ذلك المشروع الذي بدأته جمعية مكتبات أوهايو (Ohio Library Association) بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث أطلق عليه في بداية الأمر (Ohio College Library Center) مركز مكتبات كليات أوهايو، ثم تحول إلى (On - Line Computer Library Center) مركز المكتبة الآلي المباشر، وقد كان الهدف الأساسي من المشروع : أداء عملية الفهرسة ومخرجاتها من بطاقات وفهارس مركزيا، ومن ثم توزيعها على المكتبات الأعضاء بولاية أوهايو بهدف خفض التكاليف، والجهد، ولكن ظهور أشرطة مارك (MARC) للفهرسة المقروءة آلياً من قبل مكتبة الكونجرس الأمريكية كان دافعاً قوياً لإنشاء قاعدة معلومات بيبلوغرافية لهذه المكتبات. ومع مرور السنين تطورت خدمات وبرامج هذا المركز وأصبح بحق شبكة معلومات بيبلوغرافية عالمية، أفاد آلاف المكتبات على مختلف أنواعها في شتى أنحاء العالم، في نواحي التزويد التعاوني، والفهرسة، والإعارة الخارجية، والاشتراك في مصادر المعلومات البيبلوغرافية للفهرسة، والتصنيف، وتصميم وتطوير الأنظمة الآلية

للمكتبات . كما أدى هذا التطور إلى دعم وتعزيز فكرة التقنين الموحد للبيانات البيبلوغرافية للمواد تمهيداً لإنشاء قواعد بيبلوغرافية على مستوى الأقاليم والدول .

ونتيجة لدخول الحاسب الآلي إلى أقسام المكتبات الفنية فقد بدأت الفهارس البطاقية التقليدية تتلاشى من الوجود في كثير من المكتبات ، وبدأ يحل محلها الفهارس الآلية ، نظراً لما تتميز به من مرونة ، وطاقة تجعل في الإمكان التحكم في المعلومات والبيانات بسهولة ويسر ، مع إمكانية الحصول عن طريقها على الكثير من المخرجات في أشكال متباينة ولأغراض متعددة . كما أن بعض الدراسات والبحوث أوضحت أن أهم معطيات الحاسب الآلي في هذه الأقسام تكمن في تسهيل عملية البحث عن المواد والمعلومات بالإضافة إلى قلة التكلفة في انتاج وصيانة الفهارس ومستلزماتها إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك (٢) . ونرى أن التأثير الملحوظ الذي أحدثته أجهزة الحاسب الآلي في الأعمال الفنية للمكتبات يتمثل في اختصار الوقت المطلوب لفهرسة الكتاب وإعداده إعداداً فنيًا، وإعداد العديد من رؤوس الموضوعات والمداخل ، وإعداد الإحالات والتحكم فيها ، وربطها مع بعضها البعض ، وإعداد الملصقات لوضع أرقام التصنيف على كعوب الكتب ليصبح الكتاب أخيراً جاهزاً على الأرفف للاستعمال والإفادة .

هذه الإيجابيات يمكن أن تتضح لنا جلياً عندما تجري أعمال الفهرسة والتصنيف مركزياً لعدة مكتبات ، أو تقوم بها شبكات المكتبات ، أو المكتبات القومية الكبيرة مثل مكتبة الكونجرس ، فاستخدام الحاسب الآلي للدخول ضمن شبكات وقواعد بيبلوغرافية للمكتبات يؤدي إلى تقليل الحاجة إلى فهرسة أولية شاملة ، ودقيقة ، لأن شبكات وقواعد المعلومات تحوي نسخ فهرسة أصلية ، معدة من قبل لكثير من المواد ، وما على المكتبات الأعضاء إلا أن تضيف بعض الرؤوس ، والمداخل ، والشروحات إلى نسخة الفهرسة الأصلية التي حصلت عليها من هذه الشبكات والقواعد ، طبقاً لاحتياجاتها ، وظروفها الخاصة (٤) .

التزويد :

وفي مجال التزويد أثبت الحاسب الآلي فعاليته الكبيرة في التحكم في عملية الشراء ، والاختيار ، والمتابعة ، والاستلام ، والتخليص المالي ، لكل مشتريات المكتبات من كتب ، ودوريات ، وما شاكلها من أوعية المعلومات . وعن طريق نظم التزويد الآلي استطاعت المكتبات أن تتحقق من المعلومات البيبلوغرافية للمواد قبل البت في شرائها ، وكذا التحقق مما إذا كانت هذه المواد مطلوبة سابقاً أو تحت الإعداد ، بالإضافة إلى التحقق من الأسعار ، ومدى توفر المواد لدى الناشرين والموردين ، وإعداد نماذج طلبات التزويد ، وإعداد طلبات التأخير ، لترسل إما بالبريد أو ألكترونياً ، وصيانة وتجديد ملفات التزويد ، وإعداد القوائم ، والتقارير ، والإحصاءات ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، وأخيراً تسجيل وصول المواد المرسلة ، وإعداد نماذج الصرف المالية ، ولقيام أنظمة التزويد الآلية بهذه الأعمال يشترط وجود كل مقتنيات المكتبة في قاعدة بيبلوغرافية ، بالإضافة إلى الاتصال ألكترونياً بأكثر من قاعدة معلومات ، خاصة قواعد الموردين والناشرين . ولكي يصبح للمكتبة نظام تزويد كامل يشترط تداخل كل الخدمات الفينة والإدارية والعامة مع بعضها ضمن نظام آلي واحد . ولهذا يعتقد لانكاستر أن أول ما يتضاءل من أعمال المكتبات في هذا العصر الألكتروني هي عملية الاختيار والتزويد طالما أن المعلومات مخزونة ألكترونياً . ويضيف إلى ذلك بأن دور المسئول عن تطوير مقتنيات المكتبة سيكون مركزاً على عملية اختيار ما يمكن الحصول عليه لتلبية احتياجات معروفة ، وليس على الشراء والتزويد طبقا لتوقعات المستقبل (٥) .

تطوير المجموعات :

لا شك أن التطورات الكبيرة في مجال تقنية الحاسب الآلي قد أثرت كثيراً على مصادر إنتاج المعلومات من شركات ومؤسسات ودور نشر ، أو بادق التعابير على كل المرافق التي تقوم بعمليات اختزان واسترجاع المعلومات . وقسم تطوير مقتنيات المكتبات يعد من أقسام المكتبات الحديثة التي بدأت تتبنى الكثير من معطيات التكنولوجيا المعاصرة . هذا القسم الذي يعد هدفه الأساسي هو تحسين وضع مجموعات المكتبة وتسهيل عملية استخدامها بدأ يرسم اتجاهات جديدة لعمله متمشياً مع الجديد في عالم التقنية والميكنة . ومن أهم هذه الاتجاهات التركيز على الوصول إلى مصادر المعلومات أكثر منه على امتلاكها .

ومن أهم الوسائل التقنية التي شجعت المكتبات على التحوير والتطوير في أهداف خدماتها ومجموعاتها هي توفر الوسائل الكفيلة بربط المكتبات ومراكز المعلومات وما شاكلها مع بعضها البعض آلياً لغرض تبادل المعلومات والمقتنيات . وقد ساعدت هذه الوسائل الكثير من رواد المكتبات على الحصول على ما يحتاجون إليه من المعلومات من مصادرها الرئيسية باستخدام أجهزتهم الشخصية مثل الحاسبات الآلية الصغيرة دونما حاجة إلى الذهاب إلى المكتبات ومراكز المعلومات . كما أن الاتجاه نحو ما يسمى بالنشر عند الطلب (on - demand publishing) بدأ يوحي بإمكانية انخفاض معدل الاشتراكات في الدوريات التي تم

خزنها لدى الناشرين في شكل ألكتروني وهذا سيؤدي بالمكتبات إلى الاستعاضة عن نظام الاشتراكات المتعارف عليه بالاتفاق مع الناشرين والموردين من أجل الحصول منهم على المقالات كاملة في شكل ألكتروني من مصادرها الأساسية عندما يطلبها القارئ أو الباحث بدلاً من الحصول على كامل عدد المجلة أو الدورية التي تحوي المقال في شكل مطبوع(٦) .

خدمات القراء

ومن أبرز فوائد الحاسب الآلي أنه قدم لموظفي المكتبات ومراكز المعلومات الفرصة لتوفير الوقت والجهد من أجل التركيز على الخدمة العامة وتلبية احتياجات ورغبات القراء بدلاً من قضاء ذلك في الأعمال الروتينية التقليدية . ومن أهم هذه الخدمات :

خدمة المراجع :

لقد استفادت خدمات القراء ممثلة بأقسام المراجع كثيراً من طاقات وإمكانات أجهزة الحاسب الآلي . فاليوم نجد الكثير من قنوات مصادر المعلومات المرجعية ، تطبع ، وتوزع ، وتجمع ألكترونياً مثل الموسوعات ، والأدلة ، والكشافات ، والمستخلصات ، والقوائم ، والعديد من الدوريات العلمية . ويعد هذا الاتجاه الجديد مبرراً وجيهاً لزيادة استخدام التقنية العصرية في المكتبات ومراكز المعلومات للتحكم في عمليات اقتناء ، وخزن وتقديم شتى أنواع المعلومات .

والتطور الحديث في مجال الخدمة المرجعية يظهر لنا إمكانية إنشاء محطات مراجع آلية (Automatic Reference) تعتمد على وحدات التخزين في الكمبيوتر ، والأقراص الممغنطة (Magnatic disks) والأقراص البصرية والمصغرة (Optical - Disks) لخزن المصادر المرجعية الأساسية . وبالتالي جعل أقسام المراجع في المكتبات العصرية أصغر حجماً ، وأكثر خدمة ، وكفاءة نظراً لتوافر المعلومات ومصادرها في مكان واحد ، وسهولة الحصول عليها في ثوان معدودة عبر طرفيات الحاسب الآلي بدلاً من البحث عن ذلك بواسطة الأدوات المرجعية المطبوعة، مثل الكشافات ، والمستخلصات ، والأدلة ، التي تتطلب السير عبر القاعات والأرفف بحثاً عن معلومة أو جواب لسؤال مرجعي .

ومن العوامل الرئيسية التي أدت إلى التغيير الجذري في عمليات خدمات القراء بالمكتبات ، خاصة المكتبات الجامعية : نوعية القراء الذين تخدمهم المكتبة ، واختلاف مستوياتهم التعليمية ، ورغباتهم ، واحتياجاتهم للمعلومات ، ووجود قواعد المعلومات الببليوغرافية المباشرة بنوعيات متباينة واختلاف وتطور أنماط وأشكال نشر المعلومات وتوزيعها ، وأخيراً ظهور أجهزة الحاسب الآلي وبرامجه ولغاته العديدة التي أصبح لها القدرة الفائقة على معالجة الأرقام وتحليل شتى أنواع البيانات بفعالية تامة .

ومن أهم الفوائد التي قدمها الحاسب الآلي في ميادين خدمات القراء هي سهولة التعرف على محتويات المكتبة في أسرع وقت وبأقل جهد حيث يضع الفهرس الآلي أمام القراء والباحثين جميع محتويات المكتبة ، خاصة إذا كانت الوظائف الأخرى كالفهرسة ، والإعارة ، والتزويد ، والتجليد يتحكم فيها نظام كمبيوتر واحد . فمن خلال هذا النظام وعن طريق طرفياته الموزعة في كل أنحاء المكتبة ، أو فروعها ، أو حتى في المنازل ، والمكاتب يستطيع الباحث ، أو المستعلم الاطلاع على ما يحتاج إليه من كتب ومعلومات ، ومعرفة وضع وحالة مجموعات المكتبات دون تحمل مشقة التردد على مواقعها ، أو البحث في الفهارس البطاقية التقليدية ، والكشافات المطبوعة . وإذا وضعنا الفهرس الآلي جنباً إلى جنب مع نظيره الفهرس البطاقي وجدنا أن الأول يفوق الآخر بمميزات عديدة أهمها :

١ - إمكانية تحديد ومعرفة حالة مجموعات المكتبة حول ما إذا كانت المادة المطلوبة ضمن محتوياتها ، أو قيد التزويد ، أو محجوزة ، أو معارة لقارئ آخر ، أو تحت الإعداد ، أو مفقودة ، أو أنها تحت الصيانة والترميم .

٢ - إمكانية استخدام الكلمات المختصرة أو المبتورة (Truncated Words) ، وطريقة (بولين) Bullen للبحث عن مواد تعالج موضوعاً ما ، بالإضافة إلى استخدام اسم المؤلف ، والعنوان ، وأرقام التصنيف ، وما شابه ذلك من مداخل ، كل ذلك ببساطة دون عناء البحث أو التنقل من مكان إلى آخر كما هو الحال مع الفهرس البطاقي .

٣ - سهولة تجديد وترتيب محتويات الفهرس من حين إلى آخر والحصول على القوائم والفهارس بسرعة وبتكلفة أقل .

الإحاطة الجارية :

نجح استخدام الحاسب الآلي في عمليات خدمات الإحاطة الجارية منذ وقت ليس بالقريب . واستخدام أجهزة الحاسب الآلي في تقديم هذه الخدمة يعود إلى أواخر الخمسينات عندما اقترح لن (LUHN) من شركة (I B M) استخدام الحاسب الآلي لمطابقة الباحثين عن المعلومات مع الوثائق التي تناقش تخصصاتهم ، وكذلك توصيل هؤلاء الباحثين مع بعضهم بعضاً ألكترونياً بغرض تبادل الخبرات والآراء ، ومؤدى هذه الخدمة أن يقوم الباحث على سبيل المثال بتحديد مجالات تخصصه التي يرغب الحصول على معلومات متجددة فيها ، ومن ثم تقديم ذلك إلى إخصائي المعلومات في

المكتبة ، أو مركز المعلومات ليقوم بخزن هذه السمات أو الرغبات في ذكراة الحاسب الآلي . ويتولى الحاسب الآلي بعد ذلك عملية مقارنة هذه السمات ومطابقتها في فترات متباينة مع كل ما يجد أو يضاف إلى قاعدة المعلومات المكتبية . ونتيجة هذه العملية هي مخرجات الحاسب الآلي المطبوعة من قوائم وبيانات حيث ترسل يدوياً أو ألكترونياً عبر طرفيات إلى الباحثين الذين أنشئت هذه الخدمة من أجلهم .

البحث عن المعلومات آلياً :

وبالإضافة إلى ما سبق فقد أدى استخدام الحاسب الآلي إلى تطوير عمليات البحث عن المعلومات ، والمواد وذلك باستخدام رؤوس ومداخل جديدة ، يمكن بواسطتها البحث عبر المتون والنصوص عن النظريات والمفاهيم والمصطلحات والقوانين ، والأفكار ، وبهذه العملية تزال حواجز استرجاع المعلومات التي أقامتها الطرق البحثية التقليدية المحدودة . كما أن الكشافات الآلية ، والمصادر الألكترونية وفرت على موظفي المكتبات الكثير من الوقت والجهد الذي تعودوا على قضائه في البحث عن المعلومات عن طريق أوعية المعلومات المطبوعة . وبالنسبة للباحث فقد قدمت هذه الإمكانية فرصة تجميع المقالات والبحوث التي تهم تخصصه من مئات آلاف المقالات المنشورة في العديد من الدوريات ، وهو بهذا يكون دورية خاصة به محصورة في تخصصه ومطابقة لهواياته واهتماماته (٨) .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى إمكانية تصفح محتويات الدوريات ألكترونيا عبر طرفيات الحاسب الآلي حال نشرها آليا دونما تأخير أو انقطاع كما هو معهود مع نظام الاشتراكات التقليدي للدوريات . كما أن انتشار الأقراص المصغرة (Compact Disks) أحدث ثورة في عمليات خزن واسترجاع المعلومات مستقبلاً (٩) ، إضافة إلى أن متون بعض الدوريات والكتب أصبحت مخزونة على هذه الأقراص ومن أمثلتها قرص واحد يحوي (١٠٧) كتب بمتونها الكاملة عن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، مضافاً إلى ذلك ما يزيد عن ١٠٠٠ صورة ، ورسم بياني ، وخريطة ولقطه فوتوغرافية (١٠) .

خدمة الإعارة :

كما استفادت أقسام الإعارة من الحاسب الآلي في مجالين هما : خدمة القراء من جهة ، وخدمة موظفي الإعارة من جهة أخرى . فقد أثبت فعاليته في التحكم المباشر في جميع إجراءات الإعارة الداخلية والخارجية . ففي كثير من المكتبات يمكن لكل من موظفي المكتبة ، والرواد ، الاطلاع عبر طرفيات الحاسب الآلي في المكتبة على المواد المخصصة للإعارة ، أو المواد التي لا تعار ، أو المواد المحجوزة ، وكذلك التعرف على ما إذا كانت الكتب تحت الطلب ، أو تحت الإعداد ، أو تحت الترميم .

وبالنسبة لموظفي الإعارة فقد ساعد الحاسب الآلي على تتبع تحرك مادة المكتبة من مستعير إلى مستعير ، أو من قسم إلى آخر ، ورصد كل ما يترتب على ذلك من تأخير ، أو إتلاف ، بالإضافة إلى إمكانية استخدامه في حساب المتأخرات ، والغرامات ، وطباعة الإنذارات ، والإحصاءات ، والتقارير حول نوعية وكمية المواد المستعارة ، ونوعية ومستويات المستعيرين .

وهنا يمكن أن نوجز الفوائد التي يمكن الحصول عليها نتيجة لاستخدام النظم الآلية في المكتبات :

١ - إمكانية البحث عن المعلومات على مختلف صورها بعدة طرق واستراتيجيات في الوقت نفسه وبسرعة وكفاءة عاليتين .

٢ - سهولة التجديد والإضافة في محتويات قواعد المعلومات ، وتحويل الملفات آلياً من مكتبة ، أو من مركز إلى آخر .

٣ - إمكانية الحصول على العديد من المخرجات ، والخدمات ، بمجرد إجراء عملية آلية واحدة ، كما هو الحال مع الأشرطة الممغنطة ، حيث يمكن استخدامها لأغراض التزويد ، أو تقويم المجموعات ، أو تقديم خدمات البث الانتقائي للمعلومات ، وخدمات الإحاطة الجارية ، أو إعداد البيبلوغرافيات المتخصصة ، وما شابه ذلك من أعمال .

٤ - سهولة الحصول على معلومات وحقائق وبيانات في فترات دورية عن سير أعمال المكتبة ، أو المركز ، وأوقات الاكتظاظ بالمكتبة ، وأكثر حقول المعرفة طلبا وبحثا ، وأنواع الرواد ومستوياتهم ورغباتهم . وهذه المعلومات لها أهمية خاصة عند تقويم ، أو تطوير نظم وبرامج ، وخدمات المكتبات .

٥ - إمكانية البحث عن المعلومات آلياً سواء كانت مرجعية ، أو بيبلوغرافية عن طريق عدد من الرؤوس والمداخل إما مجتمعة (Compined) ، أو كاملة (Full) أو مختصرة (Truncated) ، بالإضافة إلى مداخل البحث الرئيسية المعروفة ، مثل العنوان ، والمؤلف ، والموضوع ، وأرقام التصنيف .

٦ - مساعدة موظفي المكتبات الفنيين لإنشاء ، وتقديم خدمات ، وبرامج جديدة بدلاً من قضاء أوقاتهم في الأعمال اليدوية التقليدية ، مثل إعداد البطاقات وترتيبها في الفهارس ، والبحث في الأدوات المرجعية المطبوعة ، وتنفيذ إجراءات الإعارة يدوياً ، وإعداد الإحالات والمداخل والكشافات والقوائم ، وما شابه ذلك .

العوائق :

لا شك أن استخدام أجهزة الكمبيوتر قد أدى إلى تحسين ورفع كفاءة كثير من الأعمال التقليدية في المكتبات ومراكز المعلومات ولكن مع كل ذلك فلا يزال هناك الكثير من العوائق والمشكلات التي قد تقف حائلاً دون الاستفادة المثلى من معطيات الحاسبات الآلية في العصر الحديث، ويأتي في مقدمة هذه العوائق النواحي السيكولوجية ، والمالية ، والتكنولوجية ، والتقنية .

العائق السيكولوجي :

لقد أثبتت الدراسات والتجارب أن إدخال أي تغيير إلى حقول المكتبات ، خاصة نظم الحاسب الآلي ، يقابل بالتردد والرفض من قبل الموظفين والعاملين ، إما خوفاً من الفشل نتيجة لعدم الخبرة والممارسة ، أو خوفاً على مستقبل وظائفهم وأعمالهم ، بدعوى أن ميكنة المكتبات تتطلب طاقما جديدا من المؤهلين والمدربين ممن لهم الخبرة والدراية بالنظم الآلية وطرق عملها واستخدامها (١١) . ولكن هذا الاتجاه السلبي قد تغير كثيراً في وقتنا الحاضر نتيجة لكثرة تعدد الدورات ، والمؤتمرات ، والاجتماعات ، والندوات التي أكسبت موظفي المكتبات التقليديين المعرفة اللازمة لمجابهة المتطلبات العصرية من معلومات وخدمات ، وأيضاً نتيجة للوعي الذي اكتسبوه حول جدوى وأهمية استخدام أجهزة الحاسب في ضبط وتنفيذ أعمال المكتبات . إلا أن أهم العوائق السيكولوجية التي كثيراً ما تصدر من بعض المسئولين ، هي تجنب اطلاع بعضهم البعض بأمانة وصدق عن الخبرات السابقة أو الحالية ، وما تخللها من مشكلات وعوائق . زيادة على ذلك نجد أن ما ينشر من بحوث ومقالات يكاد يخلو من ذكر أخطاء وسلبيات الأنظمة الآلية المستخدمة في المكتبات ومراكز المعلومات ، وقد يعود عدم ذكر ذلك إما لأسباب شخصية تفاديا للاعتراف بالفشل والإحباط ، أو من أجل الحفاظ على سمعة المؤسسة التعليمية التي تخدمها هذه المكتبات والمراكز (١٢) . يضاف إلى ذلك تورط بعض المكتبات في إنشاء وتطوير أنظمتها دونما تعاون أو تنسيق مع المكتبات الأخرى التي سبق لها أن مرت بالتجربة نفسها ، وفي هذا مدعاة لتكرار الجهد وتبديد الموارد بدون مبرر . وأهمية العامل السيكولوجي هنا كعائق تكمن في عدم إشراك الموظفين في عمليات تخطيط وإنشاء نظم المكتبات الآلية الأمر الذي يجعلهم أقل ولاء ومسئولية ، ومن هنا يبدأ الفشل الحقيقي لهذه النظم .

العائق المادي :

إن العصب الأساسي المحرك لأنشطة وخدمات المكتبات هي الموارد المالية وبدونها يتعذر التطوير والتحسين ، هذا إذا لم تصل إلى حد التراجع في الالتزامات وإلغاء بعض الخدمات والوظائف . وإنشاء أي نظام آلي للمكتبات يحتاج إلى موارد مالية كبيرة لوضع خدمات البرنامج الآلي موضع التنفيذ .

فالمال ضروري لتغطية نفقات الموظفين ، والمحللين ، والمبرمجين ، والأجهزة والطرفيات ، والبرامج ، وخدمات ووسائل الاتصال ، والدورات التدريبية ، والاتصال المباشر بشبكات وقواعد المعلومات وعضوية الاشتراك بها ، وصيانة وتقييم أعمالها وخدماتها من فترة إلى أخرى .

التقلب التقني :

ومن الاتجاهات الشائعة التي قلما تحظى بالانتباه الكافي هي الحملات الدعائية التي تقدمها شركات أنظمة الحاسب الآلية في سوق المنافسة حول قدرات وطاقات أجهزتهم مما يغري الكثيرين بشرائها دونما دراسة مكثفة ودقيقة لهذه الأنظمة ومدى مطابقتها مع احتياجات وأعمال كل مكتبة أو مركز على حدة . ولهذا فإن النتيجة الطبيعية لأي تسرع في الاختيار هو الفشل المبكر ، وهناك مشكلة أخرى تتمثل في عدم النظر بروية وموضوعية إلى مستقبل الشركات المنتجة للنظم الآلية وما لديها من إمكانيات واستعدادات مستقبلية لتطوير وتطويع أنظمتها وبرامجها. فعزوف بعض مبتكري ووكلاء أنظمة المكتبات الآلية عن تطوير أنظمتهم أو توقفهم التام يجبر المكتبات ومراكز المعلومات التي سبق لها أن اختارت هذه الأنظمة على التغيير والتحويل إلى أنظمة أخرى . وهذا بالطبع يتطلب مبالغ مالية باهظة وجهود كبيرة ويؤدي إلى عرقلة الأعمال والخدمات . والتطور التقني السريع في أجهزة الحاسب الآلي من جهة وفي برامجه من جهة أخرى أدى إلى مشكلات في الضبط البيبلوغرافي خاصة عند استعمال الأقراص المصغرة (Compact Disks) فاختلاف المعلومات على سبيل المثال في هذه القنوات التقنية من إصدارة إلى أخرى ، وتطور واختلاف المعايير والمواصفات لخزن واسترجاع المعلومات ما هو إلا واحد من المشكلات التي يضعها التقلب والتطور التقني أمام الضبط البيبلوغرافي . إضافة إلى ذلك فإن طبيعة بعض أعمال المكتبات وفي مقدمتها الدوريات تضع تحديا صعباً أمام مطوري أنظمة الدوريات الآلية على سبيل المثال ولهذا نجد أن الدوريات في كثير من خطط ميكنة المكتبات هي العملية الأخيرة التي تطبق عليها آلية النظام (١٣) .

التقنين :

إن الاتفاق الشامل على المواصفات ، والقوانين ، والمعايير الخاصة بعمليات الضبط والتحكم الفعال في الإنتاج الفكري العربي والكفيلة بتسهيل طرق خزنه واسترجاعه والاستفادة منه يعد مسألة مهمة للمكتبات ومراكز المعلومات العربية . فاختلاف خطط التصنيف المستخدمة في المكتبات العربية وما بهذه الخطط من قصور وضيق في التغطية للإنتاج الفكري في علوم اللغة العربية والدين الإسلامي ، والافتقار إلى القوائم ، والفهارس الموحدة، والكشافات ، والمستخلصات الشاملة ، والمعايير الخاصة بعمليات النقل الألكتروني للمعلومات من جهاز إلى آخر ، واختلاف المواصفات والمقاييس التي بنيت على أساسها أجهزة الحاسب وبرامجه الخاصة بالاهتمامات العربية ، يؤثر سلبياً على فعالية عمل وأداء النظم الآلية في المكتبات ومراكز المعلومات ، خاصة عند استعمالها للدخول في شبكات آلية تعاونية لغرض تبادل المعلومات والاشتراك في المصادر والمقتنيات . فبناء قاعدة بيبلوغرافية على سبيل المثال يحتاج إلى قوانين بيبلوغرافية موحدة لضمان الوحدة في الشكل والبيانات الأساسية ، وإلى الأيدي الفنية الخبيرة لإعداد هذه القاعدة التي تعد الأساس الأول لبناء وعمل أي نظام آلي للمعلومات . وهذا مطلب يصعب تحقيقه إلا إذا توافرت المادة اللازمة وتكاتفت الجهود على مستوى الأفراد والمؤسسات .

التوصيات :

(١) إن إدخال الأنظمة الآلية في المكتبات يحتاج إلى مستوى عال من التنسيق والتعاون ، وإلى الموارد المالية الكافية والكفاءات المؤهلة والمتمكنة . ومن أهم متطلبات هذا العصر الجديد وجود الكفاءات البشرية المؤهلة المتمرسة في استخدامات النظم الآلية ، ومعرفة كيفية التقريب بين القارئ والمعلومات . ومن أهم الأعمال التي يجب أن يكون هذا الجهاز الوظيفي المختص ملما بها وعلى ثقة من تاديتها على الوجه المطلوب ما يلي :

أ - القدرة على تحديد رغبات القراء والباحثين بدقة ومعرفة طرق ومصادر المعلومات المناسبة لتلبية هذه الرغبات والاحتياجات .

ب - القدرة على تنفيذ استراتيجيات استرجاع المعلومات البحثية عبر شبكات وقواعد المعلومات المختلفة ، بالإضافة إلى القدرة على ملفات رغبات القراء ضمن برامج البث الانتقائي للمعلومات ، وخدمات الإحاطة الجارية ، وما يتبع ذلك من إجراءات وخدمات .

ج - الخبرة والقدرة على اختيار وتقويم قواعد المعلومات المتوافرة في العالم لتحديد أي منها يناسب أهداف المكتبة ورغبات روادها ، وكذلك تقويم الموردين ومؤمني مصادر المعلومات ، وكيفية الحصول منهم على المعلومات المناسبة .

د - معرفة أكثر من لغة ، بالإضافة إلى المعرفة الجيدة بأساليب ومصطلحات التكشيف البحثية في شبكات وقواعد ومراكز المعلومات .

هـ - الخبرة الكافية بالنظم الآلية وكيفية عملها واستخدامها لأغراض المكتبات ومراكز المعلومات وللحصول على هذه النوعية من الموظفين يترتب على أقسام تدريس علم المكتبات والمعلومات تطوير المناهج بما يتلاءم مع المتطلبات العصرية ، وعلى المكتبات ومراكز المعلومات إعداد وتقديم البرامج والدورات التدريبية بين حين وآخر لإكساب موظفيها الخبرات والمهارات اللازمة .

(٢) تبادل الخبرات والتجارب واطلاع البعض على سلبيات ومشكلات كل نظام تفادياً لتبديد الجهد وتكرار التجارب لأن في ذلك مضيعة للوقت وهدر للموارد المالية . كما يجب على المكتبات الكبيرة التنازل عن فكرة الاكتفاء الذاتي لأن ذلك يتنافى مع مبدأ التعاون والتنسيق .

(٣) استخدام أجهزة الحاسب الآلي التجارية المتوافرة بأنواع وقدرات متفاوتة بدلاً من إنشاء أنظمة داخلية لأن ذلك يكلف المكتبات الكثير ، خاصة فيما يتعلق بالبرمجة ، إضافة إلى الوقت الطويل المطلوب لتجريب واختبار هذه الأنظمة ، وإجراء ما يترتب على ذلك من تعديلات وتحسينات . ويفضل التنسيق مع المكتبات ومراكز المعلومات التي أصبح لديها نظم آلية مجربة وعاملة لأخذ نسخ من برامجها لاستخدامها في المكتبات والمراكز التي تنوي تطبيق النظم الآلية في أعمالها بدلاً من تحمل نفقات إنشاء نظام متكامل من البداية .

(٤) إنشاء قواعد بيبلوغرافية داخلية باستخدام أجهزة الحاسب الآلي الصغيرة نظراً لكفاءتها ورخص أسعارها وتعدد استخداماتها . فقد ثبت أن لهذه الأجهزة دوراً كبيراً في ضبط عمليات التزويد والفهرسة ، وإعداد الفهارس ، وطباعة البطاقات ، والجرد ، والإعارة ، وتنظيم الدوريات ، والمراجع ، وإعداد الكشافات ، والبيبلوغرافيات ، وتنفيذ العمليات الإدارية والمالية من خطابات وتقارير ونشرات وإحصاءات وما شابه ذلك (١٤) .

(٥) الاستفادة القصوى من خبرات وتجارب المنظمات والمؤسسات ومراكز المعلومات والجامعات العربية في مجال النظم الآلية . كما يجب التركيز على مبدأ التعاون والتنسيق تفاديا لتكرار التجارب وتبديد الجهود ، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تشكيل لجنة من المتخصصين في مجال تكنولوجيا المكتبة مهمتها متابعة التطورات الجديدة في هذا الحقل ، وإعداد الدراسات حول النظم الجديدة التي يمكن تطبيقها على المكتبات داخل كل قطر من الأقطار العربية ، وتقويم النظم الراهنة ، واقتراح التعديلات المناسبة ، وتكثيف الاتصال بين المكتبات ومراكز المعلومات ، والإشراف على عقد الندوات والاجتماعات واللقاءات لمناقشة كل ما يتعلق بميكنة المكتبات ومراكز المعلومات .

خاتمة

من هذا العرض السريع لاستخدام الحاسبات الآلية في المكتبات يتضح لنا أن أجهزة الحاسب ونظم المعلومات الآلية قد أخذت مركزاً حيوياً ، وأصبحت شيئاً حتمياً في كيان الكثير من المكتبات ، وأحدثت تأثيراً على أعمال وبرامج وخدمات المكتبات من جهة ، وعلى الموظفين وجمهور القراء والباحثين من جهة أخرى . فقد أثبتت فعاليتها في التقليل والحد من الأعمال اليدوية الروتينية ، وإثراء مصادر المعلومات ، وتنويع طرق الوصول والحصول عليها ، لتوفير وقت وجهد الموظفين من أجل أداء أعمال إضافية أو برامج وخدمات جديدة ، وأخيراً تحسين وتطوير الخدمات العامة لمستخدمي المكتبات ومراكز المعلومات .

كما أن توفير أجهزة الحاسب بأسعار مناسبة ، واستمرارية التطوير في برامجها ، ووجود قواعد المعلومات العامة والمتخصصة والشبكات التعاونية ، وتوافر برامج ووسائل الاتصال الآلي ، كل ذلك يجعل منها ومن التقنيات الحديثة الأخرى هدفاً هاماً في خطط واستراتيجيات المكتبات ومراكز المعلومات ، ومبررا وجيهاً للاستمرار في ميكنة المكتبات . ولكن مع كل هذا يجب ألا نتوقع أن الحاسبات الآلية ستحل لنا كل مشكلاتنا بدون تعاون ، وتنسيق ، وعمل جاد ، واستعداد كامل ، وتخطيط سليم .

المراجع

١ - أبوبكر محمد الهوش ، تكنولوجيا المعلومات ومكتبة المستقبل) ، المجلة العربية للمعلومات ، مج١٠ ، ع ٢ ، ١٩٨٩م .

2) Wilfrid F. Lancaster, **Information Retrieval Systems: Characteristics, Testing, and Evolution**, 2nd Ed., New York : John Wiley and Sons., 1979, p . 100 .

3) Reneeth Furuta, " The Impact of Automation onProfessional Catalogers", **Information Technology and Libraries**, v. 9, No. 3, (september, 1990), P. 242.

4) George Jaramillo, " Computer Technology and Its Impact on Collection Development" , **Collection Management**, 10, No. 1,2, 1988, p. 3.

5) Wifrid Lancaster , **Libraries and Librarians in an Age of Electronics**, Virginia : Information Resources Press, 1982, p. 167 .

6) George Jaramillo, -. 5 .

7) Wilfrid F. Lancaster, **Information Retrieval Systems** : ..., p . 64 .

8) Roger Summit and Ann Lee, " Will Full - text Online Files Become ' Electronic Periodicals ' ", **Serials Review**, 14, No. 3, 1988, p. 8 .

9) William - Saffady, " CD - ROM : A Survey of Technology,Procucts, and Applications", **Library Computer Systems and Equipment Review**, V 12, No. 2, (July - December, 1990), p. 21 .

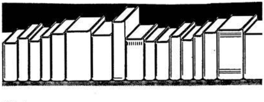
10) Martin Resselman, " CD- ROM / On Line Up - date, ", **Wilson Library Bulletin**, January, 1991, p. 86.

11) Falih A. Alghamidi, " Planning for an Automated Cooperative Library Network of University Libraries in Saudi Arabia, and Exploratory Study " , Ph.D . Dissertation, School of Library and Information Studies, The Florida State University, Tallahassee, F1., 1988, p. 86.

21) Miriam A. Drake, " Impact of Online Systems on Library Functions", **The Online Revolution in Libraries**, edited by Allen Kent and Thomas Galvin, Marcel Dekker, Inc., 1978, p. 106 .

13) Rain Miller - Mcirvine, "Challanges for Serials Automation" , **Library Resources and Technical Services**, 33, No. 2, (April, 1989),

(١٤) محمد أمان ، برامج الحاسبات المصغرة (الميكروية) المستخدمة في المكتبات ومراكز المعلومات ، المجلة العربية للمعلومات ، مج٥ ، ع٢ ، ١٩٨٤م ، ص ٩ .



استخدام أساتذة الجامعة لمصادر المعلومات

نظرة على الإنتاج الفكري في المجال

سالم محمد السالم

أستاذ مساعد بقسم المكتبات والمعلومات

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تمهيد

يمثل أساتذة الجامعة شريحة من المستفيدين من خدمات المكتبات ومصادر المعلومات على اختلاف أنواعها .ويقصد بأساتذة الجامعة في هذه الدراسة أعضاء هيئة التدريس Faculty Members المتفرغين للعمل الأكاديمي والمصنفين على درجة أستاذ مساعد فما فوق . فلكي ينجز هؤلاء الأساتذة مهمهم الوظيفية كالتدريس والبحث والإشراف على البحوث العلمية وإرشاد الطلبة وتقديم المشورة لمؤسسات المجتمع وإعداد البرامج التدريبية فإنهم بحاجة دوماً للرجوع إلى مصادر المعرفة التي يستندون إليها في إنجاز وظائفهم الأكاديمية . فالجو الجامعي والتحدي الأكاديمي يحفزان الأستاذ على البحث عن المعلومة في الكتب والدوريات والكشافات والمستخلصات والتقارير والأفلام السمعية والبصرية ونحوها من أوعية المعلومات التي تعد بمثابة ركيزة أساسية للإنتاج العلمي .

والواقع أن التعرف على السبل التي يسلكها أساتذة الجامعة للحصول على المعلومات يعد ذو أهمية قصوى للمنتسبين لمهنة المكتبات والمعلومات . فالمكتبي الناجح يحرص دوماً على فهم طبيعة الأفراد المستفيدين من خدمات المكتبة . كما أن إخصائي المعلومات الناجح هو الذي يهمه معرفة كيف ولماذا يبحث الأفراد عن المعلومات . فمثل هذه المعرفة تعطي كلا من المكتبي وإخصائي المعلومات الفرصة لتقديم خدمات أفضل للمستفيدين . ويؤكد قرير (١) Greer في هذا الصدد أن المكتبيين لن يتمكنوا من تلبية احتياجات المعلومات للمستفيدين إلا إذا توافر لديهم إلمام جيد بالظروف التي يعيشها المستفيد والبيئة المحيطة به ففهم خصائص الأفراد الذين يتلقون الخدمات وسماتهم الأساسية قبل الشروع في إعداد خدمة جديدة أو تطوير خدمة قائمة يعد مطلباً أساسياً . ويعتقد ألن (٢) Allen أن التعرف على سلوك الأفراد في البحث عن المعلومات يمكن أن يساعد في تحليل الاحتياجات الفعلية للمستفيدين وتقويم الاحتياجات المتوقعة لهم .

وثمة أهمية أخرى للتعرف على سبل استخدام أساتذة الجامعة لمصادر المعلومات وهي أن مثل هذه المعرفة يمكن أن تكشف لنا عن السلوك الاتصالي Communication behavior لأساتذة الجامعة وطريقتهم في تبادل المعلومات والوسائل التي يفضلونها لملاحقة الإنتاج الفكري في مجال تخصصهم . هذا بالإضافة إلى الكشف عن العوامل التي تؤثر في عملية البحث عن المعلومات وتفضيل مصدر معين على مصدر آخر كالسن والجنس والدخل الاقتصادي والدرجة العلمية المصنف عليها الأستاذ (أستاذ مساعد ، أستاذ مشارك ، أستاذ) وطبيعة الجهة التي ينتمي إليها وعدد اللغات التي يجيدها وخبرته في البحث العلمي ومدى إحاطته بمصادر المعلومات المتوافرة في محيطه الداخلي والخارجي ونحو ذلك من الماغيرات التي تفسر لنا اختلاف الأفراد في استخدام مصادر المعلومات . ومن المعلوم أن التعرف على سمات وخصائص المستفيدين يعد خطوة جوهرية في عملية التخطيط لخدمة المعلومات ، ويمكن أن يسهم في صنع القرارات المتعلقة ببناء المجموعات . فمعرفتنا على سبيل المثال بأوعية المعلومات التي يستخدمها الأساتذة بصورة مستمرة ، وبالدوريات التي يكثر الرجوع إليها قد تساعدنا في تحديد أوعية المعلومات التي يجب التركيز عليها في عملية التزويد ، وفي تحديد الدوريات التي يمكن الاستغناء عنها أو استبدالها بدوريات أخرى .

ويهدف الباحث في هذه الدراسة إلى التعرف على أنماط استخدام أساتذة الجامعة لمصادر المعلومات ، وذلك من واقع الدراسات التي أجريت في هذا المجال . فبعد استعراض نماذج لأهم هذه الدراسات وتقويمها وبيان النقاط الأساسية المشتركة بينها ، سيقوم الباحث بمناقشة انعكاس نتائج الدراسات في المجال على المكتبيين وإخصائي المعلومات ، ومن ثم إبداء بعض الملاحظات والمقترحات التي قد تفيد المكتبي في جعل المكتبة الأكاديمية أكثر فاعلية في حياة أساتذة الجامعة وأكثر قدرة على تقديم الخدمات الموجهة نحو هذه الفئة من المستفيدين .

عرض وتقويم لأدب الموضوع :

يزخر أدب الموضوع بالعديد من الدراسات النظرية والبحوث الميدانية التي تعالج الطرق التي يتبعها أساتذة

الجامعة في عملية البحث عن المعلومات المتعلقة بالاحتياجات الأكاديمية ، والعوامل التي تؤثر في هذه العملية ، وكذلك أنواع أوعية المعلومات التي يفضل الأساتذة استخدامها . وسيركز هذا الجزء من الدراسة بشكل أكثر على الجانب التطبيقي لأدب الموضوع ، حيث سيعرض الباحث بعض نماذج لأهم الدراسات الميدانية التي أجريت في هذا المجال منذ الستينات الميلادية ، مع إبداء النتائج التي توصلت إليها كل دراسة .

ونبدأ بالدراسة المسحية التي أعدها هارديج ورفاقه Hardegg et al (٣) في عام ١٩٦٦م بهدف تحديد أي الدوريات العلمية والطبية تعد أكثر أهمية لأعضاء هيئة التدريس بكلية الطب في جامعة هيد يلبرج ، وبالتالي أي هذه الدوريات يجب التركيز عليها عند التزويد . وقد تم استخدام أسلوب الاستبانة (والتي احتوت على قائمة تشمل ٨٩٠ مجلة علمية وطبية) لتجميع المعلومات من العينة المختارة في هذه الدراسة . وطلب الباحثون من أفراد العينة تحديد المجلات التي تعتبر ذات أهمية بالغة للإحاطة بما يجري في عالم الطب من بحوث ومخترعات ، والتي يجب أن تكون متوافرة في مكتبة أساتذة كلية الطب . ولقياس أهمية كل مجلة فقد تم استخدام مجموعة من الأرقام لتعبر عن الأهمية ، وهذه الأرقام هي : ١= المجلة غير مقروءة تماماً ، ٣= المجلة مقروءة أحياناً ، ٦= المجلة بالغة الأهمية وضرورية . وبعد ذلك صنفت إجابات عينة الدراسة إلى قسمين ، وذلك طبقاً لكون الأستاذ ينتمي إلى المدرسة النظرية (العلماء والباحثين) Theorists ، أو إلى المدرسة التطبيقية (الممارسين) Clinicians ، والهدف من هذا التصنيف هو معرفة ما إذا كانت نتائج الدراسة تنطبق مع نظريتها وهي أن الأساتذة النظريين أكثر استخداما للمكتبة من الأساتذة التطبيقيين . وقد أتت نتائج الدراسة لتؤكد فرضيتها ، وهي أن المجلات العلمية والطبية تعد أكثر أهمية للأساتذة المنتمين للمدرسة النظرية من أهميتها للأساتذة المنتمين للمدرسة التطبيقية .

هذا والجدير بالذكر أن دراسة هارديج ورفاقه تعد من الدراسات الرائدة في المجال ليس لأقدميتها فحسب وإنما لأنها أضافت إلى معرفتنا بالمستفيدين بعداً جديداً وهو العلاقة بين المدرسة التي ينتمي إليها المستفيد وطريقته في البحث عن المعلومات وتفضيله لمصدر معين دون المصدر الآخر . ولربما كانت نقطة الضعف الملحوظة في هذه الدراسة هي افتقارها إلى النضوج المنهجي وإلى التعمق في دراسة ظاهرة معقدة كظاهرة استخدام مصادر المعلومات وذلك بدلاً من دراستها بشكل سطحي بسيط .

ومن الدراسات الأخرى التي أجريت حول استخدام أساتذة الجامعة لمصادر المعلومات دراستين قامت بهما جمعية علم النفس الأمريكية (٤) The American Psychological Association وكانت الدراسة الأولى تهدف إلى معرفة أنواع مصادر المعلومات التي يبحث عنها أساتذة علم النفس عند إعدادهم لمادة دراسية في مرحلة البكالوريوس . وقد وجدت هذه الدراسة أن هناك اختلافا جوهريا بين أساتذة علم النفس في الطرق التي يفضلونها لجمع معلوماتهم . كما وجدت أيضاً أن طبيعة القسم نفسه الذي ينتمي إليه الأستاذ له تاثير قوي على تحديد احتياجاته المعلوماتية . لذا فإن الأساتذة المنتمين لأقسام علم النفس البارزة Distinguished departments يستخدمون على سبيل المثال مصادر مثل مجلة Contemporary psychology ومجلة Annual Review of psychology أكثر مما يستخدمها الأساتذة المنتمون لأقسام أخرى غير بارزة .

أما الدراسة الثانية لجمعية علم النفس الأمريكية فقد تركزت حول المطالب المعلوماتية Information requirements لأساتذة الجامعة . وكان من نتائجها أن ثلثي العينة المختارة يستخدمون مصادر معلوماتية حديثة لإعداد المواد الدراسية للطلبة ، وأن المطالب المعلوماتية للأساتذة قد تجاوزت حدود التدريس إلى البحث العلمي والذي يتطلب عادة مصادر معلومات أكثر مما يتطلبه التدريس . ومن نتائج الدراسة الأخرى الجديرة بالاعتبار أن أساتذة الجامعة يعمدون عادة إلى تكوين ملف خاص بكل منهم Personal file بحيث يحتوي على الوثائق الهامة ومصادر المعلومات الأخرى التي يصعب جمعها بالطرق التقليدية كالقصاصات وبعض مقالات الصحف والمجلات اليومية والكتيبات التي تصدرها بعض الهيئات وغيرها مما له علاقة باهتمامات الأستاذ (٥) .

وغني عن القول أن فكرة الملف الخاص بعضو هيئة التدريس الجامعي تعد فكرة جيدة . فالملف كما نعلم يعد أحد مصادر المعلومات الهامة التي يستعين بها الأستاذ لتأدية دوره الأكاديمي وخاصة التدريس وإعداد البحوث العلمية . فمثل هذا الملف يعد بمثابة «مكتبة خاصة» يعود إليها المستفيد متى شاء ويتميز بسهولة الوصول إلى المعلومات التي يضمها وبتوفيره لوقت وجهد المستفيد .

وفي دراسته التي أجراها عام ١٩٦٨م ، قام كوتش (٦) Koch بإجراء مقابلة شخصية مع أعضاء هيئة التدريس من أساتذة وباحثين (المتفرغين للتدريس والمتفرغين للبحث العلمي) في إحدى جامعات ألمانيا الشرقية The Forestry Department of Dresolen Technical University , Tharandt , East Germany . وكان هدف هذه الدراسة هو التعرف على مصادر المعلومات التي يفضل الأساتذة والباحثون استخدامها . وتشير النتائج بوضوح إلى أن كل أفراد عينة الدراسة من أساتذة وباحثين يستخدمون مصادر المعلومات

بطرق مختلفة . وبرغم أنهم جميعهم يستخدمون فهارس المكتبة بصورة أقل من المصادر الأخرى المتوافرة ، فإن الباحثين أكثر استخداما لمصادر المعلومات من الأساتذة . ولكن استخدام الملفات الشخصية أو المكتبات الخاصة كان كبيراً لدى كل من الأساتذة والباحثين . هذا وبينما تشير نتائج الدراسة إلى أن الأساتذة يستخدمون ملفات المستخلصات Abstracts Files بصورة أكثر من الباحثين ، فإن الباحثين يستخدمون الإعلانات Announcements والمطبوعات الجديدة بصورة أكثر من الأساتذة .

ويتضح لنا من دراسة كوتش أن طبيعة الدراسة الأكاديمية أو نوع العمل المصنف عليه عضو هيئة التدريس بالجامعة له تأثير قوي على احتياجاته المعلوماتية ، وبالتالي على استخدام مصدر معلومات معين دون المصدر الآخر . فطبيعة التدريس تختلف عن طبيعة البحث مما يترتب عليه اختلاف في المعلومات التي تحتاج إليها كل وظيفة من هاتين الوظيفتين . ومع أن الدراسة التي نحن بصددها بنيت على افتراض أن عضو هيئة التدريس الجامعي إما أن يكون متفرغاً للتدريس أو يكون متفرغاً للبحث العلمي ، فالذي يحصل كثيراً أن الشخص نفسه قد يجمع بين وظيفتي التدريس والبحث ، وقد يستخدم مصادر المعلومات نفسها للقيام بدوره الأكاديمي المزدوج كأستاذ وباحث .

وقد أجرت جامعة جونزهوبكنز (٧) The Johns Hop-kins University دراسة في عام ١٩٧١م لمعرفة القنوات التي يستخدمها أساتذة الجامعة وطلبة مرحلة البكالوريوس في مدارس علم النفس بالولايات المتحدة الأمريكية لتجميع المعلومات المتعلقة باهتماماتهم الأكاديمية . وتكونت عينة الدراسة من نماذج ممثلة لأقسام علم النفس على مستوى الدولة . وباستخدام اسلوب الاستبانة لجمع المعلومات طُلب من أفراد العينة ذكر مصادر المعلومات التي يعتبرونها أكثر أهمية لإنجاز دورهم الأكاديمي . وتشير نتائج الدراسة إلى أن أساتذة الجامعة ينظرون إلى المجلات المهنية Profes-sional Journals على أنها الأكثر أهمية لإنجاز عملهم في المحيط الجامعي ، حيث تحتل هذه المجلات نسبة ٨٠٪ من مجموعة مصادر المعلومات التي يعود إليه الأستاذ بصفة مستمرة . ويلي المجلات المهنية من حيث الأهمية الاتصال الشخصي بالأساتذة الآخرين سواء كانوا داخل الحرم الجامعي الذي ينتمي إليه الأستاذ نفسه أو خارجه Conver-sations with Faculty Members on and off the Campus. حيث يحتل هذا المصدر نسبة ٥٠٪ أما الاتصال بطلبة مرحلة البكالوريوس فإن هذا المصدر يحتل نسبة ٣٧٪ من الأهمية ثم المقررات التعليمية والحلقات الدراسية Courses and Sem-inars حيث تحتل هاتين القناتين نسبة ٢٨٪ من الأهمية الملقاة عليهما كمصدرين للمعلومات التي يحتاج إليها أستاذ الجامعة . ويأتي في نهاية القائمة المؤتمرات المهنية Professional Meetings حيث يحتل هذا المصدر نسبة ٢٧٪ من الأهمية للأشخاص المنتمين للأوساط الأكاديمية .

ولعل مايثير الدهشة في النتائج السابقة أن الطلبة أنفسهم يعدون مصدراً مهماً للمعلومات التي ينشدها عضو هيئة التدريس الجامعي . وقد تزول هذه الدهشة إذا وضعنا في الاعتبار أن العلاقة بين الأستاذ والطالب في الوسط الأكاديمي تختلف عنها في الأوساط الأخرى . فيفترض في الطالب الجامعي أن يكون على قدر من التفكير ولديه القدرة على المشاركة وإثراء الحياة الفكرية داخل الفصل وخارجه . كما أن الأسئلة الجادة التي يطرحها الطلبة أثناء المحاضرة أو التي يضمنونها في بحوثهم العلمية قد تدفع الأستاذ للإجابة عليها بطريقة علمية أو لبحثها فيما بعد باتباع منهج الأسلوب العلمي .

ومن الدراسات الطريفة في هذا المجال الدراسة التي أجراها فريد لاندر (٨) Friedlander في عام ١٩٧٣م . وقد كانت بمثابة مسح شامل لأساتذة كلية الطب بالولايات المتحدة الأمريكية ، بهدف التعرف على نظرة الأستاذ لأهمية المكتبة في عملية البحث عن المعلومات والكشف عن المصادر الأخرى التي يلجأ إليها الأساتذة لاستقاء معلوماتهم وقد أتت نتائج هذه الدراسة لتؤكد ماتوصلت إليه الدراسات السابقة من أساتذة الجامعة في مجال الطب يعتمدون بشكل أكثر على مصادر المعلومات غير التقليدية Informal Sources وخاصة الاتصال العلمي بزملاء العمل Coworkers Communication والتحدث إلى الخبراء في المجال Experts Conversation . كما أظهرت نتائج الدراسة أن مصادر المعلومات التقليدية (التي تعتمد بشكل أكثر على المطبوع والمنشور) تستخدم أحياناً وخاصة مكتبة كلية الطب والمكتبات الخاصة بالأساتذة . وقد أشارت نسبة كبيرة من عينة الدراسة إلى أن سهولة الوصول إلى وعاء المعلومات تعد معياراً أساسياً في عملية البحث عن المعلومات وفي تفضيل مصدر معين دون المصدر الآخر .

والباحث لايستغرب هذا الإقبال المتزايد من أساتذة الطب على مصادر المعلومات غير التقليدية . فهذا النوع من المصادر يحتوي على معلومات أكثر حداثة مما تحتوي عليهالمصادر التقليدية والتي تمر عادة بمراحل الطبع والنشر مما يجعل مادتها العلمية متقادمة . والطب بالذات مجال سريع التغير والتقدم يحتاج المنتمون إليه إلى سرعة الإحاطة بما يجد فيه من اكتشافات وتطورات . ويعد الطب من أقدم المجالات التي استفادت من تقنية المعلومات

وسخرتها لصالح الاتصال بقواعد المعلومات على مختلف المستويات .

وثمة دراسة أخرى أجراها نيلسون (٩) Nelson في عام ١٩٧٣م لمعرفة مدى إحاطة أعضاء هيئة التدريس الجامعيين علماً بالخدمات المكتبية المقدمة في ست كليات أمريكية ، وبالذات مدى الإحاطة بالخدمات المرجعية التي تقدمها المكتبات الأكاديمية . وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن الأستاذ الجامعي على معرفة فقط بحوالي نصف الخدمات المتاحة في مكتبة الكلية التي ينتمي إليها . وهذه النتيجة غير المتوقعة دعت إلى إثارة بعض أسئلة حول الهدف من وجود المكتبة الجامعية ومدى توفيرها لاحتياجات الأساتذة من المعلومات ، وما إذا كانت الخدمات التي تقدمها المكتبة تستحق كل تلك المصروفات المالية التي تستهلكها . ويعلق نيلسون على هذه الأسئلة بقوله إنه من المؤسف أن المكتبة الجامعية التي وجدت أصلاً لخدمة أستاذ الجامعة ولمده بأوعية المعلومات التي يحتاج إليها لتأدية دوره الأكاديمي لاتؤدي وظيفتها المنشودة بفعالية كبيرة نظراً لأن الأستاذ يحيط علماً فقط بنصف الخدمات التي تقدمها المكتبة . وهذا يعني أن مايصرف على المكتبة من مبالغ طائلة قد لايتناسب مع مايجنيه المستفيدون منها .

والحقيقة أن تلك النتيجة المؤسفة التي توصلت إليها الدراسة السابقة فيما يتعلق بضعف الدور الذي تؤديه المكتبة في الحرم الجامعي تدعونا وبجدية إلى إعادة النظر في رسالة المكتبة الجامعية ومدى تحقيقها لأهداف الجامعة التي تخدمها . فمكتبة الجامعة هي أقرب المصادر إلى الأستاذ ، وهي أول مايفكر فيه بعد مكتبته الخاصة ومكتبة القسم الذي يتبعه ، وكما هو معلوم فإن أستاذ الجامعة مطالب بإثراء المعرفة في مجاله وبحل مشكلات المهنة بأسلوب علمي ، ولن يتمكن من تحقيق ذلك دون الاعتماد على مصادر المعلومات المتنوعة وفي مقدمتها مكتبة الجامعة التي يفترض فيها أن تحتوي على مجموعات تلبي رغبات الأساتذة وخاصة في مجال البحث العلمي . كما يفترض فيها أن تقوم بالتسويق لخدماتها والدعاية لها والإعلان عنها لتصل إلى أكبر عدد ممكن من جمهور المستفيدين .

وبالإضافة إلى الدراسات الميدانية السابقة فهناك العديد من المقالات والدراسات والنظرية الأخرى التي عالجت موضوع استخدام أساتذة الجامعة لمصادر المعلومات . وعلى خلاف البحوث الميدانية التي اعتمدت على مسح الظاهرة على الواقع ، فإن البحوث النظرية قد اعتمدت على تجربة الكاتب الفردية وملاحظاته الشخصية ، ولذا فهي تمثل في الغالب وجهة نظر المؤلف ، وقد لاتلتزم تماماً باستخدام الأسلوب العلمي في معالجة الظاهرة . وسنركز هنا على مثالين لهذا النوع من البحوث وذلك لإعطاء القارىء فكرة موجزة عن الإنتاج الفكري الذي تم في هذا المجال .

فقد اقترح بيكر (١٠) Baker في عام ١٩٦٨م نموذجاً وصفياً Descriptive model لسلوك المستفيدين في عملية البحث عن المعلومات في أي محيط أكاديمي . ويتمثل هذا النموذج في أن المستفيد يحاول أولاً البحث عن مصادر المعلومات التي يحتاج إليها في مجموعاته الخاصة (مكتبته الشخصية) ، ثم يلجأ إلى مكتبة الكلية أو القسم الذي ينتمي إليه ، وأخيراً إذا لم يجد مايحتاج إليه من معلومات في المصدرين السابقين فإنه يلجأ إلى مكتبة الجامعة المركزية . ولعل نموذج بيكر هذا يؤكد ماتوصلت إليه الدراسات السابقة (كتلك التي أجراها كوتش وفريد لاندر) من أن المستفيد يحاول دوما الاستعانة بمصادر المعلومات القريبة من متناول يده كالمكتبة المنزلية والمجموعات التي يحتفظ بها الأساتذة في غرفهم الخاصة داخل الأقسام . كما يؤكد نموذج بيكر أيضاً أن الوقت عامل مهم بالنسبة لعضو هيئة التدريس بالجامعة الذي قد يفضل مكتبته الخاصة على مكتبة الجامعة لمجرد أن الأولى تسعفه بمعلومات عاجلة وتوفر عليه الجهد الذي تتطلبه عملية البحث عن المعلومات في مكتبة الجامعة .

كما اقترح كل من دوفرتي وبلومكويست (١١) Dougherty and Blomquist نموذجاً آخر للبحث عن المعلومات في عام ١٩٧٤م ، وهو مشابه إلى حد ما للنموذج السابق . فهما يفترضان أن نمط استخدام مصادر المعلومات بالنسبة للباحثين الأكاديميين في أي مجال علمي يبدأ عادة بالمصدر المريح Convenient Source والذي لايسبب الحصول عليه إزعاجاً للمستفيد . وتمشياً مع هذا النموذج فإن أساتذة الجامعة يلجأون عادة إلى مكتباتهم الخاصة وإلى زملائهم في العمل للحصول على المعلومات التي تساعدهم في أداء مهامهم الوظيفية في المحيط الجامعي وبخاصة وظيفتي التدريس والبحث العلمي .

نظرة عامة على الإنتاج الفكري في المجال :

من الدراسات السابقة التي تعرضت لموضوع استخدام أساتذة الجامعة لمصادر المعلومات يمكن استنتاج النقاط التالية :

(١) لقد كان التعرف على احتياجات الأساتذة إلى المعلومات الدافع الأساسي وراء هذه الدراسة ، التي كانت تهدف إلى تطوير خدمات المكتبات والمعلومات وجعل المكتبة أكثر فاعلية في حياة أستاذ الجامعة .

(٢) ليس هناك اتفاق بين الباحثين في المجال على استخدام أسلوب محدد لقياس ظاهرة استخدام مصادر المعلومات مما يؤدي إلى صعوبة التنسيق بين النتائج المتوصل إليها وإلى صعوبة تكوين رصيد متماسك من المعرفة فيما يتعلق باستخدام أساتذة الجامعة لمصادر المعلومات .

(٣) تميزت أغلب الدراسات باستخدام أسلوب الاستبانة لجمع المعلومات من أفراد الدراسة ، ومع أن الاستبانة طريقة مألوفة لجمع البيانات في الدراسات الاجتماعية ولاغبار على استخدامها في المجالات المتعلقة بدراسات المستفيدين ، إلا أن هناك أيضاً طرقاً أخرى كان من الممكن استخدامه كطريقة المقابلة الشخصية وطريقة المذكرات اليومية Dairy records حيث يتم في الأولى استجواب الأفراد وجهاً لوجه لتحديد أنماط استخدامهم لمصادر المعلومات ، ويطلب في الثانية من الأفراد تسجيل تجاربهم وملاحظاتهم في التعامل مع مصادر المعلومات أولاً بأول . ويقوم الباحث بعد ذلك بتجميع تلك المذكرات ودراستها ليستخلص منها المعلومات التي تفيده في تحديد أنماط سلوك المستفيدين في استخدام مصادر المعلومات . بالإضافة إلى أسلوب تحليل الاستشهادات المرجعية Citation analysis الذي يمكن عن طريقه التعرف على سلوك المؤلف في استخدام مصادر المعلومات من خلال تحليل المراجع التي استشهد بها في كتاباته وأبحاثه (١٢) .

(٤) لقد تناولت الدراسات السابقة سلوك المستفيدين من عدة جوانب . فبينما يركز بعضها على الاستخدام الذي يجري داخل المكتبة فقط ، يتوسع البعض الآخر ليشمل استخدام مصادر المعلومات بكافة أنواعها ويتعامل مع المكتبة على أنها أحد هذه المصادر . ولذا نجد اختلافاً بين الباحثين في المجال في مفهوم «المصدر» نفسه ، حيث يقصره بعضهم على أوعية المعلومات التي تضمها المكتبة كالكتب والصحف والمجلات والأشرطة السمعية والبصرية والخرائط والمجسمات ... الخ ، ويغفل ماعدا ذلك من قنوات ومصادر للمعلومات كالاتصال الشخصي والمحادثة الهاتفية وحضور المؤتمرات والندوات ...الخ . فمثل هذا التفاوت في المفهوم قد يسبب تشويشاً لفكر القارىء والباحث في المجال على السواء ، قد يؤدي إلى صعوبة تعميم نتائج الدراسات على مجتمعات أخرى مماثلة .

وبصفة عامة فإن الدراسات في المجال قد أظهرت لنا بوضوح أن أستاذ الجامعة لايعمل في فراغ بل لابد له من الاعتماد على المصادر التي تمده بالمعرفة وتساعده على إثراء التخصص الذي ينتمي إليه . ومن هنا تبرز أهمية المكتبة الجامعية ودورها في العملية التعليمية والبحثية . فالأستاذ الذي يحترم نفسه ويحترم مهنته لاغنى له عن الرجوع إلى مكتبة الجامعة والإفادة من المصادر التي تحتوي عليها ومتابعة ما يجد في المكتبة من مطبوعات ومنشورات .

انعكاس نتائج الدراسات في المجال على المكتبيين :

بعد أن أظهرت لنا الدراسات السابقة في المجال بوضوح الوسائل التي يستخدمها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة للحصول على مصادر المعلومات التي تسند وظائفهم الأكاديمية فلعل السؤال الذي يثار الآن هو : ماالذي يجنيه المكتبي من نتائج هذه الدراسات ؟ وهل يمكن أن يكون لهذه النتائج أي تأثير على طريقة تعامل المكتبي مع أستاذ الجامعة ؟ وللإجابة على هذين السؤالين يجب أن نتذكر دوما أن دور أمين المكتبة يتمثل في أن يعمل كحلقة وصل بين المستفيدين ومصادر المعلومات . فكلما استطاع المكتبي أن يتعرف أكثر على خصائص المستفيدين واهتماماتهم أمكنه أن يخدم احتياجاتهم المعلوماتية بصورة أفضل . ومن هنا تبرز قيمة الدراسات المبنية على الأسلوب العلمي ، المدعمة بحقائق وأرقام توضح للمكتبيين الواقع كما هو وتضيف إلى معرفتهم بالمستفيد جوانب ربما لم يتنبه إليها المكتبي من قبل .

والحقيقة أنه مهما بلغ رصيد المعرفة بالمستفيدين ومهما كبر حجم الدراسات في هذا الحقل فإننا سنظل نجهل الكثير عن الأفراد وسلوكهم في استخدام مصادر المعلومات والدوافع التي تحفزهم لتفضيل مصدر معين دون المصدر الآخر . وهناك عدة أسباب لهذا الجهل . ربما كان أحدها أن المستفيدين مهملين نسبياً في البحوث والدراسات التي تمت في المجال ، وذلك نظراً لتركيز المكتبيين والباحثين على جوانب أخرى لا علاقة لها بالمستفيدين . فالمكتبيون منهمكون في عملهم اليومي الروتيني من اختيار للمواد المكتبية وطلبها وتصنيفها وفهرستها ومن ثم وضعها على رفوف المكتبة لتكون متاحة للقارىء الذي يبحث عنها . وهذا العمل التقليدي لايترك لهم فرصة التعرف على أنماط المستفيدين ودراسة احتياجاتهم للمعلومات . فإذا انتقلنا إلى الباحثين نجد أنهم ليسوا أسعد حظاً من المكتبيين ، وذلك أنهم يعيرون أهمية بسيطة للمستفيدين في كتاباتهم وبحوثهم . وقد لاحظ هذه الظاهرة أحد الخبراء في المجال (١٣) وعلق عليها بقوله إنه بالرغم من أن علم المكتبات يعد أحد العلوم الاجتماعية نظراً لاهتمامه بالأفراد واستخدامهم لمصادر المعلومات ، فإن

جانب الأفراد مازال مهملاً في دراسات علم المكتبات التي تركز غالبا على جوانب لها علاقة بأنظمة المعلومات وتخزينها وبثها واسترجاعها . وفي هذا الإطار يقترح زويزج (١٤) Zweizig تغيير مجرى البحوث في هذا المجال من التركيز على الأنظمة System - Oriented research إلى التركيز على المستفيد نفسه User - Oriented research . ويعتقد الباحث أن لهذا الاقتراح مايبرره خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن الهدف من وجود المكتبة أو مركز المعلومات أساساً هو خدمة المستفيدين وربطهم بالمعلومات التي يبحثون عنها .

وإذا كانت الدراسات السابقة قد أظهرت بوضوح أن أستاذ الجامعة باحث نشط يكثر الرجوع إلى مصادر معلوماتية متنوعة من كتب ومجلات علمية واتصال بالزملاء وحضور للمؤتمرات وتحدث مع الخبراء ، فإن هذه الحقيقة تفرض على العاملين في المكتبة الجامعية ضرورة إتاحة مختلف أوعية المعرفة في مكتبة الجامعة وجعلها دوما في خدمة المنتمين للأوساط الأكاديمية . صحيح أن هناك بعض الأوعية التي يصعب السيطرة عليها وتزويد المكتبة بها كالاتصال بزملاء المهنة وحضور المؤتمرات ، فهذه يمكن التعامل معها عن طريق تزويد الأساتذة بقوائم تضم أسماء الأشخاص المهتمين بالمجال نفسه في جامعات أخرى ليمكن التحدث معهم عند الحاجة ، وكذلك الحصول على نسخ من المواضيع التي تمت مناقشتها في المؤتمرات والندوات .

الخلاصة :

لقد كانت هذه الدراسة بمثابة نظرة عاجلة لواقع سلوك أساتذة الجامعة في استخدام مصادر المعلومات المتعلقة باحتياجاتهم الأكاديمية . ويوضح الإنتاج الفكري الذي تم في هذا المجال أن أستاذ الجامعة يعتبر مستفيداً ديناميكياً يبحث دوما عن المعلومات في عدة مصادر ، وأن مكتبة الجامعة ماهي في الواقع إلا أحد هذه المصادر التي قد يستخدمها الأستاذ وقد يستغني عنها ، بناءً على نظرته إلى أهمية المكتبة ومدى قناعته بالدور الذي تؤديه في تلبية احتياجاته للمعلومات .

ومهما يكن الأمر فإن المكتبي الناجح هو دوما سيد الموقف ، إذ باستطاعته أن يجعل المكتبة أكثر فاعلية في حياة أستاذ الجامعة ، عن طريق تطوير علاقاته واتصالاته المستمرة بالأساتذة للتعرف على احتياجاتهم وتلمس اهتماماتهم . فمعرفة المكتبي على سبيل المثال بالمواد الدراسية التي تقدم قد تساعده في بناء برنامج للتزويد يلبي الاحتياجات التعليمية والبحثية للأساتذة . فالتزويد يجب ألا يتم بطريقة عشوائية ، بل ينبغي أن يخضع لمعايير عدة يأتي في مقدمتها احتياجات المستفيدين .

وبالإضافة إلى بناء جسر من العلاقة الجيدة بين الأمين والأستاذ فهناك أمثلة لخدمات أخرى يمكن للمكتبي أن يضعها في الاعتبار لجعل المكتبة جزءاً من المحيط الأكاديمي مثل إعداد خدمات مرجعية متخصصة تسد حاجات التدريس والبحث لكل أستاذ حسب طبيعة مجاله ، وكذلك تداول مقالات الدوريات المهمة بين الأساتذة ، وتطوير خدمات الإحاطة الجارية وخدمات البث الانتقائي للمعلومات هذه الخدمات وأمثالها يمكن تقديمها عن طريق توزيع قوائم مطبوعة على المستفيدين من حين لآخر تحيطهم علما بما جد من إنتاج فكري في مجال تخصصهم .

المراجع :

(1) Greer , R. (1982). **A conceptual Model for Librarianship, Information Science and Information Management with Implications for Library Education** . Unpublished Manuscript , University of California .

(2) Allen , T. (1969). Information Needs and Uses . In ; Carlos A. Cuadra , (Ed.) , **Annual Review of Information Science and Technology** , 4 ,pp. 1 - 29 .

(3) Hardegg , W. ; Kohler , C. ; and Wagner , G. (1966) "Results of An Enquiry into the Basic Provision of Periodicals for a Medical Faculty Library " **Meth . Infor . Med** . 5 , pp. 193 - 205 .

(4) American Psychological Association project on Scientific Information Exchange in Psychology , (1967). **Tge Use of Scientific Information in the Undergraduate Teaching of Psychology** . Report # 17 , Washington , D.C.

(5) Ibid .

(6) Koch , I . (1968). "How Do Scientists Learn of Important Literature" ? **Zentralblatt Fur Bibliothekswesen** , 82 , pp. 651 - 666 .

(7) John Hopkins University . (1971). SOGSIP Study group. **Some Preliminary Results from A Survey of Graduate Students in Psychology** . Washington , D.C. American Psychological Association - Office of Communication .

(8) Friedlander , J. (1973). "Clinician Search for Information" , **Journal of the American Society of Information Science** , 24,pp. 65 - 69 .

(9) Nelson ; J. (1973). "Faculty Awareness and Attitudes Toward Academic Library Reference Services : A Measure of Communication" , **College and Research Libraries** 34, pp. 268 - 275 .

(10) Baker, N. (1968). "A Descriptive Model of Library, User , Funder Behavior in a University Environment" , **Drexel Library Quarterly**, 4 ,pp. 16 - 30 .

(11) Dougherty , R. b Blomquist , l. (1974). **Improving Access to Library Resources : The Influence of Organization of Library Collections and of User Attitudes Toward Innovative Services.** Metuchen , NJ : The Scarecrow Press .

(12) Davis , R.b Bailey , C. (1964). **Bibliography of Use Studies** . The Office of Science Information Service - National Science Foundation .

(13) Greer , R. (1982). A Couceptual Model .

(14) Zweizig , D. (1973). **Predicting Amount of Library Use : Au Empirical Study of the Role of the Public Library in the Life of the Adult Public** . Ph. D. dissertation , Syracuse University .

* * * * *

بحوث العمليات وتطبيقاتها في المكتبات والمعلومات

عبدالرشيد عبدالعزيز حافظ
أستاذ مساعد بقسم المكتبات والمعلومات
جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

تمهيد :

يستخدم الباحثون في مجال المكتبات والمعلومات مناهج بحث عديدة ، ومعظم هذه المناهج ليست خاصة بعلم المكتبات والمعلومات ، بل هي مستمدة من العلوم الأخرى التي سبق لها استخدام هذه المناهج ، ولاشك أن التنوع في استخدام واقتباس المناهج والأدوات من العلوم الأخرى وتوظيفها في أبحاث المكتبات والمعلومات لا يعزز ويقوي من مستوى هذه الأبحاث فحسب ، ولكنه أيضاً يسهم في ترسيخ دعائم علم المكتبات والمعلومات وإبرازه وإظهار العلاقة الوثيقة التي تربطه بالعلوم الأخرى .

وتعتبر بحوث العمليات Operations Research إحدى المناهج التي تم تطبيقها في دراسات المكتبات والمعلومات بعد أن سبق استخدامها في المجالات العسكرية والصناعية والإدارية .

ولما كانت دراسات المكتبات والمعلومات في معظمها ، تركز على النواحي العملية في سبيل الوصول إلى قرار مناسب بشأن مشكلة معينة ، فإن بحوث العمليات تمكن الباحثين من فهم أفضل للمشكلة ودراستها بتعمق حسب قواعد علمية محددة ، مما يساعد إدارة المكتبة أو مركز المعلومات على اتخاذ القرار المناسب . ويتزايد الاهتمام ببحوث العمليات مع ازدياد تعقد عمليات المكتبة وخدماتها ، حيث يساعد تطبيق أسلوب بحوث العمليات على التخطيط الأمثل للاستفادة من المصادر والموارد المتاحة .

نشأة بحوث العمليات :

يعود تاريخ بحوث العمليات إلى الحرب العالمية الثانية عندما دعت القوات البريطانية العلماء من مختلف التخصصات العلمية مثل الرياضيات ، والإحصاء ، وعلم النفس والفيزياء لرسم الخطط التي تكفل الاستغلال الأمثل للموارد المحدودة ، وقد طلب إلى العلماء التفكير في طرق حماية قوافل السفن من هجمات الغواصات ؛ وقد توصل فريق العلماء إلى خطة شاملة أطلقوا عليها اسم "بحوث العمليات" . وبعد الحرب العالمية الثانية تم تطبيق بحوث العمليات في حل المشكلات الصناعية ، وفي أعمال تشييد المنشآت التي دمرتها الحرب ، ومع تطور الحاسب الآلي في أواخر الخمسينات الميلادية انتشر استخدام بحوث العمليات بشكل كبير ليشمل المجالات الإدارية على نطاق واسع .

وقد شهدت بحوث العمليات منذ الحرب العالمية الثانية تطورين أساسيين هما :

أولاً ظهور ما يسمى بالإدارة العلمية Scientific Management التي دعا إليها فريدريك تايلور Fredrick Tylor والتي أسهمت في زيادة فعالية المنظمة عن طريق تحليل هيكلها ووظائفها المختلفة ، حيث تدعو مدرسة الإدارة العلمية إلى تجزيء العملية الكبيرة أو المعقدة إلى المكونات الأساسية التي يمكن تناولها بالتحليل والدراسة بسهولة .

ثانياً استشارة العلماء من مختلف التخصصات في دراسة المشكلات العسكرية بعد أن كان ذلك وقفاً على جنرالات الجيش ، وقد أسهم هذا الاتجاه إلى تكوين فريق البحث Research Team الذي يضم أشخاصاً ذوي خلفيات متعددة مما يسهم في إثراء البحث العلمي .

أما بالنسبة لدراسات المكتبات والمعلومات ، فإن ظهور عدد من الرسائل العلمية التي تقدم بها أصحابها لنيل درجة الدكتوراه من الجامعات الأمريكية في أواخر الثلاثينات قد

شكل البداية الفعلية لاستخدام مبادئ الإدارة ومنها بحوث العمليات ، حيث ركزت تلك الرسائل على معالجة موضوعات مثل تحليل التكاليف ، دراسة الإجراءات الفنية وبالأخص الفهرسة من وجهة نظر إدارية (١) . وبدأ في ذات الوقت بعض أمناء المكتبات ومراكز المعلومات في تطبيق أفكار الإدارة العلمية وأدوات ووسائل بحوث العمليات التي تم التوصل إليها خلال الحرب ، وذلك لدراسة مشكلات المكتبات والمعلومات (٢) .

وقد ازداد الاهتمام ببحوث العمليات في بداية الستينات الميلادية ، ويعتبر كل من فليب مورس Philip Morse في معهد ماساشوستس التقني MIT ، وفرديناند ليمكوهلر Ferdinand Leimkuhler في جامعة بوردو Purdue University وريتشارد ترسويل Richard Trueswell في جامعة ماساشوستس Massachusetts University من أبرز رواد استخدام بحوث العمليات في مجال المكتبات والمعلومات .

تعريف بحوث العمليات :

من خلال مراجعة الإنتاج الفكري يظهر لنا أنه لا يوجد تعريف واضح دقيق متفق عليه لمصطلح بحوث العمليات ، بل إن هناك خلطاً كبيراً في استخدام هذا المصطلح ومصطلحات أخرى مثل علم الإدارة ، إدارة العمليات ، تحليل العمليات ، الخ .

ويلاحظ أونيل O'Neill (٣) أن " علم الإدارة " Management Science هو المصطلح الأكثر استخداماً للدلالة على دراسة بحوث العمليات في مدارس الإدارة ، كما أن مصطلح "تحليل النظم " Systems Analysis و " إدارة العمليات " Operations Analysis كلها مصطلحات تستخدم للدلالة والتعبير عن بحوث العمليات .

ويذكر مؤلف آخر (٤) أنه يمكن النظر إلى بحوث العمليات على أنها أحد فروع كل من الإدارة أو الهندسة أو العلوم التطبيقية أو تجميع خاص بهذه التخصصات الثلاثة ، فإذا نظرنا إلى بحوث العمليات على اعتبار أنها فرع من الإدارة فإن هدفها يرتكز على تمكين صانعي القرار من اختيار أفضل البدائل التي تلبي احتياجات المستقبل، وذلك عن طريق التعريف والاختيار المنظمين للبدائل الممكنة ، وإذا نظرنا إلى بحوث العمليات على أنها فرع من الهندسة فإن هدفها يرتكز على تحليل وتصميم نظام الأتمتة ، خصوصاً فيما يتعلق بمعالجة وضبط المعلومات ، مما يساعد على سيطرة أفضل للإنسان على التقنية المعقدة التي أصبحت سمة العصر الحاضر ، أما إذا نظرنا إلى بحوث العمليات على أنها فرع من العلوم التطبيقية ، فإن ذلك ناتج عن طبيعة العلاقة الوثيقة التي تربط بحوث العمليات بكل من الإحصاء والرياضيات والحاسب الآلي .

وهناك عدد من التعريفات التي أوردها أصحابها في محاولة لتحديد معالم هذا المنهج ، فلقد عرف ليمكوهلر Leimkuhler (٥) بحوث العمليات بأنها فن استخدام المنهج العلمي لفهم وحل مشكلات أي تنظيم يشترك فيه الإنسان والآلة .

ويتفق كيوود Caywood (٦) مع هذا التعريف لبحوث العمليات ويصفها بأنها العلم التجريبي والتطبيقي Experimental and Applied Science الذي يختص بملاحظة وفهم التنبؤ بسلوك النظم النصف الآلية ، أو التي يشترك فيها الإنسان والآلة Man - Machine Systems .

ويرى أكوف Ackof (٧) أن بحوث العمليات هي ذلك النشاط العلمي الذي يقوم به فريق عمل من تخصصات مختلفة ، ويركز على مبدأ النظم باستخدام مبادئ الطريقة العلمية .

أما بوكستين Bookstein (٨) فيرى أن بحوث العمليات هي طريقة علمية تمد الإدارة التنفيذية بالأسس الكمية التي تمكنها من اتخاذ القرار المناسب لحل مشكلة معينة . كذلك يصف جاسي Gass (٩) بحوث العمليات بأنها علم اتخاذ القرارات .

وبحوث العمليات بالنسبة لراولي Rowley (١٠) هي نشاط يوظف لحل المشكلات التنظيمية ، وهو قابل لدراسة المشكلات المتعلقة بالعمليات الروتينية للإدارة ، كما أنه قابل للتخطيط الاستراتيجي ، وكذلك لمعالجة مشكلات التصميم .

وتركز بحوث العمليات على أسلوب " النظم الكاملة " Total Systems ويعني ذلك البدء بالنتائج المطلوبة قبل دراسة العناصر والعلاقات التي تربط بينها . والفلسفة التي يقوم عليها هذا المبدأ هو أنه يتم التركيز على أهداف المنظمة والسماح بدرجة كبيرة من اللامركزية وتوزيعاً كبيراً لصناعة القرار في المنظمة ، بمعنى أن يشترك أكبر عدد ممكن من الأفراد داخل المنظمة في عملية صناعة القرار (١١) .

وتمثل السطور التالية محاولة لوضع تعريف شامل لبحوث العمليات من وجهة نظر المكتبات والمعلومات :

بحوث العمليات هي استخدام الطرق العلمية لدراسة الوظائف والعمليات المكتبية بهدف التوصل إلى وسائل تمكن المديرين من القيام بأعمال التخطيط والتنظيم والرقابة على تلك الوظائف والعمليات بما يحقق أهداف المكتبة أو مركز المعلومات .

أنواع بحوث العمليات :

يمكن تقسيم بحوث العمليات إلى ثلاثة أنواع أساسية هي:

أولاً : بحوث عمليات تهدف إلى حل مشكلات عملية Practical Problem ويهدف هذا النوع إلى حل مشكلة معينة بحد ذاتها في مكتبة معينة وفي زمن معين ، بمعنى أن نتائج الدراسة لا يمكن تعميمها فهي تخص المشكلة موضوع البحث فقط . ومن أمثلة المشكلات التي يتناولها هذا النوع من بحوث العمليات مشكلة بطء إجراءات الفهرسة وتكدس الكتب في قسم الفهرسة نتيجة تطبيق نظام إداري جديد استهدف تقليص العمالة في مكتبة إحدى الكليات .

ثانياً : بحوث عمليات تهدف إلى تكوين الخلفية اللازمة لدراسة مشكلة معينة ، ويسمى هذا النوع ببحوث التمكين Enabling Research وفيها يقوم فريق العمل بجمع المادة المطلوبة عن المشكلة وتصميم النماذج التي تبحث العلاقات بين عناصر المشكلة وتحديد الإجراءات الخاصة بالتقييم والقياس وتعريف إجراءات ووسائل جمع المعلومات ، وغالباً ما يتم تطبيق هذا النوع لدراسة المشكلات المعقدة في المكتبات الكبيرة حيث تستغرق الدراسة وقتاً طويلاً .

ثالثاً : بحوث عمليات تهدف إلى الإسهام أو تكوين النظريات العلمية ؛ ويسمى هذا النوع بالأبحاث النظرية Theoretical Research وهو عكس النوع الأول ، حيث يهتم بنوع المشكلة دون الإشارة إلى الأنظمة التي نشأت فيها ، وذلك بهدف تعميم النتائج وتكوين النظريات العامة . ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع دراسة نظم المكتبات في عينة من الدول ، وتعميم النتائج على مكتبات الدول الأخرى التي تتوافر لديها خصائص العينة نفسها (١٢) .

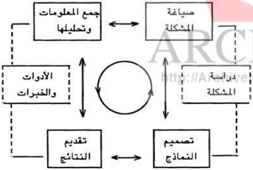
بحوث العمليات كمنهج بحث :

تعتبر بحوث العمليات من أفضل المناهج للقيام بالدراسات الاستكشافية Exploratory Studies مما يمكن المكتبة من دراسة الخطط واختيار أفضل البدائل قبل اتخاذ قرار للبدء في عمليات مكلفة ، وبمعنى آخر فإن بحوث العمليات تمكن من اتخاذ القرار المناسب خصوصاً فيما يتعلق بالأتمتة ، بما في ذلك توقع المشكلات والتغييرات التي تصحب التحول من النظام التقليدي إلى النظام الآلي أو النصف آلي ، حيث إن ذلك يتطلب تغييرات في المواقع والوظائف والوحدات ، الخ .

ولا تلجأ بحوث العمليات عادة إلى سرد تاريخ المشكلة بقدر ما تركز على إبراز ودراسة العلاقات بين عناصر المشكلة ، ويمكن تلخيص خطوات بحوث العمليات في النقاط التالية :

١ - صياغة المشكلة ، وتشمل وضع الفروض على شكل معادلات رياضية .
٢ - تصميم النماذج الخاصة بالمشكلة .
٣ - تحديد وسيلة جمع البيانات مثل الملاحظة ، الاستبيان ، تحليل الوثائق ، الخ .
٤ - تقديم النتائج التي توضح البديل الأفضل الذي مكّن الإدارة من اتخاذ القرار المناسب .

ويوضح الشكل (١) ملخصاً لهذه الخطوات ، ويلاحظ أن هذه الخطوات متفاعلة مع بعضها البعض ، ولا يشترط الانتهاء من خطوة معينة للبدء في خطوة أخرى ، ذلك أنه يمكن العودة إلى أي خطوة من الخطوات السابقة في أي مرحلة من المراحل لإعادة الصياغة أو للإضافة أو الحذف حسب نمو المعلومات واكتمالها لدى الباحث ؛ فعلى سبيل المثال يمكن إعادة تصميم النماذج بعد جمع المعلومات وتحليلها ، كما يمكن إعادة صياغة المشلكة بشكل أفضل نتيجة تطور فهم الباحث للمشكلة .



الشكل رقم (١) خطوات بحوث العمليات

وتمثل النماذج أهمية قصوى ، حيث تعتبر قلب وجوهر أسلوب بحوث العمليات ، ويمكن تعريف النموذج بأنه الوسيلة التي تستخدم لتمثيل ووصف حالة حقيقية ، وذلك باستخدام رموز وأشكال معينة ، فمثلاً يمكن وصف شكل الطائرة الحقيقية بمنوذج مصغر للطائرة من لعب الأطفال ، كذلك فإن الدوائر الصغيرة والنقاط على الخارطة تمثل العواصم والمدن والحدود ، الخ (١٣) .

وبالنسبة للمكتبة فإن الهيكل التنظيمي يوضح وحدات وأقسام المكتبة والعلاقة بينها ، الخ .

ويتبيّن مما سبق أن النموذج لا يقتصر على المعادلات الرياضية فحسب ، بل يمكن الجمع بين المعادلات الرياضية ورموز وأشكال متعددة . ومن البديهي القول بأن طبيعة النموذج والهدف الذي يصمم من أجله يختلفان من وضع لآخر ، فهناك على سبيل المثال نماذج وصفية Descriptive Models ونماذج تحليلية Analytical وسنورد أمثلة لهذه النماذج بعد قليل . ويخدم النموذج بصفة عامة هدفين في آن واحد ، فهو يستخدم لتمثيل واقع المشكلة ، كما يستخدم لتمثيل الحل المقترح أو مجموعة البدائل المقترحة ، حيث يمكن التعرّف على مزايا وعيوب كل بديل من خلال تجريب واختبار النموذج الذي يمثل ذلك البديل ، فعلى سبيل المثال يمكن اختبار عدد من النماذج المتعلقة بدراسة إجراءات بديلة للإعارة ، والزمن اللازم لاستعارة الكتب ، واتجاهات المستفيدين تجاه تلك الإجراءات ، كما يمكن اختبار النماذج المتعلقة بدراسة التخطيط لمواقع الخدمة المختلفة بالمكتبة بما في ذلك أحجام الرفوف وطاولات القراءة وغير ذلك .

ويتحكم في اختيار نموذج دون آخر عدد من العوامل من أهمها مدى توافر المعلومات ، رغبة الباحثين وخبراتهم في تصميم نموذج معيّن ، طبيعة المشكلة ومدى ملاءمتها لنموذج دون آخر ، الخ (١٤) .

وعادة ما يبدأ النموذج بسيطاً محدوداً ، ثم يتم تعديله وتطويره حسبما تتوافر البيانات التي يتم الحصول عليها مع استمرار عملية دراسة المشكلة .

وهناك شروط يجب أن تتوافر في النموذج كما يلي :

١ - أن يكون الهدف من النموذج واضحاً .

٢ - أن يكون مبسطاً قدر الإمكان ويتناسب مع قدرات الأشخاص المعنيين بقراءته وتفسيره .

٣ - أن يوضح العلاقات بين مكونات المشكلة موضوع البحث .

٤ - أن يكون قابلاً للاختبار والتجريب للتأكد من فعاليته أن يكون متفقاً ومنسجماً مع الفرضيات المحددة سلفاً.

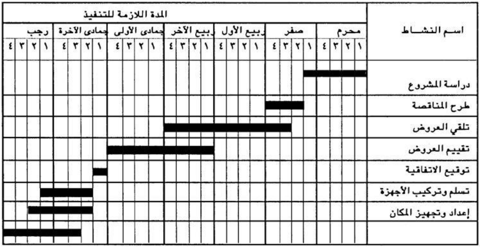
٦ - أن يساعد متخذي القرار في اتخاذ القرار المناسب .

أمثلة للنماذج المستخدمة في بحوث العمليات :

١ - نموذج جانت Gantt Chart :

يساعد نموذج «جانت» على جدولة عمليات المشروع ، ويمكن استخدام هذا النموذج لاختبار الزمن الذي يستغرقه كل نشاط ، كما يمكن حساب الزمن الكلي الذي يلزم لإنهاء العملية بأكملها ، ويتم تصميم هذا النموذج بطريقة تظهر العلاقة الزمنية بين مراحل النشاط ، بمعنى أنه يمكن التعرّف على المراحل التي يجب استكمالها قبل البدء في المراحل التالية ، كما يوضح نموذج «جانت» المراحل التي يمكن أن يبدأ فيها العمل أو تلك التي تستكمل في وقت واحد .

وتعود تسمية هذا النموذج إلى اسم العالم هنري جانت Henry Gantt الذي ابتكر نماذج متعددة للعمال وأخرى للآلات وثالثة لتقدم العمل وهكذا .. ويوضح الشكل رقم (٢) شرحاً مبسطاً لكيفية استخدام نموذج «جانت» لإبراز الأجزاء الداخلة في مشروع أتمته المكتبة .



الشكل رقم (٢) نموذج مخطط جانت

ويمكن أن نستخلص من البيانات التي يشملها النموذج مايأتي :

١) تستغرق المرحلة الأولى "دراسة المشروع" من العملية ٥ أسابيع بينما تستغرق العملية الثانية ٣ أسابيع وهكذا ...

٢) تبدأ العملية في الأسبوع الأول من شهر محرم وتنتهي في الأسبوع الرابع من شهر رجب .

٣) لا يمكن البدء في المرحلة الثانية "طرح المناقصة" قبل استكمال العمل في المرحلة الأولى ، بينما يمكن أن يبدأ العمل في المرحلة الثالثة " تلقي العروض " قبل انتهاء المرحلة الثانية ، وتحديداً بعد أسبوع من بداية المرحلة الثانية ، وهكذا .

وتظهر أهمية نموذج «جانت» في دراسات بحوث العمليات التي تعنى بالنشاطات التي يتم تنفيذها على عدة مراحل ، مثل مشروع أتمتة المكتبات ، وكذلك الإجراءات الفنية في المكتبة ، حيث تنتقل الكتب من وحدة لأخرى ومن نشاط إلى آخر ، ويصبح من الضروري دراسة الوقت الذي تستغرقه كل مرحلة .

٢ - نموذج شبكة العمل Network Model :

يمكن تعريف نموذج شبكة العمل بأنه المخطط التوضيحي الذي يستخدم لتمثيل خطوات المشروع (مشروع أتمتة المكتبات مثلاً) وذلك بهدف إحكام عمليات التخطيط والرقابة على تنفيذ وتقييم العمل ، ومن أبرز أشكال نموذج شبكة العمل ما يأتي :

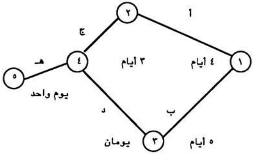
١ - طريقة المسار الحرج Critical Path Method (CPM)

٢ - طريقة تقييم ومراجعة البرامج Program Evaluation and Review Technique (PERT)

ويعود الفضل في اكتشاف طريقة المسار الحرج إلى العالم جيمس كيلي James Kelley الذي كان يعمل مع إحدى الشركات الاستشارية ، وقد استطاع كيلي وزملاؤه عام ١٩٥٧م تصميم نموذج لجدولة عمليات إنشاء مصنع كيميائي ، أما طريقة تقييم ومراجعة البرامج فتعتبر امتداداً لكل من خرائط «جانت» التي سبق الحديث عنها ، وطريقة المسار الحرج . وقد قام ويلارد فازر Willard Fazar الذي كان يعمل في مكتب المشاريع الخاصة بوزارة الدفاع الأمريكية عام ١٩٥٨م والذي استفاد من فلسفة عمل طريقة المسار الحرج بتصميم نموذج جديد عرف بطريقة تقييم ومراجعة البرامج (١٥) .

ومن هنا فإن فلسفة عمل كلتا الطريقتين تكاد تكون واحدة ، ولذلك تستخدمان معاً في بحوث العمليات بما يعرف بنموذج شبكة العمل ، والفرق الوحيد بين الطريقتين هو أن طريقة المسار الحرج تهتم بحساب وقت واحد هو المسار الحرج الذي يمثل أطول وقت يمكن فيه تنفيذ العملية ، بينما تهتم طريقة تقييم ومراجعة البرامج بحساب ثلاثة أزمنة هي الوقت المتشائم ، الوقت المتفائل ، والوقت الأكثر احتمالاً ، وذلك بهدف حساب الوقت المتوقع للنشاط وفقاً لمعادلة رياضية خاصة بهذه الطريقة .

ويوضح الشكل (٣) فكرة عمل نموذج الشبكة ، حيث يمكن قراءة واستنتاج عدد من العناصر كما يلي :



الشكل (٣) نموذج شبكة العمل

١ - أن النشاط (أ) يبدأ عند النقطة (١) وينتهي عند النقطة (٢) ويستغرق ٤ أيام .

٢ - لا يمكن البدء في النشاط (ج) قبل الانتهاء من النشاط (أ) ، وكذلك فإنه لا يمكن البدء في النشاط (هـ) قبل الانتهاء من النشاطات رقم (أ ، ب ، ج ، د) .

٣ - يمكن البدء في النشاطين (أ ، ب) في وقت واحد ، ولكن ينتهي العمل فيهما في وقتين مختلفين .

٤ - يلزم لإنهاء العملية القيام بـ ٥ أنشطة أو مراحل هي (أ ، ب ، ج ، د ، هـ) .

٥ - أن المراحل الداخلة في العملية مترابطة ومتصلة .

٦ - أن أي تأخير في القيام بالعمل في مرحلة من المراحل يتبعه تأخير في البدء بالمراحل التالية .

٧ - أن طول الخط الذي يمثل النشاط لا يعبر عن المدة اللازمة لتنفيذ ذلك النشاط .

٨ - أن هناك بداية واحدة ونهاية واحدة للعملية تبدأ عند النقطة (١) وتنتهي عند النقطة (٥) .

ويلاحظ من النموذج أنه بالإضافة إلى المدة الي يمكن التعبير عنها بأي وحدة زمنية (أيام ، ساعات ، دقائق ، الخ) فإنه يمكن توضيح الموارد البشرية والمادية التي يستلزمها العمل في كل مرحلة على النموذج نفسه ، مما يمكن من الحصول على صورة متكاملة عن سير العمل في المراحل المختلفة ، كذلك فإن النموذج يمكن كلاً من إدارة المكتبة وإدارة المشروع من التعريف بالهدف النهائي الذي تسعى

المكتبة إلى تحقيقه والمسارات أو الطرق التي يمكن اتباعها لبلوغ ذلك الهدف ، وبذلك فإن النموذج يمثل أداة هامة لمتابعة ومراجعة العمليات على الطبيعة لمعرفة مدى التزام كل وحدة بالتقديرات المحددة سلفاً .

٣ - نموذج نظرية الصفوف
Queuing Theory Model

تعرف نظرية الصفوف بأنها عبارة عن دراسة رياضية لطبيعة العناصر التي تؤدي إلى تكوين صف الانتظار الذي ينشأ نتيجة التذبذب في طلب الخدمة وعدم انتظام وصول الوحدات طالبة الخدمة إلى مركز الخدمات ، فعندما يكون مستوى الطلب أكبر من مستوى عرض الخدمة تنشأ تلك الصفوف ، وعندما يكون الحال عكس ذلك ينتج عطل في مراكز الخدمة ، لذلك فإن نظرية الصفوف تعنى بدراسة كلتا الحالتين ، حالة زيادة الطلبات وحالة انخفاض الطلبات عن قدرة مراكز الخدمة . ويعود تاريخ هذه النظرية إلى الخمسينات الميلادية عندما قامت أول دراسة في المملكة المتحدة عام ١٩٥٣م لحل مشكلة وصول بواخر البضائع إلى الموانئ وتنظيم تفريغها ، واستهدفت تحقيق توازن اقتصادي عن طريق توفير مراس كافية من أجل تقليل وقت انتظار تلك البواخر ، ومن ثم الحد من الصفوف (١٦) .

وهناك أربعة عناصر أساسية تدخل في تطبيق هذه النظرية وهي :

أ) ظروف مراكز الخدمة :

وتتحكم في تلك الظروف عدة عناصر منها :

* تعطل مراكز الخدمة .
* نقص الموظفين بسبب غياب عدد منهم .
* مواسم الخدمة (موسم الامتحانات وما يشهده من زيادة طلبات الإعارة مثلاً لتلبية احتياجات الأبحاث والتقارير والاستعداد لأداء الامتحان) .

ب) معدل وصول طلبات الخدمة :

وذلك أن يكون معدل وصول المستفيدين أكبر من طاقة مركز الخدمة ، بمعنى أن يصل إلى وحدة الإعارة ستة مستفيدين ، بينما يتولى ثلاثة فقط إجراءات الإعــارة مما ينتج عنه صف انتظار من ثلاثة مستفيدين ، وفي حالة حدوث العكس أي وصول اثنين من المستفيدين فقط فإن ذلك يتسبب في حدوث عطل في أحد مراكز الخدمة ، وهكذا .

ج) سلوك طالبي الخدمة :

حيث يشكل وصول طلبات الخدمة عنصراً هاماً في تكوين صفوف الانتظار ، وإذا ما تم تطبيق هذه النظرية على المستفيدين من خدمات الإعارة مثلاً ، فإن سلوك المستفيدين ومدى التزامهم بالنظام يمكن أن يؤثر في طول صف الانتظار ، ويظهر ذلك جلياً في الحالات التالية :

* رفض المستفيدين أو بعضهم الوقوف في صف الانتظار .
* انتقال المستفيدين أو بعضهم من صف لآخر (في حالة وجود عدد من موظفي الإعارة) .
* وقوف المستفيدين أو بعضهم أمام مركز خدمة خطأ ، كأن يقف من يطلب تجديد الإعارة في صف أمام مركز يختص بالإعارة فقط أو وقوف بعض المستفيدين في الصف للاستفسار عن أمر ما ، الخ .

د) قواعد توفير الخدمة :

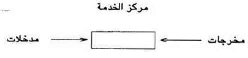
وتتمثل في الكيفية التي يتم بها تقديم الخدمة وفقاً للأسس التلية :

* من يصل أولاً يخدم أولاً .
* من يصل أخيراً يخدم أولاً .
* يتم اختيار طلبات الخدمة حسب الأولوية .

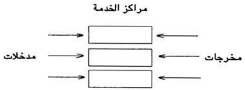
وتتجلى هذه القواعد بشكل واضح في قسم الفهرسة ، حيث تضع المكتبة قواعد تنظم معالجة الكتب ، فإما أن يتم البدء في فهرسة الكتب التي وصلت أولاً إلى قسم الفهرسة أو أن يتم البدء في فهرسة الكتب أخيراً في حالة تكدس الكتب على طاولة مسندة إلى الجدار بحيث يكون من السهولة البدء في الكتب التي تكون في متناول المفهرس والتي تكون قد وصلت أخيراً ، أو أن تتم فهرسة الكتب حسب أولوية معينة تفرضها عوامل مثل اختيار وفهرسة الكتب الدراسية أولاً نظراً لقرب بدء العام الدراسي وهكذا..

وتتشكل صفوف الانتظار على عدة أشكال حسب التنظيم المتبع في المكتبة .

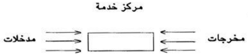
وتبيِّن الأشكال (٤ - ٦) بعض الاحتمالات الممكنة لصفوف الانتظار .



الشكل (٤) يمثل صفاً واحداً ومركز خدمات واحداً



الشكل (٥) يمثل صفوفاً متعددة ومراكز خدمات متعددة



الشكل (٦) يمثل صفوفاً متعددة ومركز خدمة واحداً

ويعتمد استخدام نظرية الصفوف على مجموعة من المعادلات الرياضية (١٧) منها :

١ - لحساب متوسط وقت الانتظار يتم تطبيق المعادلة التالية :

$$م = \frac{١}{ق - و}$$

حيث م = متوسط وقت الانتظار .
ق = معدل قدرة المركز على أداء الخدمة
و = معدل وصول المستفيدين من الخدمة

٢ - لحساب الطاقة العاطلة أو غير المستغلة يتم تطبيق المعادلتين التاليتين :

$$س = \frac{و}{ق}$$

$$غ = ١ - س$$

حيث س = معدل استخدام طاقة المركز
غ = طاقة غير مستغلة

٣ - لحساب وقت الانتظار في الصف أي متوسط الوقت المستغرق في الانتظار قبل الاستفادة من الخدمة المقدمة في مركز الخدمة تطبق المعادلة التالية :

$$ص = \frac{و}{ق\,(ق - و)}$$

حيث ص = وقت الانتظار في الصف قبل الاستفادة من الخدمة .

٤ - لحساب متوسط عدد طالبي الخدمة في صف الانتظار (طول صف الانتظار) تطبق المعادلة التالية :

$$ط = \frac{و^{٢}}{ق\,(ق - و)}$$

حيث ط = طول صف الانتظار

جمع المعلومات في بحوث العمليات:

تقتضي طبيعة بحوث العمليات النظر إلى المشكلة موضوع البحث من جميع جوانبها ويتطلب ذلك جمع المعلومات اللازمة على أربعة مستويات أساسية هي مستوى المجال أو التخصص ، مستوى المنظمة ، مستوى إدارة الوحدة ، مستوى العملية أو المشكلة (١٨) وعلى افتراض أن المشكلة موضوع البحث تتعلق ببطء إجراءات الإعارة في مكتبة جامعية فإن مستويات جمع المعلومات تكون كالآتي :

أولاً : مستوى المجال أو التخصص (المكتبات والمعلومات) :

وفي هذا المستوى يتم جمع المعلومات المتعلقة بالوضع الحالي للمجال أو التخصص من حيث مستوى التقنية المتوافرة وإمكانية تطبيقها في الأغراض المكتبية ، كذلك فإن المعلومات في هذا المستوى تجيب على تساؤلات مثل : ما المتغيرات التي تحدث في التخصص ؟ ما أثر التحول إلى الفهرس الآلي على إجراءات التزويد والفهرسة وخدمات المراجع ؟ ما أنظمة الفاكس المتوافرة وكيف يمكن أن تلبي احتياجات نظام الإعارة بين المكتبات ؟ ما برامج الحاسب الآلي المتوافرة التي يمكن الإفادة منها ؟ ، الخ.

ثانياً : مستوى المنظمة (المكتبة) :

ويتم التعرف في هذا المستوى على أهداف وسياسات المكتبة كما تتضمن المعلومات التعرف على درجة المنافسة مع المكتبات الأخرى ، طبيعة المستفيدين ومستوياتهم ، الإجراءات الخاصة بالخدمات وخطوط الاتصال . وفي هذا المستوى يتم أيضاً معاينة الإنتاج المكتوب الذي تصدره المكتبة المتمثل في الحاضر ، الأدلة ، المخططات التنظيمية ، نماذج العمل مثل : النماذج المستخدمة للإعارة ، لحجز المواد ، أو لاستدعاء المواد ، الخ . كذلك فإن فريق البحث يجمع في هذا المستوى أي معلومات أخرى تتعلق بالمكتبة ولها تأثير مباشر أو غير مباشر على المشكلة موضع البحث .

ثالثاً : مستوى الإدارة المتوسطة (قسم الإعارة) :

وفي هذا المستوى يتم جمع المعلومات الخاصة بالمشكلة موضوع الدراسة ويشمل ذلك معلومات عن كيفية توزيع الأعمال والصلاحيات ويكون الباحث على اتصال مباشر مع المسئول عن قسم الإعارة .

رابعاً : مستوى العملية (مشكلة بطء إجراءات الإعارة) :

وفي مستوى العملية يجمع الباحث معلومات مثل : الإمكانات والخبرات المتوافرة لأداء العمل ، رضاء العاملين وآراؤهم تجاه أداء العمل والعلاقات الرسمية وغير الرسمية التي تربط بعضهم بالبعض . وربما

يقرر الباحث في هذا المستوى استطلاع آراء المستفيدين واتجاهاتهم . ويجب على الباحث الأ يبدأ بهذا المستوى قبل جمع المعلومات في المستويات الثلاثة السابقة .

وهكذا فإن فريق البحث من خلال جمع المعلومات في هذه المستويات الأربعة يمكنه الإلمام بالمشكلة من جميع جوانبها ، وكذلك الوقوف على الحلول المكنة ، فعلى سبيل المثال قد يكون أحد الحلول للتغلب على مشكلة بطء إجراءات الإعارة إدخال الحاسب الآلي ، فهنا يمكن الإفادة من المعلومات التي جمعت في مستوى المجال من حيث أنظمة الحاسب الآلي المتوافرة ومدى تلبيتها للاحتياجات المكتبية، كذلك فإن جمع المعلومات في مستوى المكتبة يتيح التعرف على سياسات المكتبة بما في ذلك الميزانية والخبرات الفنية ، وهكذا فإن فريق البحث يأخذ في الاعتبار الميزانية المقررة قبل اتخاذ أي قرار لحل المشكلة (الأتمتة مثلاً) وكذلك القوى العاملة المتوافرة ، درجة التدريب ، إمكانية توظيف كوادر جديدة ، الخ . ونرى من ذلك أنه عندما يجد الباحث أن الميزانية تحد من عملية توظيف كوادر فنية مدربة أو توفير برامج تدريب للموظفين الحاليين فإن عليه أن يكون حذراً في اقتراح مشروع الأتمتة كبديل ، حيث يمكنه تقديم بدائل أخرى لحل مشكلة الانتظار أمام وحدة الإعارة نتيجة بطء إجراءات الإعارة .

ويجب ملاحظة أن ما يمكن اعتباره بديلاً أمثل لحل مشكلة معينة في مكتبة معينة في ظل ظروف معينة قد لا يكون كذلك لحل مشكلة أخرى في مكتبات أخرى مع اختلاف الظروف .

وتستخدم عدة أساليب لجمع هذه المعلومات في المستويات الأربعة مثل الاستبيان ، المقابلة ، الملاحظة ، مراجعة الإنتاج الفكري ، الخ .

الحاجة إلى بحوث العمليات في مجال المكتبات والمعلومات :

هل تنجح بحوث العمليات لحل مشكلات المكتبات والمعلومات كما نجحت في حل المشكلات المتعلقة بمجالات الإدارة والصناعة ومن قبل بالمجالات العسكرية ؟

يتميز مجال المكتبات والمعلومات بقدر كبير من التداخل مع عدد وافر من المجالات ، وقد ساعد ذلك على الاستفادة من التطبيقات العلمية في المجالات المختلفة لحل المشكلات المكتبية ، ويوظف الباحثون أدوات وأساليب بحثية كثيرة ظهرت في تلك المجالات وتم تطبيقها بنجاح ، ومن هذه الأساليب أسلوب بحوث العمليات .

كذلك كان من شأن توسع العمليات المكتبة وزيادة محتوياتها وتعدد أشكال الخدمة وما صاحب ذلك من زيادة وتنوع في طلبات المستفيدين أن بدأت المكتبة تفكر في وسائل جديدة لدراسة وحل مشكلاتها بهدف تطوير الخدمات وتحقيق رغبات المستفيدين بأقصى طاقة ممكنة .

وتبدي مدارس المكتبات والمعلومات في الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص اهتماماً بالغاً ببحوث العمليات ، ويتمثل ذلك في إدخال مقررات مستقلة ضمن مناهجها ، أما تلك المدارس التي لا تجد بها مقررات مستقلة ببحوث العمليات فإنها تشجع الطلاب للتسجيل في مقرر بحوث العمليات من أقسام أكاديمية أخرى بالجامعة ، مثل إدارة الأعمال (١٩) .

ومن أهم النشاطات التي تم تطبيق أسلوب بحوث العمليات فيها ما يتعلق بتنظيم المكتبة أو مركز المعلومات، وذلك لحل المشكلات التنظيمية مثل تدفق المعلومات أو تسلسل الإجراءات الإدارية ، الخ .

ويمكن تقسيم تطبيقات بحوث العمليات إلى ثلاثة أنواع كما يلي :

١ - **بحوث عمليات للتخطيط لخدمة أو وظيفة معينة ابتداء أو من نقطة الصفر from scratch** حيث يمكن لبحوث العمليات أن توفر معلومات مكثفة عن الخلفية الضرورية لتلك الخدمة أو الوظيفة من حيث الإمكانات البشرية والمادية المتاحة ، ويقوم الباحث بتحليل المعلومات المتوافرة على ضوء أهداف وظروف تلك الخدمة أو الوظيفة ، فهو على سبيل المثال يحدد أوجه القصور في هذه الإمكانات (القوى البشرية والإمكانات المادية) ويظهر كيف يمكن أن تؤثر على التخطيط لهذه الخدمة الجديدة أو لاستحداث هذه الوظيفة .

٢ - **بحوث عمليات لتطوير خدمة قائمة لمواجهة متطلبات جديدة** ، مثل الزيادة في طلب خدمة معينة ، النقص في القوى العاملة ، النقص في الميزانية اللازمة ، الخ.

٣ - **بحوث عمليات إدخال نظام جديد** ، مثلاً إدخال نظام الحاسب الآلي إلى المكتبة ، ويمكن لبحوث العمليات أن تساعد المديرين في تطوير قدراتهم على صناعة القرار واختيار البديل الأمثل الذي يلبي احتياجات المكتبة ويتفق مع الموارد المتاحة ، ويتضمن ذلك دراسة الحاجة إلى النظام ، إمكانيات النظام ، معوقات النظام ، الخ . كما يمكن أن يظهر لنا مثل هذه الدراسة الكيفية التي يمكن بها لهذا النظام أن يحل مشكلات المكتبة القائمة ، وأن يتفاعل مع الاحتياجات

المستقبلية . وأي نوع من التجهيزات يلزم توفيرها ليتمكن هذا النظام من القيام بواجباته كما يجب .

ويمكن أن نخلص مما سبق إلى أن بحوث العمليات تزود المديرين بالقاعدة العلمية أو (الأسس العلمية) التي تحدد الخطوات التي سوف تسير عليها العمليات ، وكذلك المشكلات المتوقع حدوثها .

أمثلة لبعض الدراسات :

يعتبر فيليب مورس Philip Morse الأستاذ في معهد ماشوستس التقني MIT ورئيس جمعية بحوث العمليات في الولايات المتحدة الأمريكية أول من استخدم بحوث العمليات في دراسة المشكلات المتعلقة بالمكتبات والمعلومات ، حيث قام في أواخر الستينات بدراسات عديدة استخدم فيها المكتبة لتدريب تلامذته على تطبيق أسلوب بحوث العمليات . وقد ساعد مورس على القيام بدراساته العديدة إمكانيات المكتبة وملاءمتها للاستخدام كمعمل لتدريب الطلاب على تطبيق أسلوب بحوث العمليات في مختلف نشاطات المكتبة ، بالإضافة إلى الدعم المادي الذي قدمته له بعض الجهات الأكاديمية ، وتعتبر اهتمامات مورس هي البداية الفعلية للجهود التي تلت دراساته .

ومن أبرز آراء مورس رده على الحماس الشديد الذي كان يبديه مديرو المكتبات في الولايات المتحدة الأمريكية في بدايات الستينات نحو استخدام الحاسب الآلي كحل لمشكلات المكتبة ، حيث يؤكد أن ما يجب عمله هو تطبيق أسلوب بحوث العمليات لدراسة تلك المشكلات بتعمق للتوصل إلى عدد من البدائل قد يكون الحاسب الآلي أحدها . إن أبرز ما يركز عليه «مورس» في هذا الرأي هو أن تسبق البدء في مشروع مكلف ، دراسات وافية يمكن للمكتبة من خلالها التأكد فعلاً من جدوى كل البدائل الممكنة لحل مشكلاتها (٢٠) .

ومن الدراسات الأولى التي قام بها «مورس» دراسة تتعلق بالتعرّف على معدلات التغيير في استخدام الكتاب خلال فترات زمنية مختلفة (٢١) وذلك بهدف رسم سياسات التزويد ، الإعارة ، التخزين ، الاستبعاد . وقد أظهرت هذه الدراسة مدى توافر الكتب في الأماكن المخصصة لها عند حاجة المستفيدين إليها ، وعلاقة ذلك بالسياسة التي تتبعها المكتبة ، سواء فيما يتعلق بالتزويد أو الإعارة أو وضع الكتب على الرفوف المخصصة لها ، وقد صمم مورس عدة نماذج وجهها إلى أمناء المكتبات لاتخاذ القرار المناسب فيما يتعلق بتوزيع الميزانية على عمليات شراء الكتب والاشتراك في الدوريات ، شراء النسخ المكررة ، اختيار نظام ترفيف الكتب على أساس الرفوف المفتوحة Open Shelves أو الرفوف المغلقة Closed Shelves ، والنسخ المحجوزة ، وحل مشكلة حجم ومواقع الرفوف . ومن ناحية أخرى درس «مورس» مدى التغيير الذي يطرأ على رضاء المستفيدين نتيجة تغيير سياسات المكتبة فيما يتعلق بإجراءات الإعارة ، شراء النسخ المكررة وعمليات إعادة ترفيف الكتب بعد استخدامها ، وذلك في مقارنة مع تكاليف تلك العمليات ، وبمعنى آخر درس «مورس» مقدار تكاليف التطوير الذي يمكن أن يحقق أكبر قدر من رضاء المستفيدين .

وفي دراسة أخرى لمورس (٢٢) تعرض لدراسة أسلوب استعراض الرفوف Browsing للوصول إلى المادة المطلوبة ، حيث قام بقياس الوقت الذي يستغرقه البحث من المادة المطلوبة وكذلك العلاقة بين طريقة ترتيب المجموعات المكتبية واحتياجات المستفيدين الذين يستخدمون أسلوب استعراض الرفوف . وقد بيّن «مورس» الطريقة الفعالة لترتيب محتويات المكتبة حسب تنظيمها إلى المراجع ، المجموعات العامة ، المجموعات الخاصة ، الخ بما يمكن من تطوير نتائج تطبيق أسلوب استعراض الرفوف .

وقد ظهرت دراسات أخرى وخصوصاً في نهاية الستينات في كل من جامعات شيكاغو ، بنسلفانيا ، بوردو، كيس وسترن ، الخ . وقد ساعدت هذه الدراسات ليس فقط في حل المشكلات التي تناولتها ، ولكن أيضاً في فتح مجال تطبيق بحوث العمليات في المكتبات والمعلومات ، ومن ضمن المجالات التي تم استخدام بحوث العمليات فيها تقييم الحاجة إلى الموظفين وتوزيعهم على الوحدات المختلفة في المكتبة ، كذلك تصميم مباني المكتبة والتخطيط للميزانيات بالإضافة إلى رسم السياسات التعاونية بين عدد من المكتبات .

ومن المجالات الأخرى التي تناولتها تلك الدراسات موضوع قياس إنتاجية المكتبات وضبط التكلفة وكذلك مشكلات الناشرين ودراسة العلاقة بين تكاليف تجهيز المواد المكتبية واستخدامها (٢٣) .

وبالإضافة إلى دراستي «مورس» الشهيرتين يورد ليمكوهلر Leimkuhl (٢٤) عدداً من الدراسات التي استخدمت منهج بحوث العمليات ، نذكر فيما يلي أمثلة لها :

قام كل من رافيل وشيسكو Raffel and Shisko (٢٥) بدراسة لقياس درجات الأفضلية لتوزيع ميزانية المكتبة من وجهة نظر المستفيدين بغرض تحسين وتطوير خدمات المكتبة ، وقد وجدا أن المكتبة تنفق الجزء الأكبر من الميزانية لإعداد المساحات المخصصة للأشخاص أكثر مما تنفقه لإعداد المساحات المخصصة للكتب ، وأوصت الدراسة بتغيير سياسة

المكتبة بحيث تخصص مساحات أكبر للكتب مع تشجيع الإعارة للاستخدام الخارجي ، كما أوصت الدراسة بتمديد فترات الإعارة لتحقيق هذا الاقتراح .

وكذلك دراسة بكلاند Buckland وآخرين (٣٦) التي ركزت على قياس مستويات الطلب على مجموعة من الكتب في مكتبة جامعة لانكستر ، وتشبه هذه الدراسة إلى حد كبير دراسة «مورس» حيث قام الباحثون باختبار احتمالات وجود الكتاب في المكان المخصصة له عند الطلب ، وتحليل النتائج في ضوء الاعتبارات الي يمكن أن تؤثر على وجود أو عدم وجود الكتاب ، مثل سياسات الإعارة ومدتها ، وعدد النسخ المتوافرة من كل عنوان ، درجة الاستخدام داخل المكتبة ، الخ . إلا أن الفرق الأساسي بين هذه الدراسة ودراسة مورس هو أن دراسة بكلاند استخدمت نماذج تم تطبيقها على الحاسب الآلي ، وقد افترضت الدراسة عدد النسخ التي يجب اقتناؤها من بعض الكتب التي تتميز بزيادة الطلب عليها ، كما أوصت بتعديل سياسة الإعارة .

وهناك دراسة قام بها كل من ليمكوهلر وكوكس Limkuhler and Cox (٢٧) للتعرف على الطرق العملية التي تكفل تخزين الكتب على الأرفف على أساس أحجامها ، وقد قاما بتصميم نموذج رياضي يمكن للمكتبة استخدامه عند تصميم أرفف الكتب ، وقد أظهر هذا النموذج كيف يمكن للمكتبة أن تحدد مقدار الزيادة في حجم التخزين ، وذلك باستخدام «حجم الكتاب» كمعيار للترفيف Shlving .

صعوبات تطبيق بحوث العمليات في مجال المكتبات والمعلومات :

تعتمد بحوث العمليات - كما ذكرنا آنفاً - علي القياسات الكمية أو الرياضية ، ويمكن تلخيص المشكلات التي تنتج عن ذلك فيما يلي :

أولا : بعض الخدمات المكتبية لا يمكن قياسها كمياً ، كما لا يمكن قياس مدى الاستخدام كمياً ، فسجلات الإعارة لا تدل على استفادة القراء من المواد المستعارة ، وكذلك فإن عدد رواد المكتبة لا يدل على مدى استخدام المجموعات المكتبية .

ثانياً : لا يمكن تحديد مدى رضاء المستفيدين من الخدمات المقدمة بالأرقام وعلى وجه الدقة .

ثالثاً : لا يمكن تحديد وقت معين لإنجاز بعض الخدمات مثل الإعارة بين المكتبات ، حيث إن طلب مادة معينة من مكتبة أخرى يستغرق وقتاً يتفاوت من حالة لأخرى طبقاً لمدى توافر الكتاب في تلك المكتبة عند وصول الطلب ، ومدى الرغبة في استجابة تلك المكتبة للطلب وغيرها من العوامل ، الأمر الذي يستدعي النظر إلى كل حالة على حدة وعدم التعميم .

رابعاً : يفتقر غالبية أمناء المكتبات إلي الخلفية الرياضية والإحصائية التي تعتبر من أهم متطلبات القيام ببحوث العمليات (٢٨) ، لذلك تلجأ المكتبات إلى الاستعانة بالهيئات والمؤسسات الاستشارية المتخصصة للقيام بتلك البحوث (٢٩) مما ينتج عنه مشكلات أخرى منها :

(١) لا تتمكن الجهات الأخرى من فهم مشكلات المكتبة والتفاعل مع متطلبات التخصص كما يمكن للمتخصص ، ولذلك فإن تلك الجهات تحتاج إلى وقت طويل حتى تتمكن من فهم واستيعاب المشكلة .

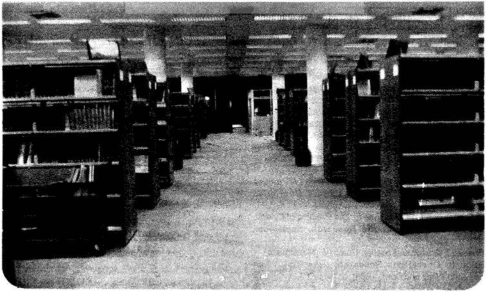
(٢) يترتب على الاستعانة بالهيئات الاستشارية المتخصصة في مجال بحوث العمليات تكاليف باهظة قد تعجز المكتبة عن تحملها .

ويكمن الحل في أن يتلقى أمناء المكتبات تدريبات في تصميم وتحليل النظم وتقنيات بحوث العمليات ، حيث إن ذلك يمكنهم من القيام بدراسات بحوث العمليات بشكل أفضل ، لأن ذلك يساعد على توظيف معلوماتهم وخبراتهم المهنية ، وكذلك خلفيتهم في مجال بحوث العمليات لحل المشكلات المكتبية .

الهوامش

1 - Edward G. Evans, Management Techniques for Librarians. New York : Academic Press, 1983, p. 47.
2 - Ibid., p. 48 .
3 - Edward T. O'Neill, " Operations Research " **Library Trends**, Spring, 1984, p . 511 .
4 - Ferdinand F. leimkuhler, "Operations Research " in Encyclopedia of Library and Information Science, ed Allen Kent, H. Lancour, and J.E. Daily, (New York : Marcel Dekker, 1977), pp. 412 - 3 .
5 - ----------------, " Library Operation Research : A Process of Discovery and justification " . **Library Quarterly**, January, 1972, p. 85 .
6 - T. E . Caywood, " Guidelines for the Practice of Operations Research", **Operations Research**. September, 1971, p. 1138 .
7 - Russell I. Ackoff and patrick Rivett, **A Manager's Guide to Operations Research,** (New York - London : John Wiley and Sons, 1963), p. 10.

8 - Abraham Bookstein and Don R. Swanson, " Introduction " in **Operations Research : Implications for Libraries** ed Don R. Swanson and Abraham Bookstein, (Chicago & London : University of Chicago Press, 1972), p. 1.
9 - Saul I. Gass, " Decision - Aiding Models : Validation, Assessment, and Related Issues for Policy Analysis", **Operations Research** . July, Augus, 1983 , p . 603.
10 - Jenny E. Rowley and Peter J. Rowely, Operations **Research : A Tool for Library, Management,** (Chicago : ALA, 1981), p. 1.
11 - Leimkuhler, " Operations Research " in Encyclopedia of Library and Information Science, p . 414.
12 - Rowley, p. 3.
13 - Charles H. Busha and Stephen P. Harter, **Research Methods in Librarianship : Techniques and Interpretation,** New York : Academic Press, 1980, p. 123.
14 - Evans, p. 121.
15 - Mervin Kohn, Dynamic Managing: Principles, Process Practice, California : Cummings Pulishing Company, Inc., 1977, pp . 121 - 2 .
16 - Donald Kraft, " Library Operation Research" , in **Proceedings of the LARC Institute on Library Operations Research,** ed H. Willian Axford, Arizona : LARC Associtlon, 1973, p. 42 .
١٧ - حسن أبو ركبة ، **بحوث العمليات وتطبيقاتها في مجال الإدارة** ، جدة : دار البلاد ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٢٨ .
18 - Philip C. Semprevivo, **System Analysis : Defenition, Process, and Design,** Chicago : Science Research Association, Inc., 1982, p . 146 .
١٩ - أحمد بدر ، **دراسات في المكتبة والثقافتين** ، جدة : شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٣٧ .
20 - Philip M. Morse, Library Effectiveness : A Systems Approach Cambridge, Mass : MIT Press, 1968 .
21 - Ibid,
22 - --------------- , " Search Theory and Browsing ", Lib. Quart 40 , pp . 391 - 408 (1970) .
23 - -------------------, " The Practice of Operations Research in Libraries " , **Collection Management,** Summer / Fall, 1979, p. 133.
24 - Ferdinand F. Leimkuhler, " Operations Research " , in Encyclopedia of Library and Information Science, ed Allen Kent, H. Lancour, and J. E. Daily, New York : Marcel Dkker, 1977, pp . 422 - 7.
25 - J. A . Raffel, and R. Shisko, Systematic Analysis of University libraries : An Application of Cost - Benefit Analysis to the M.I.T. Libraries, MIT Press, Cambridge, Mass., 1969.
26 - M . K. Buckland, **Book Availability and the Library Users,** New York : Pergamon, 1975 .
27 - Ferdinand F. Leimkuhler and Grady J. Cox, " Compact Book Storage in Libraries", **Operations Research,** May / June, 1964, pp. 419 - 27 .
28 - William B. Rouse and Sandra H. Rouse, " Use of a Librarian / Consultant Team to Study Library Operations", **College and Research Libraries,** September, 1973, p. 242.
29 - Ibid., p . 242 .



«حول مصطلح التراث»

في كتابي إسلامية المعرفة و «وجيزه»

عماد الدين خليل

الأستاذ بجامعة الموصل "سابقا"

يتضمن كتابا (إسلامية المعرفة) و (وجيزه) اللذان أصدرهما المعهد العلمي للفكر الإسلامي في عامي ١٩٨٦م و١٩٨٧م مداخلة بصدد مصطلح (التراث) قد تحتاج إلى وقفة قصيرة (وسيتم هنا التأشير على الشواهد من كتاب الوجيز لأنه الأكثر انتشارا) .

ففي الصفحة ٣٣ من الكتاب المذكور ترد العبارة التالية في الفقرة (و) " البدء بأعمال تمكين الفكر الإسلامي ... من استيعاب الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي" .

والأصول الإسلامية هي كتاب الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، أما التراث الإسلامي فهو معطيات الآباء والأجداد التي تعكس - بدرجة أو بأخرى - مطالب هذه الأصول على المستويين المعرفي والحياتي . والعبارة المذكورة تتميز بدقة صياغتها لأنها تفرق بشكل حاسم بين الأصول وبين التراث ، بين المعطى الإلهي والنبوي ، وبين المعطى البشري . وهي ترد كذلك في أماكن أخرى من الموجز ففي ٣٩ ترد العبارة التالية : " تمكين المثقف المسلم من أصول الفكر الإسلامي ونفائس التراث" . وفي ٤٠ ترد العبارة نفسها مرتين : " التمكن من الفكر الإسلامي ومن نفائس تراثه " . وفي ٨٤ ترد الفقرة التالية : " لابد للدارس من أن يتمكن من أصول الإسلام الأساسية وهي القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة ... ومن التراث الإسلامي .. في كل مجالات العلوم والفنون والقضايا الحياتية المعاصرة" كما أننا نقع في الصفحتين ٤١ - ٤٢ على التعليق التالي : " إن أي ادعاء بالقدرة على الأصالة الإسلامية .. وجعلها جزءاً من كيان الأمة ... وعطائها العلمي والحضاري ، لايمكن أن يتم إذا كانت ثقافة المثقفين من رجال الأمة تقوم في معزل عن أصول الإسلام الكبرى وهي القرآن الكريم ، والسنّة النبوية المطهرة ، والروافد الشارحة الموضحة لسنّة وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، واجتهادات أصحابه الكرام رضي الله عنهم " . فهنا تفريق واضح بين " الأصول " و"الروافد " ، وهذه الأخيرة يمكن حسبانها على دائرة التراث جنبا إلى جنب مع سائر المعطيات المعرفية التي شهدتها حضارة الإسلام في دوائر العلوم الإنسانية والصدفة والتطبيقية . (انظر الصفحات ٣٨ ، ٤٨ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٩١ من الوجيز) .

إن هذه الثنائية يجب أن تظل واضحة الحدود ، حاضرة في ذهن المسلم - وحتى غير المسلم - وألاّ نقع في مظنة وضع الأصول والتراث معاً في دائرة التراث ، لأن المصدر يختلف تماما ، ولأن أولهما تنبثق عن علم يقيني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بينما تصدر الأخرى عن جهد بشري قد يخطئ وقد يصيب . فإذا تذكرنا المحاولات الوضعية - العلمانية المعاصرة - التي تتعمّد حسبان الأصول الإسلامية على دائرة التراث لغرض التلبيس والخلط بين الاثنتين ، بين اليقيني والاجتهادي ، بين الثبات والمتغيّر ، بين الغيبي والمنظور ، بين الإلهي والبشري ، وكذلك لتحجيم الأصول العقيدية زمنيا واعتبارها مسألة تاريخية صرفة ... إذا تذكرنا هذا أدركنا ضرورة التأكيد على الفصل بين الاثنتين ، والحذر من وضع الأصول العقيدية الحركية ، دائمة الفاعلية ، تحت المظلة التراثية ، المتحفية ، الساكنة .

ولكننا لو مضينا في قراءة كتاب (إسلامية المعرفة) و (وجيزة) فإننا سنعثر في أكثر من موضع على هذا التداخل بين الاثنتين .

ففي الصفحتين ٤١ - ٤٢ - مثلا - يرد الإيضاح التالي للمطلوب من التراث ، وهو أنه على أنواع ثلاثة : **النوع الأول** : أصول الإسلام الكبرى وهي القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة . **النوع الثاني** : أثار السلف الصالح من علماء الصحابة والتابعين . **النوع الثالث** : فكر علماء الأمة ومفكريها وقادتها المصلحين على مرّ العصور " .

بل إن هذه التقسيمات ترد في الأساس تحت عنوان «التمكن من التراث » (فقرة ج صفحة ٣٩) فكأن الأصول الإسلامية قد حكم عليها - والحال هذه - أن تعتقل في دائرة التراث .

ومن أجل تجاوز إشكالية كهذه ، وتأكيد ضرورة الفصل بين الأصول العقيدية وبين التراث ، لابد من متابعة سريعة لهذه المفردة الأخيرة لغة واصطلاحا لتبيّن ما تنطوي عليه .

تكاد المعاجم العربية كافة تجمع على أن كلمة (تراث) مشتقة - لغة- من الفعل الثلاثي (ورث) أي تلقي تركة الآباء

إن اللغويين من أصحاب المعاجم يقفون عند هذا الفعل فيقلبونه على وجوهه بما لا يخرج عن المعنى المذكور . وعبر جولة في عدد من هذه المعاجم (كمحيط المحيط ، والمنجد ، والمصباح المنير ، والمغرب في ترتيب المعرب ، ومعجم وسيط اللغة العربية) نلتقي بهذه التصريفات والمعاني وهي جميعا تصب في بحر واحد .

ورث ، يرث ، ورثا ، وورثا ، وارثا ، وارثة ، ورثة ، وتراثا .

ورث فلان فلانا : انتقل إليه مال فلان بعد وفاته .

يقال ورث المال والمجد عن فلان : إذا صار مال فلان ومجده إليه .

ورث الرجل مالاً : جعله ميراثا له .

ورث الرجل فلانا : جعله من ورثته .

أورثه إيراثا : جعله من ورثته .

أورثه مالا : جعله له ميراثا .

توارث القوم : ورث بعضهم بعضا .

الإرث والورث والوراثة والتراث : مصادر ، ما يخلفه الميت لورثته والجمع ورّاث وورثة .

وهم يشيرون إلى أن كلمة (تراث) تعنى ما يخلّفه الرجل لورثته وأن التاء فيها أصلها "واو" فهي الوارث .

وثمة معان قريبة لهذا المصدر منها : توارثتني الحوادث ، أي تداولتني . ومنها : وهو على إرث له من كذا ، أي ملازم له لا يفارقه (١) .

والمعنى نفسه يرد في القرآن الكريم خلال تفسير الآية المعروفة في سورة الفجر (وتاكلون التراث أكلا لّما) (٢) : أي الميراث (٣) .

ويبدو أن المعنى ازداد نطاقه اتساعا في حركة ممتدة من الخاص إلى العام ، فاصبح التراث يعني تركة الأجيال للأجيال ، أو معطياتهم التي يتناقلها جيل عن جيل ، أو ما يخلفه جيل الآباء للأبناء في الإطار التاريخي العام .

إننا فضلا عن البعد الزمني الذي تتضمنه الاشتقاقات آنفة الذكر ، من خلال عملية انتقال بين جيلين أو أكثر من الناس ، من خلال تواصل زمني بين الماضي والحاضر ، نلمح – كذلك – أبعادا أخرى : المداولة (٤) أي التسليم والتسلم .. والأصالة عندما نقرأ عبارة كهذه : "وهو على إرث له لا يفارقه ، أي ملازم له " (٥) .

المفهوم المعاصر للتراث لا ينفصل إذَنْ عن أصوله اللغوية ، فهو تعامل مع تركة الأجيال الماضية ، وهو تداول لهذه التركة بين الأجيال ، وهو تمسك بهذه التركة وعدم النزوع إلى مفارقتها ، أو التخلي عنها وتركها للنسيان .

ما الذي تقوله القواميس ، إنها تعرفني المعنى نفسه ، فكلمة Heritage , Hereditament ترد بمعنى : إرث ، أو ميراث ، أو تركة ، أو مال موروث ، أو تراث (٦) . ومشتقات Heritage تقود إلى ما يقابلها من اشتقاقات عربية من مثل :

الوريث ، الوارث : Heritor

وراثيا ، على سبيل الوراثة ، بالوراثة : Hereditarily

وراثي ، منتقل بالوراثة : Hereditary

موروث (٧) : Inherited

طبعا ، هنالك مصطلح علم الوراثة المعروف (Heredity) والذي يعني انتقال صفات مميزة للفرد من جيل إلى جيل .

ويقف الدكتور ايكه هو لتكرانس ، أستاذ علم الأديان المقارن بجامعة استكهولم بالسويد طويلا عند مصطلح (الإرث الثقافي) في كتابه (قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور) . فهو يعرف الأدب الشعبي (Folk Fiction) بانه يعد جزءًا هاما من التراث الشعبي ويتضمن : الحكايات الشعبية والأغاني الشعبية ، وأهازيج الطقوس الدينية Rigmaroles.. إلى آخره . وهو يعرف الإرث الثقافي Culture Heritage بانه الثقافة أو النتاج الثقافي الموروث من أجيال سابقة ، إلاّ أنه يجب التمييز بين الإرث الثقافي والإرث الثقافي المشترك Common Cultural Heritage الذي هو مواد ثقافية في ثقافات مختلفة ترجع إلى ثقافة أم مشتركة .. ويصل إلى القول " إن الإرث الثقافي المشترك شاهد على (الاستمرارية الثقافية) .. وهي استمرارية ممتدة من بداية الوجود البشري حتى الوقت الحاضر " (٨) .

فنحن إذن إزاء تواصل زمني في المعطيات الثقافية بين ثقافة واحدة ، أو بين عناصر عديدة من ثقافات مختلفة وهذا يقربنا نوعا ما من مصطلح التراث المعتمد في الدوائر التراثية المتخصصة . وهو لتكرانس يؤكد هذا في تعريفه لمصطلح استمرارية التراث Traditional Continuaity من أنه " الصلة بين التراث القديم والجديد ، أو عناصر التراث المختلفة (٩) .

مهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نتصور مصطلح التراث دوائر ثلاث يضيق بعضهما عن البعض الآخر وصولا إلى التراث بمفهومه الوظيفي الصرف .

فالتراث لغة يمكن أن يكون « الحضارة المتناقلة بين الأجيال بجانبيها المادي والثقافي » على اعتبار أن مصطلح الحضارة يتضمن هذين الجانبين . والتراث اصطلاحا يمكن أن يكون « الثقافة المتناقلة بين الأجيال بما تتضمنه من أفكار وفلسفات وعادات وتقاليد ورؤى وجماليات وأذواق » إلى آخره . أما على المستوى الوظيفي ، ومن أجل التمييز بين النشاط الآثاري والنشاط التراثي ، فقد انصب مفهوم التراث على التعامل مع معطيات القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة من الزمن بينما تمضي الآثار راجعة إلى الوراء لكي تتعامل مع عمق زمني أبعد وأشد إيغالا في الماضي .

وهكذا فإن التراث كمعطى بشري لايمكن أن ينطوي في الوقت نفسه على أصول الإسلام الكبرى : قرآنا وسنّة ، ولايمكن لهذه أن تندرج في سياق الترث .. إن المعاجم والقواميس والأنشطة الوظيفية المتعلقة بمفردة « التراث » تؤكد في نهاية الأمر على أنها تركة الآباء للأبناء . ولم تكن الأصول الإسلامية المتجذّرة في الوحي والنبوة والغيب تركة إنسان أو جيل من الناس ، وإنما هي المعطيات القادمة من السماء للناس جميعا .

الهوامش :

(١) لويس معلوف : المنجد ص ٩٩٠ - ٩٩١ (الطبعة ١٣ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت - ١٩٥٢م) ، أحمد بن أحمد الفيومي : المصباح المنير ٨١٤/٢ - ٨١٥ (الطبعة الثانية ، المطبعة الأميرية ، القاهرة - ١٩٠٦م) ، ناصر ابن علي المطرزي : المغرب في ترتيب المعرب ٢٤٥/٢ - ٢٤٦ (دائرة المعارف ، حيدر أباد ، الهند - ١٣٢٨هـ) ، بطرس البستاني: محيط المحيط ١٦/١ (طبعة سنة ١٨٧٦م) ، عبدالله البستاني : الوافي ٦٩٩ (مكتبة لبنان ، بيروت - ١٩٨٠م).

(٢) سورة الفجر ، الآية رقم ١٩ .

(٣) إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ٥٠٩/٤ (دار إحياء الكتب ، القاهرة - ؟) .

(٤) المنجد ص ٩٩١ .

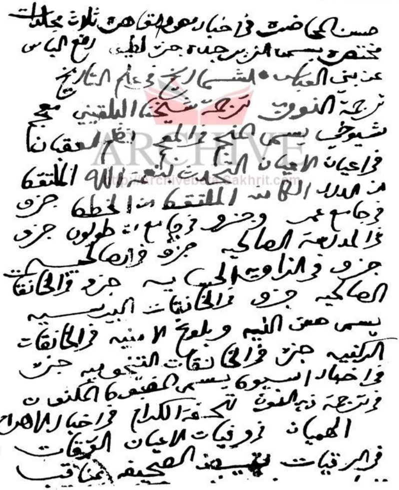
(٥) محيط المحيط ١٦/١ .

(٦) منير البعلبكي : المورد ص ٤٢٤ (الطبعة ١٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت - ١٩٨٠م) ، خليل سعادة : قاموس سعادة ٧٢٧/١ (مطبعة الجريدة ، القاهرة - ؟) .

(٧) المرجعان السابقان ، نفس الصفحات ، يوسف خياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية ص ٧١٥ (دار لسان العرب ، بيروت - ١٩٧٤م) .

(٨) ايكه هولتكرانس : قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة محمد الجوهري وزميله ص ٣٢ - ٣٤ (دار المعارف ، القاهرة - ١٩٧٢م) .

(٩) نفسه ص ٣٦ .



قانون برادفورد للتشتت

(٢) تطبيقه ، ومجالات الإفادة منه

عبدالرحمن فراج

قسم المكتبات والوثائق

جامعة القاهرة - كلية الآداب فرع بني سويف

١ - قانون برادفورد بين صيغتيه النظرية والتجريبية

١ /١ يُعد قانون برادفورد للتشتت إسهاماً كبيراً فيما يتصل بالأسس النظرية للمكتبات وعلم المعلومات . ووصف زند Zude (١) قانون برادفورد بأنه واحدٌ من أقدم وأفضل القوانين المعروفة في علم المعلومات . كما انتهت دراسة هذا الأخير مع زميله جيهل Gehl (٢) إلى أن قانون برادفورد يُعد من أكثر القياسات أهمية التي تعكس بناء مجموعات مصادر المعلومات ؛ ووصفا القانون بأنه يحتل جبهة البحث النشطة بين التوزيعات الجديدة التي قدمت تباعاً ، وفضلاً عن ذلك (٣) فهو الذي مدنا بالقاعدة الأساسية لهذه التوزيعات والقياسات .

وفي مجال صعبٍ كعلم المعلومات ، فإنه من المدهش والمشجع معاً أن نجد علاقةً كمية تحكم عدداً كبيراً من المواقف والاتجاهات الاجتماعية في المجال (٤) . وواحدة من هذه العلاقات نجدها في قانون برادفورد ، الذي يصف توزيع المقالات في موضوع معين بين عناوين الدوريات .

١ / ٢ ربما كان برادفورد أول من نبه إلى ظاهرة التشتت في الإنتاج الفكري . وقد بدأت اهتماماته بهذا في عام ١٩٣٤م ، عندما لاحظ أن خدمات التكشيف والاستخلاص ربما يسقط من تغطيتها قدراً يبلغ ثلثي مجموع الإنتاج الفكري (٦) . أما أفكاره الأساسية فلم يكن أمامها للبزوغ سوى دراسته القصيرة عن الإنتاج الفكري من الدوريات كما هو ممثل في وراقيتين ؛ واحدة في موضوع الجيوفيزيقا التطبيقية تقع في أربع سنوات ، وأخرى في زيوت التشحيم مداها عامان ونصف العام . وقد حلل برادفورد الدوريات في الوراقيتين وفقاً لإنتاجيتها من المقالات ، وعندما رتبها تنازلياً وجد أنها تنشعب إلى ثلاث طبقات أو قطاعات واضحة : تلك التي تفرز أكثر من أربع مقالات في العام ؛ تلك التي تنتج أكثر من مقالة لكنها لا تصل إلى أربع مقالات في العام ؛ وتلك التي تنتج مقالة أو أقل في العام الواحد .

١ / ٣ ولقد قدم برادفورد أفكاره هذه في صيغتين ؛ صيغة نظرية Theoretical ، وتُدعى أيضاً الصيغة اللفظية Verbal أو القطاعية Zonal ؛ وصيغة بيانية Graphical وهي الصيغة التي توسم بالإبريقية empirical .

وعبر برادفورد عن قانونه نظرياً ، أو لفظياً ، بقوله إنه «إذا رتبت الدوريات ترتيباً تنازلياً وفقاً لإنتاجيتها من المقالات في موضوع معين ، فإنه يمكن تقسيمها إلى نواة من الدوريات الأكثر ارتباطاً بالموضوع ، ثم عدة مجموعات أو قطاعات تشتمل على العدد نفسه من المقالات الذي تشتمل عليه النواة ، بحيث تكون نسبة عدد الدوريات في النواة إلى نسبة عددها في القطاعات التالية لها كنسبة ١ : ن : ن٢» (٦) .

ولقد اكتشف برادفورد في العلاقة بين القطاعات ١ : ن : ن٢ في الموضوعات المتخصصة التي صب عليها دراسته أن (ن) تبلغ حوالي ٥ ، ومن ثم فإن القطاع الثاني يبلغ خمسة أضعاف القطاع الأول ، فيما يبلغ القطاع الثالث خمسة وعشرين ضعفاً . كما اكتشف أن الأساس الذي تمثله دوريات القطاع النواة يبلغ حوالي ٩ . ومن الواضح أن هذه الأرقام تختلف باختلاف الموضوع المتخصص محط الدرس .

١ / ٤ ويمكن القول ، على العموم ، إنه من تحليل برادفورد لوراقيتيه استطاع تقسيم المنافذ الهامة أو المهمة من الدوريات وفقاً لثلاث مناطق أساسية :

- المنطقة الأولى : هي المنطقة البؤرية Core Zone ، وتشتمل على عدد محدود نسبياً من الدوريات ، إلا أنها دوريات تتسم بالإنتاجية العالية أو الاهتمام المركز بالموضوع .
- المنطقة الثانية : هي المنطقة الوسطى ، حيث تلي المنطقة الأولى ، وهي أكبر منها من حيث عدد الدوريات ، إلا تتساوى معها في الإنتاجية .
- المنطقة الثالثة : هي المنطقة الهامشية ، حيث تضم عدداً

كبيراً من الدوريات ، إلا أن حاصل إنتاجها في حدود الفئتين الأوليين .

ومن الممكن أيضاً بطريقة انطباعية (٧) ، معادلة هذه المجموعات الثلاث من المجلات بما يلي :

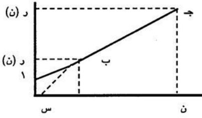
- مجموعة صغيرة من المجلات المتخصصة .
- مجموعة أكبر من المجلات المتخصصة في موضوعات مجاورة .
- باقي المجلات في المجالات العلمية الأخرى .

إن الرسالة التي كان برادفورد يحاول بثها لنا هي (٨) أنه من الممكن تقسيم الدوريات في أية وراقية إلى ثلاث مجموعات Zones ، كل منها يشتمل على عدد مساوٍ تقريباً من المقالات ، بينما عدد الدوريات الذي أفرز تلك المقالات يتناقص بصورة كبيرة من مجموعة للمجموعة التي تليها .

١ / ٥ لقد كانت العلاقة التي وصل إليها برادفورد ناتجاً لمجرد فضول إحصائي ، فلم يكن في ذهن الرجل فرض محدد يريد إثباته أو التحقق من صحته (٩) . وربما كان كل ما يدور في خلده هو : هل تُعرِّف خدمات التكشيف والاستخلاص المتوافرة آنذاك بما هو موجود بمكتبته من مصادر بدرجة كافية أم لا ؟

وهكذا تم اكتشاف أن هناك كماً كبيراً من الإنتاج الفكري يوجد في عدد قليل من الدوريات التي تهتم على وجه التخصيص بموضوع ما . وكذا أن المقالات تتشتت في جميع الدوريات في تواتر يرتبط عكسياً - تقريباً - مع المجال الموضوعي . وأنه من المتوقع أن الدورية التي تنتمي إلى موضوع متخصص - من وجهة نظر براد فورد - ربما تحتوي على مقال ذي اهتمام بأي موضوع آخر . ثم - أخيراً - أن تناقص الإنتاجية هذا ، أو التشتت ، يتبع نمطاً يمكن تمييزه ويمكن قياسه وتجريبه .

١ / ٦ وكأنما أراد برادفورد أن يثبت أنه ليس بالمنطوق وحده تحيا النظرية أو يعيش القانون ، فقدم الصيغة البيانية التي رأي أنها تقابل الصيغة اللفظية .



الشكل (١) الرسم البياني لبرادفورد يُظهر الانحناء الأوليّ أب «قطاع النواة» يليه مباشرةً الاستقامة ب جـ .

(عن BradFord, S.C., 1948. As cited by Brookes, B.C., 1969

رسم برادفورد - إذن - رسماً بيانياً لشرح القانون (الشكل ١) ؛ فعلى الإحداثي السيني رتب الدوريات الأولى ، الثانية ، الثالثة .... ن ..... في ترتيب تنازلي وفقاً لإنتاجيتها من المقالات على مقياس لوغاريتمي ، وعلى الإحداثي الصادي وقّع العدد التركيمي للمقالات ر (ن) . وعندما تُوَقّع ر (ن) مقابل لو ن ، فإن الرسم البياني الناتج يبدأ بمنحنى مرتفع أ ب الذي يلتقي في النقطة الحرجة نفسها ن مع المستقيم ن جـ . وعلى ذلك يبدو المنحنى مقعراً لأعلى concave upward بالنسبة للنواة وخطي (مستقيم) لكل من المنطقتين التاليتين (١٠) .

١ / ٧ ولقد مر عشرون عاماً قبل أن يتم الاعتراف بأهمية القانون ، حينما قدم بروكس صيغته الجديدة وتفسيره الجديد . وفي أثناء العشرين عاماً هذه (٤٨ - ١٩٦٨م) اعتبر قانون برادفورد فحسب وكأنه فضول إحصائي . ولقد اختبرت صحته من وقت إلى آخر بدرجات متفاوتة من النجاح ، خاصة (١٠) وأن القانون لم يُفسر دائماً كما صاغه صاحبه .

٢ - نقد وتطوير القانون

٢ / ١ إن استخدام برادفورد لصيغتين في التعبير عن قانونه قد أدى إلى جهود كثيرة تتوزع بين تفسيره ونقده وتصويبه وتطويره . وثمة دراسات عديدة لفتت أنظارنا إلى أن برادفورد قد قدم صيغتين «مختلفتين» في عرضه للتوزيع . وأصبح السؤال الرئيسي الهام بعد ذلك هو أي من الصيغتين أقرب إلى روح القانون ؟

وتبرز أكثر الاستجابات لقانون برافورد في الحقيقة الكاشفة عن العلماء الذي استقطبهم القانون للتعليق والبحث ، الذين وضعت بهم «ويلكنسون» قائمة طويلة تشمل : فيكري ، باريت ، ليمكولر ، بروكس ، فيرثورن ، جوفمان ، وارين ، ونارانان . وأضافت (١١) أن أكثر الظواهر ملاحظةً هي أنه ليس ثمة اثنين من هؤلاء يتفقان على تفسير القانون رياضياً بطريقة واحدة .

٢ / ٢ وهذه النتيجة الأخيرة هي نفس ما قال به «ليمكولر» الذي قام بمزيد من التحليل لقانون برادفورد ، واستنتج (١٢) أن «قانون برادفورد» في صيغته اللفظية يُعد عملية عكسية «لتوزيع برادفورد» في رسمه البياني .

بيد أنه وفقاً لملاحظات ليمكولر أيضاً ثمة أدلة قليلة - في الإنتاج الفكري المنشور - تثبت الصيغة اللفظية .

وربما يرجع ذلك لمدى الصعوبة - في هذه الحالة - في تعيين النواة ، ومن ثم نقطة البداية بالنسبة للمتوالية الهندسية Geometric progression .

وعند هذه النقطة تبرز أكثر الملاحظات أهمية في قانون برادفورد ، بعد صياغة برادفورد للقانون ، وهي الالتفات إلى أهمية الصيغة التجريبية أو البيانية .

٢ / ٣ لقد قيض الله لهذا الأمر رجلاً دخل مجال المعلومات من باب الرياضيات والإحصاء ، هو برتراند سي بروكس .

لقد انصب عمل بروكس على الصيغة البيانية للتوزيع ، وقام على تطويرها ، وأثبت أن النتائج المتخرجة بهذه الطريقة تظهر مطابقتها للبيانات الإمبريقية بدرجة أكثر دقة من الصيغ الرياضية لنظرية برادفورد اللفظية BradFord's verbal theory (٣) .

وفيما بعد (١١) أكدت ويلكنسون هذا الاستنتاج ؛ أن الصيغة البيانية تصف الحالة الواقعية Practical situation أفضل من ، أو على الأقل إضافةً إلى ، الصيغة اللفظية .

ذات ما يقول به رولي وزميله (٣) ، من أن الاختبار الإمبريقي Empirical testing لافتراضات برادفورد يميل إلى تدعيم رؤية بروكس لذلك القانون .

٢ / ٤ طوّر بروكس ، إذن ، الصيغة البيانية ، وعرض البيانات الإمبريقية التي تتبع بدقة الشكل الخطي - اللوغاريتمي للتوزيع . وفي صيغته هذه ، دمج بروكس بين كل من توزيعي برادفورد وزيف ، وأصبح في الإمكان حساب نواة الدوريات بطريقة سهلة نسبياً ، كما أنشأ طريقة بسيطة لتقدير العدد الكلي لكل من الدوريات والمقالات في موضوع ما متخصص ؛ ذلكم هو توزيع برادفورد - زيف .

ولكن ، أي من العلاقات - تُرى - كانت تربط بين كل من برادفورد وزيف ، بحيث أُتيح لبروكس أن يجمع بين أفكارهما في صيغة واحدة ؟

٣ - قانون زيف Zipf's Law

٣ / ١ في أثناء اهتمام برادفورد بإجرائه للتحليلات الإحصائية البسيطة ، كان زيف - وهو لُغوي - مهتماً بإحصاء تواتر أو تردد الظواهر اللغوية ، سواء في الأحاديث أو النصوص المطبوعة أو في أي شكل من أشكال الأداء اللغوي . ونتيجةً لهذه التحليلات الإحصائية لتردد الكلمات في أي ناتج لغوي انتهى زيف إلى «إمكانية ترتيب المفردات أو الكلمات اللغوية ترتيباً تنازلياً وفقاً لمدى تواترها» (٩) .

بل لقد حاول زيف إيجاد علاقة رياضية تربط ما بين رتبة الكلمة ومعدل ترددها ، وهي (٧) أنه إذا ما تم عد الكلمات الواردة في نص طوله معقول ، وترتيبها وفقاً لمدى ترددها في النص ، فإن مدى التردد هذا Frequency يتناسب والرتبة rank order .

٣ / ٢ حقاً ، إن عمل الإنسان ينعكس بالطبيعة على توجهات وأنماط تفكيره . ولأن زيف كان لُغوياً في الأساس فقد اهتم بالكلمات ، فيما كان برادفورد مكتبياً يعنى بالمعلومات . إلا أن الأهداف التي حركت كلاً منهما كانت واحدة ، وهي الكشف عن مدى تواتر المفردات ، ومن ثم مدى تمركزها وتشتتها .

أي أن زيف كان مهتماً باللغة على الخط نفسه الذي كان برادفورد معنياً فيه بالدوريات ؛ فنلاحظ أن الرتبة أو مستوى الدورية تقابلها الإنتاجية ، أيضاً رتبة الكلمة يقابلها مدى ترددها في نص معين .

وفيما يرى حشمت قاسم (٩) ، فإن الرجلين يكملان بعضهما البعض بالرغم من أن كلاً منهما كان يعمل دون علم الآخر ؛ ذلك أن الكلمات هي رموز اللغة التي نستخدمها ، والإنتاج الفكري هو الأوعية الحاملة لهذه الرموز .

٣ / ٣ ومن الملاحظ أن التشابه البنائي Structural similarity بين توزيعي برادفورد وزيف هو الذي أدى إلى ملاحظات كندال Kendall أول من قال بأن توزيعي برادفورد وزيف ربما يكونا حالة خاصة لتوزيع إحصائي ينزع إلى أن يكون عاماً . وهذا التشابه - أيضاً - هو الذي أدى إلى استنتاج كل من باكلاند وهندل Buckland and Hindle بأنه ربما كان كل من برادفورد وزيف مطّلعان على أعمال بعضهما البعض ، أو متعاونان (٥) .

وقصارى القول ، إن كلاً من قانوني برادفورد وزيف يؤكد على المفردات العالية الرتب - The higher ranking entities (١٢) . ونقطة الاختلاف بينهما هي افتقار توزيع زيف للمنطقة البؤرية (٣) ، لسبب جد قادم .

٤ - صيغة بروكس لتوزيع برادفورد - زيف

٤ / ١ يمكننا الآن ، باطمئنان ، أن نحدد موقع صيغة بروكس في إطار التوزيعات الببليومترية ككل (شكل ٢) . وليست صيغة بروكس - كما سبق القول - هي الصيغة الوحيدة أو التفسير الوحيد لتوزيع برادفورد ، وإنما يكشف لنا أدب الموضوع عن محاولات كثيرة تمت قبل بروكس وبعده . ولكن ربما أيضاً كانت صيغة بروكس هي

الأكثر قُرباً من روح القانون الأصلي والأكثر واقعية لتمثيل البيانات .

ولسنا ننوي معالجة الصيغة الرياضية لقانون برادفورد ، فذلك خارج عن خطة البحث ، وإنما سوف نحاول اكتشاف كيف أمكن لأحد الرياضيين أن يطوّر طريقة تطبيق برادفورد دونما حاجة لإجراء المعادلات الرياضية ، وهي طريقة تناسب المكتبيين والغالبية العظمى من الباحثين الوراقيين ؛ تلكم هي الطريقة البيانية .



الشكل (٢) موقع صيغة بروكس لتوزيع برادفورد – زيف في إطار التوزيعات الببليومترية .

٢/٤ وقبل الخوض في شرح هذه الصيغة ، ينبغي أن نتذكر أن (١) أي قانون إمبيريقي يتضمن متغيرين على الأقل ، يمثلان أشكالاً محددة Constructs . كما أنه يتضمن ثوابت Constants أو معاملات Parameters معينة . إن هذه المتغيرات الأولى ينبغي أن تكون قابلة للقياس mea-surable كما أن المعاملات ينبغي أن تكون متوافقة com-patible مع مقاييس المتغيرات ، بل إنها ينبغي أن تكون قابلة للقياس على المقياس نفسه المخصص للمتغيرات .

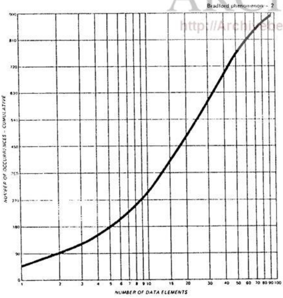
٤ / ٣ ولتطبيق هذه الصيغة ، فإنه يلزم ترتيب البيانات وفقاً لطريقة معينة . فإذا كنا قد قمنا في البداية بإحصاء عدد الدوريات وإنتاجية كل منها من المقالات ، فإنه يلزم حينئذ ترتيب الدوريات تنازلياً وفقاً لعدد المقالات ذات الصلة بها ، وذلك للحصول على رتب الدوريات أو طبقاتها . والخطوة المقابلة لذلك – بالطبيعة – هي استنتاج العدد التركيمي للمقالات .

وإن إخراج الرسم البياني The bibliograph يقتضي استخدام مقاييس نصف لوغاريتمية semilogarithmic على الإحداثي الأفقي الذي يوقع عليه العدد التركيمي للدوريات ، فيما يتم توقيع العدد التركيمي للمقالات على مقياس خطي linear رأسياً .

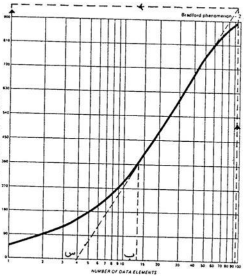
٤ / ٤ وهكذا تُرتب المصادر في ترتيب تنازلي وفقاً لإنتاجيتها على المقياس اللوغاريتمي ، فيما يقابلها على المقياس الخطي المجموع التراكمي للمواد الناتجة عن هذه المصادر . ويحسن بنا الآن أن نتتبع الشكل الناتج عن الرسم البياني (شكل ٣) :

* نلاحظ امتداد النقاط لتصنع منحنى مرتفعاً rising curve. وفي الحقيقة اكتشف أن (٢٨) كل توزيع في الببليومتريقا – تقريباً – يبدو متمركزاً إلى أعلى concentrated. highly ويرجع السبب في ذلك (٣) إلى التوالي الهندسية للمصادر مقابل التوالي الحسابي لإنتاجيتها .

* ثم يمتد هذا الانحناء الصاعد إلى أعلى ويتحول في سلاسة ، أو يكون أقرب إلى شكل الخط المستقيم . إن هذه المنطقة التي تقع أسفل المنحنى وتأخذ شكل المنحنى المقعر concave curve ، هي المنطقة البؤرية التي تمثل الدوريات الأساسية في الموضوع . وحسب البيانات التي حصل عليها برادفورد وُجد أن هذه المنطقة المركزية تتطابق مع النقطة التي يبدأ فيها المنحنى ليصبح خطاً مستقيماً أو أقرب إلى المستقيم .



الشكل (٣) أحد تطبيقات قانون برادفورد في صيغته البيانية (عن Marulli, Luciana,1979)



الشكل (٤) الشكل السابق ذاته إثر وضع الخطوط الدخيلة على المنحنى وتقدير النقاط الأساسية الدالة على معاملات برادفورد .

ويبدو لبروكس أن مفهوم «النواة» هنا كان مفهوماً أساسياً بالنسبة لصيغة برادفورد في قانونه ، بل إنه مفهوم أساسي لجميع الأنماط الإحصائية والتوزيعات المتبعة في العلوم الاجتماعية (١٦) . هذا ولقد أصاب برادفورد في وصفه لهذه النقطة التي «يبدأ» فيها المنحنى المرتفع في التحول إلى الاستقامة ، بأنها نقطة حاسمة crit-icaf point .

وعلى ذلك ، فإنه إذا أسقطنا عموداً من هذه النقطة على الإحداثي الأفقي للوغاريتمي (حيث النقطة ب المقابلة)، فـإن الدوريات من (ا) إلى (ب) تُشكّل نواة الدوريات المنشورة في الموضوع محط البحث (شكل ٤) .

* وحالما يبدأ الرسم البياني في توضيح الخط المستقيم ، فـإنه يمكن من هذا الخط بالمسطرة ، وتقـديـر النـقطة الأخيرة التي يتلاقى فيها مع الإحداثي الأفقي اللوغاريتمي (نقطة س) . إن نقطة تلاقي الخط المستقيم مع الإحداثي الأفقي هذه The infer cept تُشير في نظر بروكس إلى مدى تشتت الإنتاج الفكري في الموضوع .

وإن قيمة ب التي تم تعيينها آنفاً ترتبط بقيمة س هنا ، ولقد وجد أن قيمة الأولى لا تقل عن ٣ عندما س = ١ ؛ ولذا فإن قيمة ب تزداد أيضاً تبعاً لزيادة اتساع الموضوع(١٠) .

* لقد اكتشف أننا في صيغة بروكس تحصل على خط بياني مستقيم الشكل أفضل من ذلك الذي حصل عليه برادفورد ؛ أي ليس سلسلة من الأقواس التي تمتد على خط مستقيم . وربما كان السبب في ذلك (٣) مرده إلى استخدام المقاييس نصف اللوغاريتمية التي تُحوّل المنحنيات زائدية المقطع hyperbolic curves إلى خطوط مستقيمة straight lines .

وجدير بالذكر ، فيما يتصل بتطبيق الرسم البياني ، أنه ليس لزاماً أن يكون هناك تماثل تام بين المنحنى وبين الخط المستقيم الدخيل على المنحنى ، ولكن ينبغي أن يؤخذ هذا الخط على أكثر نقاط المنحنى استقامة (شكل ٤) . وعلى ذلك ، فثمة عناية ينبغي أن توجه إلى هذا الخط المستقيم ، لأن قيم المعاملات المرتبطة بالرسم البياني تستند إليه وتقوم عليه .

* وقد ينحدر الجزء المستقيم من المنحنى في النهاية إلى انخفاض droop أو خُطاف hook . وهذا الانحراف عن الاستقامة عند الجزء الأعلى من المنحنى ، المعروف اليوم بانخفاض جروس Groos droop ، يشير من وجهة نظر بروكس إلى عدم اكتمال الوراقية محط التحليل (١٠) .

وعلى سبيل المثال ، ربما يكون القائم بالعمل الوراقي قد استقر على أن يكون عمله انتقائياً ، أو يقول إنه قد سجل فحسب تلك المواد ذات الاهتمام بالناحية المهنية ، أو أنه قد أسقط ترجمات محددة من تلك الموادنشرت في لغات أخرى . ولكن ، طبقاً لخبرتنا الشخصية ، حيثما لوحظ انحراف أو انخفاض droop فإنه من الممكن الإشارة إلى أنه إما أن هناك انتقاءً ما selectivity ، أو إسقاطات ما omissions (١٧) .

وإن تفسير هذه الظاهرة وإرجاعها إلى ذلك السبب يبدو منطقياً (١٨) ، حيث إنه من المعقول تماماً أن تكون المجلات ذات الإنتاجية المنخفضة قد أسقطت من الخدمة الوراقية غير الشاملة .

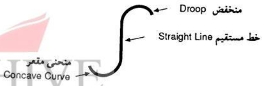
ويرى البعض (٥) أن انخفاض جروس ليس مظهراً لعدم اكتمال الوراقية ، بقدر ما هو دلالة على عدم نضج المجال الموضوعي . وعادةً ما نتوقع ظهور هذا الانخفاض في الوراقيات المتعددة أو المتشابكة التخصصات inferdis-ciplinary .

وعلى العموم ، فلقد جذبت هذه الملاحظة الانتباه إلى دوريات المجالات الأخرى التي ترتبط بالموضوع الرئيسي محط البحث ، والتي تنشر - تباعاً - قليلاً من المقالات في ذلك الموضوع . وهي الإشارة التي اكتشفنا بعدُ أنها مُشابهة تماماً لاهتمام برادفورد بصلة القرابة بين الدوريات العلمية .

* وإذا ما اتفقنا الآن ، عند حدوث هذا الانخفاض ، على أن

وراقيتنا ليست شاملة أو تامة الاكتمال ، فإن بروكس طوَّر لنا وسيلة لتقدير الحجم الكلي للوراقية . وهي أن تأتي عند النقطة التي تمثل آخر رتب الدوريات الموقعة على المقياس الأفقي ونأخذ من عندها خطاً رأسياً مستقيماً لأعلى ، وفي النقطة التي يلتقي فيها هذا الخط مع الخط المستقيم الواقع على المنحنى نأخذ خطاً آخر أفقياً مستقيماً تجاه الإحداثي الرأسي ، والنقطة التي يلتقي فيها هذان الأخيران تدل على عدد المفردات التي كان ينبغي أن تشتمل عليها هذه الوراقية في حالة اكتمالها (٩) .

* وهكذا تتكشف لنا الصورة المتوقعة للرسم البياني لتوزيع برادفورد – زيف BradFord - Zipf bibliograph : نسبة منحنية ابتداء an intial curved مُدمجة في خط مستقيم مع ، أو بدون ، انخفاض جروس المميز (١٩) . أي أن الشكل ، كما نفهمه اليوم ، يتخذ شكل حرف S مع جزء رئيسي مستقيم يتبع القانون اللوغاريتمي – الخطي لبرادفورد (١٤) (الشكل ٥) .



الشكل (٥) الشكل المتوقع للرسم البياني الخاص بتوزيع برادفورد – زيف

٤ / ٥ من الملاحظات التي تم التعرض لها آنفاً وضح لنا أن الرسم البياني يصف الحالة الواقعية the practical situation للعلاقة الكمية بين الدوريات وبين المقالات التي تقوم على نشرها . وثمة ميزات محددة ، كذلك ، في تطبيق قانون برادفورد بواسطة هذه الصيغة البيانية :

- النواة هنا قابلة للتعيين والتحديد بصورة مبسطة ميسرة .
- يمكن تقدير مدى تشتت الموضوع المتخصص .
- عند انحراف الجزء الأخير من الرسم البياني عن الخط المستقيم عند رقم معين من الدوريات، يمكننا أن نتوصل من ذلك إلى عدد المقالات التي ينبغي أن تغطيها الوراقية إذا ما كانت شاملة ، ومن ثم النسبة المئوية لاكتمال الوراقية فيما يتعلق بالمقالات .
- كما يمكننا آنذاك حساب عدد الدوريات التي ينبغي أن تغطيها الوراقية في حالة شمولها ، ومن ثم النسبة المئوية لاكتمال الوراقية بالنسبة للدوريات .

٥ – المبدأ الأساس الذي يقف وراء القانون

يقول بروكس (١٠) ما نصه : «إن المبدأ الأساسي لهذا القانون ليس واضحاً تمام الوضوح» . كما تضيف ويلكنسون (١١) : «إننا بعيدون عن معرفة كيف ولماذا تحدث مثل هذه العلاقة» . هذا في الوقت الذي يؤكد فيه آخرون تفسيرات هذا الشكل من التوزيع متباينة كثيراً (٣) .

وليس أحد أحق أن نبدأ به في هذا الصدد من صاحب القانون نفسه . إن تفسير برادفورد لتوزيعه يستند إلى مبدأ وحدة العلوم ، الذي يفيد بأن أي موضوع علمي يرتبط إلى حدٍ ما بأي موضوع علمي آخر . وهكذا يؤكد برادفورد بأن هناك دائماً عدداً صغيراً من الدوريات يرتبط عن قرب بالموضوع المتخصص ، إضافة إلى عددٍ كبير منها يرتبط بالموضوع عن بُعدٍ بعيد (٦) .

لقد قدم برادفورد نظريته في البداية عن توزيع المقالات بين الدوريات باعتبار أن مجموعة الدوريات تمثل «أسرة من الأجيال المتعاقبة ذات نسبٍ آخذٍ في التناقص» (١١) . وهكذا كان كل اهتمام برادفورد ينحصر في فكرة صلة القرابة بين الدوريات العلمية .

وليس أحد أحق أن نتبع به بعد كصاحب التطوير . وطبقاً لبروكس (١٧) ، فإنه يبدو أن المبدأ الأساسي الذي يقف خلف توزيع برادفورد يتكون من مبدأين متنافسين : المبدأ الأول هو عامل الانحياز a bandwagon effect ، ويقصد به إقبال المؤلفين على نشر مقالاتهم بدوريات التخصص الأساسية ، في الوقت الذي تتسلم فيه هذه الدوريات بحوثاً كثيرة ممتازة في الموضوع المتخصص أكثر مما تستطيع أو تأمل في نشره ، ولذا فإن معايير قبول هذه المقالات تغدو شديدة ، وعندئذ تدفع حركة التقييد هذه – وهي المبدأ الثاني – بعض المقالات إلى ما دونها من الدوريات .

وعلى الجانب الآخر ، عندما لا تكون هناك منافسة أو أي شكل آخر من أشكال التقييد restriction فإنه لا يوجد لب أو مجموعة أساسية there is no core . والبيانات في هذه الحالة تُنتج رسماً بيانياً يتكون من خط مستقيم بلا منحنى صاعد في البداية . ذلكم هو توزيع زيف التراكمي المقابل للجزء المستقيم غير المقيد nonrestrictive من توزيع برادفورد – زيف .

ومعنى ذلك (٣) أن عامل التقييد هذا يؤدي إلى إغناء قطاع النواة ، وينتج عنه الدوريات الأساسية – تلك المشبعة بالمواد ذات المستوى الرفيع high - guality materials .

وبدون ذلك التقييد (١٠) فإن الرسم البياني الناتج سيكون كله دائماً خطياً (على ورق نصف لوغاريتمي) .

وهكذا أحدث كل من القيد restriction والمنافسة competition أهم أفكار بروكس فيما يتصل بخاصية برادفورد .

٦ – شروط تطبيق القانون

ثمة مدى متنوع من العوامل الرئيسية التي ترتبط بالمعاملات المتصلة بقانون برادفورد ، مثل :

- مصادر البيانات the sources of data
- طرق تجميع البيانات
- والمجال الموضوعي لهذه البيانات

* أما عن المجال الموضوعي ، فالبيانات التي تتوافق مع قانون برادفورد قد تكون من :

- العلوم الصلبة hard science
- أو العلوم الاجتماعية
- أو الإنسانيات
- أو التكنولوجيا

* أما مصادر البيانات ، وطرق تجميعها ، فيمكن تحديدها عن طريق :

- بحث في خدمة استخلاص أو خدمة تكشيف منفردة
- فحص شامل لجميع المصادر المتاحة

* وللمطابقة التامة مع قانون برادفورد ، فإن شروطاً محددة ينبغي توافرها في الوراقية (١٠) :

- أن يكون موضوع الوراقية محدداً بصورة واضحة well defined
- أن تكون الوراقية مكتملة ؛ أي ينبغي أن تكون كل الدوريات مسجلة موثقة .
- أن تكون الوراقية ذات فترة زمنية محددة ، مما يتيح للدوريات المسهمة نفس الفرصة من إنتاجية المقالات .

إن معظم الأخطاء في تطبيق هذه الأداة تعود إلى الافتقار إلى إدراك أن البيانات الأولية لابد وأن تكون محددة وراقياً بصورة جيدة – وذلك في موضوع وفي فترة نشر مجال البحث ، وأيضاً أن تكون البيانات مكتملة ودقيقة بقدر الحاجة إلى ذلك . إن درجة الثقة في التقدير تعتمد ، طبيعياً وبحسم ، على إحكام ودقة البيانات الأولية (١٧) .

إنه منذ أن لاحظ جروس Groos منخفض أو انحراف الرسم البياني ، والذي ارتبط باسمه فيما بعد ، وثمة إشارات عديدة إلى أن اهتماماً خاصاً ينبغي أن يوجه إلى عناصر البيانات البؤرية core data elements في التطبيقات . إن عناصر البيانات البؤرية هذه ينبغي أن تكون محددة ، وأن تعطي أولوية قصوى في تصميم الخطط المعيارية وتبادل التسجيلات ونظم البحث (١٥) . وعلى كل ، سوف تسمح لنا صيغة برادفورد بتقدير مدى اكتمال تلك المحاولات .

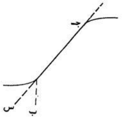
بالرغم من ذلك (١٠) ، فلقد وُجد أن شكل الرسم البياني يكون ثابتاً بصورة تدعو للدهشة حتى عندما لا تتوافر تماماً كل هذه الشروط . وكلما حلل المرء مجموعات من البيانات الوراقية وفقاً لهذه الطريقة ، كان أكثر دهشة لرسوخ قانون برادفورد وخصائص رسمه البياني .

ولكن ، ترى أي من هذه العوامل أكثر ارتباطاً وتأثيراً في النتائج المستخلصة من تطبيق القانون ؟

٧ – نتائج تطبيق قانون برادفورد

إن ردود الفعل تجاه نجاح تطبيقات قانون برادفورد تتباين كثيراً . وإذا ما بحثنا عن نسبة محددة يمكن الإشارة إليها ، وجدنا Alabi هو أوضح الباحثين في ذلك عندما أفاد بأن أكثر من ٧٥٪ من الدراسات المعتمدة أظهرت أن تطبيقاتها تمتثل لقانون برادفورد ، بينما القليل فحسب هو الذي أظهر انحرافات طفيفة عن القانون (٢٠) .

إن أكثر ما يهمنا فيما يتصل بالنتائج المتحصل عليها من القانون هي المعاملات : (س) التي تشير إلى تشتت الموضوع ؛ (ب) التي تمثل المجموعة البؤرية في الموضوع ؛ و (جـ) التي تفيدنا في الدلالة على المجموعات الأخرى دون البؤرية في الموضوع (شكل ٦) . وهذه المعاملات جميعها يُشار إليها ، على العموم ، بتشتت الإنتاج الفكري المتخصص .



الشكل (٦) المعاملات الأساسية في قانون برادفورد

ولقد وجد أن أكثر العوامل تأثيراً في معاملات توزيع برادفورد هي : خصائص الموضوع محط الدرس ، وحجم مجموعة البيانات .

٧ / ١ خصائص الموضوع

٧ / ١ / ١ هناك من الأدلة ما يؤكد أن اتساع الموضوع يُعتبر ، بالفعل ، أحد المتغيرات الكمية التي تتوقف على طبيعة الموضوع الذي يقع عليه الاختيار للدراسة (٧) . وينبغي أن نلاحظ أن عدم مطابقة وراقية ما لقانونٍ ما لقانون برادفورد ، أو عدم وجود نواة برادفورد BradFord nucleus ، يرجع غالباً إلى عدم تجانس البيانات homogen-eus موضوعياً .

٧ / ١ / ٢ من الملاحظ (١٧) أن معظم الأعمال التي تتناول تحليل الإنتاج الفكري محصور حتى الآن في مجال العلوم الطبيعية . ويرجع ذلك إلى أن المصادر الثانوية في العلوم الطبيعية هي ، إلى حدٍ ما ، الأفضل تنظيماً ومن ثم فإن بياناتها أكثر إتاحة . كما يرجع إلى أن الإنتاج الفكري في العلوم الطبيعية هو ، إلى حدٍ ما أيضاً ، أقل المجالات تقييداً بالحواجز اللغوية .

٧ / ١ / ٣ إن القانون لايصدق على الموضوعات الكبيرة ، وإنما يصدق على الموضوعات الضيقة . وقد أشار بروكس إلى أنه «أمر بعيد الاحتمال أن ينطبق قانون برادفورد على المجموعات الكبيرة مثل الطب أو الفيزياء التطبيقية ، على الرغم من انطباقه على الموضوعات العلمية المخصصة التي توجد مندمجة في موضوعات شاملة» (٢١) .

٧ / ١ / ٤ يمكن ملاحظة (٧) توقف مدى التشتت على مدى صلابة التخصص في داخل المجالات الموضوعية . وهنا تبدو مطبوعات العلوم الاجتماعية والإنسانيات أوسع تشتتاً من نظائرها في العلوم . وكلما ابتعدنا عن العلوم الصلبة اتسع تشتت مصادر المعلومات المناسبة في ثنايا الإنتاج الفكري .

بل إنه حتى في المجال الواحد – فيما يلاحظ بروكس (١٧) – ربما تكون ثمة اختلافات واسعة ؛ مثل تلك التي بين علم الفلك الوصفي Descriptive astronomy والفيزياء الفلكية Astrophysics .

٧ / ١ / ٥ ويمكننا الآن المقارنة بين مجالات التخصص الموضوعية في كل من الإنتاج الفكري العالمي والعربي ، وفقاً لنتائج الدراسات التي أنجزت حتى كتابة هذه الدراسة .

إن المقارنة بين المجالات الموضوعية يمكن أن تتم عن طريق مقارنة القطاع اللب أو الأساسي أو البؤري the core zone في كل من هذه المجالات ، كما يمكن أن تتم المقارنة بينها بواسطة التشتت وفقاً لقيمة س . ومعظم البيانات المتوافرة لدينا تسلط الضوء على هذا العامل الأخير .

وبالطبع فإن ثمة تناسباً عكسياً بين تشتت الدوريات وبين ارتباطها بالموضوع ؛ أي كلما كان تشتت الدوريات كبيراً كان ارتباطها بالموضوع ضعيفاً ، والعكس صحيح .

المجال الموضوعي	قيمة س
الفيتامينات	١
علم المكتبات	١
الفيزياء	١
الكيمياء	١
الرياضيات	١ر٤
وظائف الأعضاء	١ر٥
علم الأرض	١ر٧
النبات	١ر٨
الحيوان	١ر٨
علم المعلومات	٢ر٦
علم الحاسبات الألكترونية	٣ر٤
الألياف العصبية	٣ر٨
الزراعة الاستوائية وشبه الاستوائية	٨ر٤
الاقتصاديات الزراعية وعلم الاجتماع الريفي	١٢

الجدول (١) مدى تشتت الإنتاج الفكري العالمي في عدد من المجالات الموضوعية .

ووفقاً للجدول (١) – المستمد من المرجعين (٣ ، ٧) – يتضح لنا بالفعل أن أقل المجالات الموضوعية تشتتاً في الإنتاج الفكري العالمي هي تلك التي تنتمي للعلوم الطبيعية ؛ بدءاً من مجال الفيتامينات «١» وحتى علم الحيوان «١ر٨» . بينما لا ينبغي أن تخدعنا النتيجة التي وصل إليها علم المكتبات «١» والتي تشير إلى ضيق التشتت في هذا المجال ؛ ذلك أنه ليس بالعلم الطبيعي وليس من النضج الموضوعي بحيث يصل إلى هذا المؤشر . وربما رجع ذلك (٣) إلى أن علم المكتبات أكثر ذاتية من غيره من المجالات ، أو ربما رجع إلى عوامل النشر المقيدة في الاختيار أو لقصر الفترة الزمنية التي تمت فيها هذه الدراسة . إلا أنه في الحقيقة يبدو أن هذا المؤشر يشير على العموم إلى صورة المجال في النصف الأول من السبعينات .

ويرى Rowley و زميله (٣) أن علم المعلومات – يُعد مجالاً موضوعياً – ضيق نسبياً ، بالرغم من أنه أوسع من علم المكتبات . إلا أننا نرى أن هذا الحكم يرجع أيضاً للفترة التي تم فيها البحث في دراسات علم المعلومات . وعلى الجانب الآخر ، ربما كانت النتائج الأربعة الأخيرة في الجدول المذكور تشير إلى الواقع الطبيعي لبحوث هذه المجالات الموضوعية (٢٢) .

وعلى صعيد الإنتاج الفكري العربي ، فقد أنجز حتى كتابة هذه السطور - صيف ١٩٩٠م - عدد من الدراسات التطبيقية لم نتمكن من الاطلاع إلا على خمس منها ؛ في علم اللغة والطب والزراعة والعلوم البحتة والكتب المترجمة (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) . فإذا ما استبعدنا الكتب المترجمة من هذا السياق ، وجدنا أن دراسة العلوم الزراعية لم تحاول تطبيق القانون على دوريات هذا الموضوع ، فيما لم تمتثل دوريات علم اللغة للرسم البياني لبرادفورد - زيف . وهكذا لا يتبقى لنا للمقارنة من عناصر موضوعية غير دراستي الطب والعلوم البحتة .

المجال الموضوعي			قيمة س
الطب			١
	الفترة ٦٠ - ١٩٦٥م	الفترة من ٧٠ - ١٩٧٥م	المتوسط
الرياضيات	١ر٣	٢ر١	١ر٧
علم الأرض	٢	٢ر٦	٢ر٣
علم الحشرات	٢ر١	٢ر٨	٢ر٤٥
الكيمياء	٢ر٨	٢ر٢	٢ر٥
الحيوان	٣ر١	٢	٢ر٥٥
الفيزياء	٢	٣ر٢	٢ر٦
النبات	٤ر٥	٥	٤ر٧٥

الجدول (٢) مدى تشتت الإنتاج الفكري العربي في عدد من المجالات الموضوعية

إن صور المقارنة هنا محدودة لأن عناصرها قليلة . وما نستطيع استقراءه ابتداء من الجدول (٢) هو ضيق التشتت في الإنتاج الفكري العربي في مجالي الطب والرياضيات . أما دوريات بقية العلوم البحتة ، دون الرياضيات ، فهي تبدي قدراً أكبر من التشتت . وبالمقارنة إلى الإنتاج الفكري العالمي ، فإن أياً من العلوم البحتة لا يتخطى التشتت فيها «١ر٨» ، فيما تصل في الإنتاج الفكري العربي إلى «٤ر٧٥» !

على أن هذه النتيجة لا تستدعي ذلك التعجب إذا ما تذكرنا أن معدلات التشتت تتأثر ، إلى جانب مدى نضج المجال الموضوعي ، بمدى توافر المقومات الأساسية لمجتمع المعلومات .

فثمة عوامل اجتماعية ، إنتاج المعلومات ونشرها ومدى الإفادة منها ، تتدخل في هذه الظاهرة ؛ ومعنى ذلك أن النتائج التي يمكن الخروج بها عادةً ما تكون قابلة للتطبيق في سياق المجتمع الذي استخلصت منه (٩) .

وأخيراً ، فإنه لجديرٌ بالملاحظة أن ثمة محاولات عربية جارية تُبذل الآن لدراسة تشتت الإنتاج الفكري العربي في عديد من المجالات الموضوعية المتخصصة (٢٨) .

٧ / ٢ حجم مجموعة البيانات

وثمة صفة هامة مميزة لتوزيع برادفورد ، هي علاقته بحجم مفردات المجتمع محط الدرس pupolation of collection size ، وتأثير هذا الحجم على معاملات التوزيع من حيث التنبؤ بعدد المقالات الناتجة عن دوريات موضوع ما متخصص .

إن الباحثين لم يفلحو بعد في الكشف عن العلاقة الحقيقية بين معاملات التوزيع وبين أيٍ من اتساع الموضوع أو طريقة البحث الوراقي . وثمة من يشير (٥) إلى أن الفروق في حجم مجموعات البيانات ، أكثر من خصائص الموضوع أو طرق تجميع هذه البيانات ، وُجد أنها أهم العوامل في التنبؤ بتلك المعاملات .

ويرى زند Zunde (٢) أن كثيراً من قوانين علم المعلومات لا تزال فروضاً ، في حاجة إلى التحقق والتأكيد تحت ظروف تجريبية أكثر تنوعاً ، وأكثر شمولاً في تجميع البيانات الإمبريقية .

وعن تأثير حجم وطبيعة الوراقية على انسجامها مع توزيع برادفورد - زيف - يرى بروكس (١٧) أن الوراقيات الكبيرة من غير المحتمل أن تطابق قانون برادفورد ، لأن الدوريات ذات الرتبة أو الطبقة الأعلى the top rmhed journals من المتوقع أن تكون أكثر إنتاجية تناسبياً . وهذه الملاحظة تشبه الرسالة التي التقطها هاوكنز Hawkins (٥) والقائلة بأن توزيع برادفورد متحيز لصالح المجموعات الكبيرة من الدوريات larger journals .

وعلى ذلك ، فإن هناك شبه إجماع من الباحثين على أنه في حالة تضخم الوراقية ، أو في حالة طول الفترة الزمنية التي تغطيها ، ثمة احتمال في عدم تناسب الإنتاجية بين الدوريات ، مما لا يتيح للدوريات المهمة الفرصة نفسها في بلوغ الدرجة التي تستحقها من القمة .

أجل ، فإن الدوريات التي تصدر بصورة أقل تواتراً ، والدوريات التي تنشر مقالات أقل على امتداد زمني معين ، ثمة احتمال ضئيل بأن ترتب بين الدوريات الأساسية ، حتى لو كانت هذه الدوريات تنتمي إلى الموضوع المتخصص بصورة وثيقة .

وقصارى القول هنا ، أنه كلما كانت الفترة الزمنية محدودة ، أو مناسبة لطبيعة الموضوع المتخصص وتاريخه

في المجتمع العلمي محط البحث ، أحكمت بذلك طرق البحث الوراقي ، وأصبح الطريق معبداً أمام شمولية التجميع ، وحل التناسب في الإنتاجية بين الدوريات المتخصصة أو كاد .

ومعنى ذلك ، في التحليل الأخير ، أن ثمة وقفة طويلة ينبغي أن يقفها الباحث الوراقي أمام حدود الوراقية محط البحث ومداها .

إن طموحنا لا يقف عند حد استخلاص مؤشرات ما من توزيع برادفورد . ذلك أن الدراسات البيبليومترية ليست غاية في حد ذاتها ، وإنما هي وسيلة ذات استخدامات مختلفة وتطبيقات متنوعة . فما الذي يمكن أن يفيدنا به هذا القانون ؟

٨ – مجالات الإفادة من قانون برادفورد

هذا هو المحك الرئيسي لنجاح الأساليب البيبليومترية من عدمه . إن الأهداف العملية الأساسية لهذه التحليلات الإحصائية تستند إلى التسليم بأن «التحليل الكمي» يُعد من العناصر الضرورية لتصميم نظم المعلومات على أساس اقتصادية ، وأن «قياس» الأنشطة الرئيسية لنظم المعلومات من العناصر التي لا غنى عنها في إدارة هذه النظم (١٧) .

إننا ينبغي أن ننظر إلى قانون برادفورد باعتباره قانوناً تجريبياً ذا تطبيقات . ولاشيء يكشف عن تأثير قانون برادفورد في مجال المعلومات أفضل من تتبع التطبيقات والاستخدامات المختلفة التي يمكن أن يُسهم فيها . وفضلاً عن أن القوانين العلمية تهيئ للإنسان فهم كثير من الحقائق التي عجز العقل الإنساني عن تفسيرها فترة طويلة من الزمن ، فإن ثمة وجهات جديدة أيضاً صرنا ننظر إليها لم تكن قبل برادفورد :

٨ / ١ مدى اكتمال الوراقيات وتقييم خدمات التكشيف

لقد تعرضنا في السطور السابقة لمهمة برادفورد في الكشف عن مدى اكتمال وراقية في موضوع ما . وقبل برادفورد لم تكن هناك وراقية يمكن أن تثبت كونها مكتملة (١٧) ، ولم تكن هناك إشارة قائمة تفيد القائم بالعمل الوراقي إلى أن يكتفي لأن العمل قد تم واكتمل . وربما تكون الإشارة الوحيدة هنا هي أن يكون ثمة نقص ملحوظ في المفردات المتصلة بالبحث .

وكيفما كان الحال ، يقدم أول قانون صاغه برادفورد إمكانية تقدير عدد المصادر وعدد المفردات التي يمكن للمرء أن يتوقع وجودها في هذه المصادر .

والجدير بالذكر هنا أن من أولى الملاحظات التي دفعت برادفورد لوضع قانونه الشهير هي اكتشافه قصور بعض خدمات تكشيف واستخلاص الدوريات عن تغطية حوالي ثلثي المواد المرتبطة بتلك الدوريات . بل اعتبر برادفورد (٢٩) أن من أولى دوافعه لإجراء البحوث الإحصائية هو اختبار ماوراء المسائل المتعلقة بالمقالات العلمية الهامة التي لم تستخلص أو تُكشف . وكان الرجل يطمح بذلك إلى «التوثيق الكامل» Complete Documentation كما عنون بذلك إحدى مقالاته (٣٠) .

والجديد بالملاحظة ، أنه مثلما يُستخدم القانون في تقييم الوراقيات التقليدية أو المطبوعة ، فإنه يُستخدم أيضاً في تقييم ناتج عمليات البحث التي تتم بواسطة الحاسب الألكتروني (٩) .

٨ / ٢ مدى كفاية المقتنيات في سياسات التزويد والاستبعاد

يُعد قانون برادفورد عاملاً أساسياً في تحول عمليات بناء وتنمية المقتنيات من الاعتماد علي الأساليب التقليدية إلى التوسل بالأساليب البيبليومترية (٣١) .

والملاحظ أن قانون برادفورد ينصب أساساً على مجموعات الدوريات المتخصصة . وهو بهذا يكشف لنا عن مدى تشتت الدوريات في مجال ما ، واكتشاف أي الدوريات أكثرها أهمية وأيها أقل ، والاستفادة من ذلك في إدارة مقتنيات المكتبات من الدوريات . ذلك (١٧) أن المصادر الأساسية core sources غالباً ما تشكّل جزءاً كبيراً من المجموع الكلي لبرادفورد وعند تكلفة منخفضة نسبياً . ولأن هذه المصادر تمثل أيضاً أكثر المصادر نشاطاً ، فإنه يمكن اعتبار الإمداد بها الحد الأدنى للعمل في أي مكتبة متخصصة .

لقد غدت مشكلة المكتبات ومراكز المعلومات في عصر «تفجر المعلومات» هي : ما الذي ينبغي الحصول عليه ، وما الذي يمكن الاستغناء عنه ؟ وثمة مفهومان ، على الأخص ، من مفاهيم القياسات الوراقية من المفترض أن لهما استخداماً كبيراً في إدارة المقتنيات ، وهما : التشتت والتعطل . وبالطبع ، فإن كلاً من التشتت والتعطل مرتبطان ؛ فالأول يركز على الأعمال الأساسية التي ينبغي الحصول عليها ، بينما يختص الثاني بالأعمال التي يمكن التخلص منها .

إن معرفتنا لتشتت الدوريات بواسطة قانون برادفورد يمكن أن تفيدنا في (٣٢) :

- اختيار الدوريات للاستخلاص في خدمة استخلاص متخصصة في موضوع معين .
- الاختيار الدقيق عند دفع اشتراكات الدوريات

- تخطيط برنامج للتعاون بين المكتبات ؛ كأن تقتني - مثلا - المكتبة المتخصصة مجموعة الدوريات البؤرية ، فيما تقتني المكتبة المحلية Regional library المجموعة البؤرية إضافة إلى القطاع الأوسط ، هذا وتضيف المكتبة الوطنية إلى هذا وذاك دوريات القطاع الثالث .

٨ / ٣ الإعارة

إن قانون برادفورد كما يُستخدم في تقييم المدخلات ، كذلك في تقييمها عندما تؤول هذه في الأقسام خدمات المعلومات إلى مخرجات . وبوجه خاص ، فقد ظهر أنه يمكن استخدام قانون برادفورد في مجال الإعارة ، حيث تُرتب المواد هنا - سواء الدوريات أو الكتب - حسب تكرار إعارتها (٣٣) .

ويرتبط هذا الاستخدام أيما ارتباط بالتطبيق السابق . ذلك أن (٣٤) المجموعة البؤرية من المواد المعارة تمثل بالطبيعة معظم اهتمامات المستفيدين ، ومن ثم فإن هذه البؤرة من الدوريات - مثلاً - ينبغي الاعتماد عليها والاحتفاظ بها . وإذا كانت من فئة الكتب فإنه يمكن الاستزادة منها لمواجهة هذا الاهتمام الكثيف . ومتى سمحت الميزانية ، فإن القطاعات التالية (وفقاً لمدى الإعارة واهتمام المستفيدين) يمكن إضافتها . وهكذا ، يمكن العناية بمجموعات المكتبة في شكل منتظم تماماً orderly .

٨ / ٤ إن تطبيق هذا القانون لا يقتصر على إنتاجية الدوريات ، وإنما يمتد إلى دراسة توزيعات التردد Frequency distributions لأي ظاهرة من الظواهر . والملاحظ (٥) أن التطبيق الفعلي لقانون برادفورد على بيانات أخرى سوى الدوريات قد بدأ منذ السبعينات .

ولقد استخدم القانون أيضاً بالنسبة للمؤلفين ، بوصف المؤلف عنصراً منتجاً للإنتاج الفكري بكافة أشكاله. ومن أمثلة ذلك بالنسبة للإنتاج الفكري الأجنبي الدراسة التي قام بها إيبكو على باحثي الجغرافيا النيجيريين (٣٥). كما أنه من أمثلة ذلك بالنسبة للإنتاج الفكري العربي ، دراسة حشمت قاسم لعلماء اللغة العرب (٢٣) ، وبحث محمد المصري حول الأطباء (٢٤) ، ودراسة فتحي عثمان أبو النجا للباحثين الزراعيين (٢٥) ، ودراسة هاشم فرحات لإنتاجية «المترجمين» المصريين (٢٧) .

٨ / ٥ وإن نشر الكتب بواسطة الناشرين يتبع أيضاً ذات القانون ، وذلك بأن تحل رتب الناشرين مكان الدوريات وإنتاجية الناشرين محل إنتاجية الدوريات . ومن أشهر دراسات هذه الفئة دراسة دنس وورثن Dennis B. Worthen (٣٦) .

٨ / ٦ هذا القانون لدراسة التشتت ، ويمكن أيضاً أن يُستخدم في دراسة التشتت اللغوي للإنتاج الفكري في موضوع معين . ونلاحظ هنا أن اللغة تُعتبر الوحدة المنتجة والوثائق هي وحدة الإنتاج .

٨ / ٧ ويُضرب أيضاً على هذه المعزوفة نفسها باستخدام قانون برادفورد في دراسة التكشيف ، حيث تترك الدوريات موقعها للمصطلحات ، ويحل محل الإنتاجية معدل التواتر أو عدد مرات الورود - أي عدد مرات استخدام تكشيف المصطلح في نظام الاسترجاع (٩) .

ونلاحظ هنا أننا كلما اقتربنا من المنحنى نجد أن النظام لا يشذ عن القانون العام . ولقد وجد بروكس عند تطبيقه أداة برادفورد على مجموعات المصطلحات Vocabulary data ، أن توزيعات هذه المصطلحات تشبه الوراقيات بامتيازها بالنواة (١٦) .

والملاحظة العامة هنا أيضاً (١٧) أن مصطلحات الكشاف المحددة للوثائق والأكثر تواتراً أو ترداداً تصبح - بعد فترة - أقل فأقل تخصيصاً أو تحديداً ، ومن ثم أكثر عقماً عند الاسترجاع . وهذه هي فائدة دراسة من مثل هذا النوع حيث يمكن إحلال وتبديل المصطلحات بصورة منهجية منتظمة .

٨ / ٨ ولقد وجد أن المسهمين في مناقشات مؤتمر ما ، الذين يُرتّبون تبعاً لتكرار أسئلتهم أو مساهماتهم ، يخضعون كذلك لمجموعة بيانات برادفورد a BradFord set of data . وتفسير ذلك أن المسهمين عادةً ما ينشأ بينهم التنافس لجذب أنظار الرئيس ، فيما يُفضل الرئيس المحنك دعوة مُسهم جديد للمناقشة كلما حانت الفرصة (١٧) . ولقد قام بروكس بالفعل بتطبيق القانون على مُسهمي أحد المؤتمرات (٣٧) .

٨ / ٩ يمكننا استخدام قانون برادفورد في تحليل الاستشهادات المرجعية أيضاً ؛ إذ يمكن استخدامه في تحليل الدوريات نفسها ولكن من حيث مدى الاستشهاد المرجعي بكل دورية في مجتمع معين أو في ظرف زمني محدد ، وذلك بدلاً من تركيز التحليل على إنتاجية هذه الدوريات .

ولقد أشار بروكس (١٧) إلى أنه ثمة دليلاً ما - لم يُدعم بعد - على أن منطقة النواة في دراسات الإنتاجية تُنتج أيضاً المفردات ذات الأعظم تكرار في الاستشهاد بها ؛ ومن ثم فإنها أيضاً - افتراضياً - هي الأكثر أهمية .

وبمقارنة التشت بين كل من الوثائق المصدرية والاستشهادات المرجعية ، في دراسة انصبت على مجالين مختلفين ، علم النفس التربوي وتحلية المياه ، اتضح أنه عند الجزء الأخير the tail - end من توزيع برادفورد أن المواد المستشهد بها تُظهر قدراً أكبر من التشتت من المواد التي وردت بها الاستشهادات (٣٨) .

المجال	قيمة س	
	الوثائق المصدرية	الاستشهادات المرجعية
الطب	١	١
الرياضيات	٧ر١	٨ر٢
علم الأرض	٣ر٢	٩٥ر١
علم الحيوان	٥٥ر٢	٥٥ر٢
الفيزياء	٦ر٢	٩ر١
علم النبات	٧٥ر٤	٥ر٢

الجدول (٣) : التشتت النسبي بين الوثائق المصدرية والاستشهادات المرجعية في الإنتاج الفكري العربي

إن هذه النتيجة الأخيرة لا تتفق والمؤشرات التي يمكن استقراؤها من الدراسات التحليلية للإنتاج الفكري العربي . فمن دراستي محمد المصري وزينب محفوظ - الجدول (٣) - نكتشف أن تشتت الوثائق المصدرية يبلغ قدراً مساوياً لتشتت الاستشهادات في موضوعي الطب وعلم الحيوان . ولعل الموضوع الوحيد الذي أبدت فيه الاستشهادات قدراً أعلى هو الرياضيات . فيما تفوق الوثائق المصدرية الاستشهادات في التشتت الموضوعي لمجالات علم الأرض والفيزياء والنبات .

إن علم التوافق هذا يشير مرة أخرى إلى خصوصية المجتمعات العلمية . وثمة أسباب ذات تأثير كبير في هذه المؤشرات ، ليس أقلها مدى توافر المقومات الأساسية لمجتمع المعلومات وخصائص المجال الموضوعي والفترة الزمنية محط الدرس ، وثمة متطلبات يمكن أن يكون لها تأثير كبير في تفسير هذه المؤشرات ، ليس أقلها إجراء مزيد من هذه الدراسات .

٨ / ١٠ وهكذا ، فإن أبرز الملاحظات التي يمكننا الخروج بها من العرض السابق لمجالات الإفادة من قانون برادفورد يمكن إجمالها في :

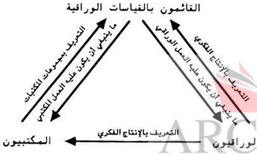
أولاً : إن تقييم الدوريات بواسطة قانون برادفورد يمكن أن يتم بطرق عدة ، هي :
- دراسة إنتاجية الدوريات ذاتها .
- دراسة الاستشهادات الموجهة إلى هذه الدوريات .
- دراسة مدى إعارة هذه الدوريات .

ثانياً : إن تطبيق قانون برادفورد لا ينصب على الدوريات فحسب ، وإنما يمتد إلى دراسة توزيعات التردد لأي ظاهرة من الظواهر .

ثالثاً : إن النتائج المستخلصة من الدراسات الببليومترية عامة ، وقانون برادفورد خاصة ، تدخل في نطاق اهتمامات :

- القائمين بالعمل الوراقي
- القائمين بالعمل المكتبي ؛ وعلى الأخص متخصصو المكتبات المتخصصة .
- علماء القياسات الوراقية الذين يقومون على تطوير هذه الأساليب .
- أصحاب المجال أنفسهم محط البحث ، والذين تتبدى لهم رؤى جديدة - في المجال الذي يعملون - لم تكن من قبل إجراء هذه الدراسات .

إننا نستطيع - بناء على ما سبق - أن نُضيف إلى شكل (١) - الوارد في الجزء الأول من هذه الدراسة - رجلاً ثالثاً هو القائم بالعمل المكتبي . كما يمكننا أن نحدد ، بوضوح ، بعض العلاقات التبادلية بين رؤوس المثلث الثلاثة (شكل ٧) .



الشكل (٧) : العلاقات الأساسية بين بعض القطاعات ذات الاهتمام بالقياسات الوراقية

إن الوراقي يقوم ، أساساً ، على التعريف بالإنتاج الفكري ؛ أولاً للمكتبيين ليكونوا على بينة بالبضاعة التي تخصهم في سوق الفكر ، وثانياً لرجل القياسات الوراقية القائم على تحليل هذا الفكر وتحديد خصائصه . وهو أخيراً على انتظار ما يأتي به هذا الأخير من نتائج تفيده في دقة التجميع وإحكام الضبط .

أما المكتبي فيمكنه أن يقدم لرجل الببليومتريقا قوائم بفهارس المكتبات المتخصصة ، وهنا ينصب التحليل وتحديد الخصائص البنيانية على مقتنيات مكتبات بذاتها . وبالرغم من البُعد الواضح بين فهرس المكتبة والوراقية الأبعد مدى ، إلا أن ثمة أهدافاً محددة يمكن تحقيقها عن طريق فحص الفهرس الأول ، هذا ناهيك عن أن النتائج المستخلصة يمكن أن تنسحب على مجموعات مُشابهة . والمكتبي ، بعدُ ، على انتظار لمؤشرات هذا التحليل في تحسين عمله اليومي ، إضافة إلى انتظاره الطبيعي لعمل الوراقيين .

والقائم بالقياسات الوراقية ، بدوره ، لا يبدأ عمله إلا حينما ينتهي الوراقيون والمكتبيون من تجميعهم . فهو إذن على انتظار . ثم إنه ، بعدُ ، يُقدم للوراقيين والمكتبيين معاً ما يفيدهم في عملهم .

جديرٌ بالاستدراك أن المثلث يؤول بعد ذلك إلى دائرة ، حينما يتصل أعضاؤه بمن هم دون العاملين في مجال المعلومات ؛ كمؤرخي العلوم ورجال علم الاجتماع وعلم النفس والإداريين ومتخذي القرارات .

٩ - قانون برادفورد والظاهرة الاجتماعية

٩ / ١ يلفت انتباهنا هبرت Hubert (٣٩) إلى أن بعض هذه الأساليب الببليومترية يُشار إليها - خطأ - على أنها قوانين بوصفها تقوم بالتنبؤ دونما خطأ .

وهذا هو ذات ما يقول به باكلاند Buckland (٤٠) ، من أن كل الطرق الببليومترية معرضة للنقد في أسسها النظرية ؛ غير أن هذه الطرق ، مع ذلك ، هي أساليب عملية practical techniques . ولكن حتى من وجهة النظر العملية هذه - تُضيف ويلكنسون Wilkinson (١١) . فإن تطبيق قانون برادفورد لن يكون مُشجعاً حتى تكون تنبؤات القانون ثابتة consistent .

وخلاصة هذه المقولات (٤١) أن البعض يعتبر القوانين الببليومترية هامة في وصف الظاهرة الببليوجرافية ، لكنها لا تشرح ولا تفسر ولا تتنبأ بالظواهر . كما أن بعضاً آخر يعتبرها مجرد توزيعات إحصائية مفيدة ، ولكنها لا تصل إلى مستوى القوانين .

وهكذا ، فإن السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : ما درجة الثقة في قانون برادفورد ، أو ما مدى التعويل عليه؟

٩ / ٢ إن هذا السؤال طرحه بروكس قبل أن نطرحه نحن ، بوصفه صاحب التطوير الجديد للقانون ، ومن ثم المدافع الأول عنه . أما ما أجاب به الرجل (١٧) فهو أن صيغ التشتت على العموم ما زالت إلى الآن مبهمة ، فيما عدا معنى التشتت الذي تناوله برادفورد في تطبيقه على الوراقيات المكتملة .

٩ / ٣ وإن وجهة النظر التي نتبناها هنا يمكن تلخيصها كالتالي (٤٠) : إن النظريات - وفقاً لتعريفها نفسه - هي بناءات فكرية ، يمكن التعبير عنها في شكل مكتوب Written أو مرسوم graphical ؛ وربما تلهمنا - هذه البناءات - أو ترشدنا إلى أشكال للممارسة ذات نمط معين أو محدد .

وبالفعل ، فإن بعضاً مما تعمل على وصفه هنا يتم بوصف البنية strncture ، وهي تعني - فيما تعني - كيف ترتبط الأشياء ببعضها البعض How things relate to each other . وبمعنىً فلسفي هام ، فإن وصف البنية عبارة عن نظرية ؛ حيث إن هذه البنية - من تعريفها أيضاً - هي العلاقة ما بين الأشياء ، ويمكن التعبير عن النظرية أيضاً من حيث العلاقات ما بين الأشياء .

ويبدو لنا بالفعل أن كل العناصر التي تتعلق بالإنتاج الفكري المنشور تسلك سلوكاً منتظماً محدداً لا يمكنها أن تحيد عنه - اللهم إلا فيما ندر .

وقد أشار دوركايم من قبل إلى صفة الجبر والالتزام التي تتميز بها الظواهر الاجتماعية ، وبيّن أن الفرد إذا حاول الخروج على إحدى الظواهر الاجتماعية فإنها تتصدى لمقاومته بصور مختلفة . ولذا فإننا نستطيع القول بأن مبدأ الحتمية متوافر في الميدان الاجتماعي كما هو متوافر في الميدان الطبيعي ، وأن من الممكن الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم الظواهر الاجتماعية التي تساعد على التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة (٤٢) .

٩ / ٤ إن قانون برادفورد ، في التحليل الأخير ، يعبر عن ظاهرة اجتماعية . بيد أننا ينبغي أن نتذكر (١٧) أنه في الظواهر الاجتماعية ليس ثمة شيء ثابت أو دائم permanent ، وإنما كل الأشياء متغيرة . وفترات ملاحظة الظواهر الاجتماعية ينبغي أن تكون مرتبطة بمعدلات تغير هذه الظواهر محط الملاحظة ، وما تحتاج إليه في مثل هذه الظروف هو أدوات ضابطة monitoring بسيطة قابلة للتطبيق على الأنشطة الحياتية ، أكثر من حاجتنا إلى أساليب محكمة مفصلة ، نهائية وعلى نحوٍ حاسم ، تكون نتائجها قد تقادمت قبل أن تنتهي صياغتها .

إن أسلوب الرتب أو الطبقية Ranking technique الذي قدمه برادفورد ذو ميزات وافرة ما للتحليل الإحصائي التقليدي لتوزيعات التواتر ، وذلك بالنسبة لتقديمه إحكاماً بسيطاً لأية مواقف اجتماعية (١٧) .

والمثير هنا (٤٣) هو أن توزيعات التردد الطبقي يمكن أن تُحلّل أو تُفسّر بدون الاعتماد على أية نظرية إحصائية أو افتراضات احتمالية أساسية ؛ إذ يمكن اعتبارها حرة النظرية theory - Free في الاستخدام والتطبيق .

وسوف يبقى قانون برادفورد - على حد قول بروكس (١٠) - قانوناً إمبريقياً حتى يتم فهمه بصورة أفضل. ولكن إذا كان من الممكن تطبيقه على نطاق واسع ، وإذا كان من الممكن الاعتماد عليه والإفادة منه في الإجراءات العملية ، فليس ثمة حاجة للانتظار حتى تنتهي تماماً من إنشاء النظرية الأساسية .

٩ / ٥ والحقيقة أن قوانين العلوم ، وخاصة العلوم الاجتماعية ، نسبية وغالباً ما تكون محدودة بحدود المكان والزمان . فالقانون الذي ينطبق على ظاهرة معينة في مجتمع معين قد لا ينطبق على نفس الظاهرة في مجتمع آخر ، والقانون الذي ينطبق على ظاهرة معينة في مجتمع معين في فترة معينة قد لا ينطبق على نفس الظاهرة في المجتمع نفسه في فترة زمنية أخرى (٤٢) .

فإذا ما اتُّهمت العلوم الاجتماعية ببعدها عن «الموضوعية» فإن مردّ هذا إلى أن ما تطرحه من تساؤلات لا يمكن عزله عن البيئة التي خرجت عنها هذه التساؤلات . وإذا كان ما تصل إليه من إجابات أقل تحديداً عما ألفناه حتى زمن قريب في العلوم الطبيعية ، فإننا نسلم اليوم باستحالة قدرة العلوم الطبيعية نفسها على عزل المسائل التي تعالجها في بيئتها (٤٤) .

وبالفعل ، فلقد «باتت قوانين العلوم الطبيعية في حقيقتها إحصائية الطابع ، احتمالية الصواب ؛ وقد كانت لأحد الكبار المشتغلين بمناهج العلوم ملاحظة طريفة في هذا الصدد ، وهي أنه بعد أن كانت العلوم الاجتماعية تحاول محاكاة العلوم الطبيعية في وصولها إلى قوانين مطلقة الصواب ، بدل اقتناعها بما هو إحصائي احتمالي ، انعكس الوضع حين تبين أن الطابع الإحصائي الاحتمالي هو غاية المطاف» (٤٥) .

إن من شروط القانون العلمي ألا يكون مطلقاً ، وإنما يُشترط لحدوثه توافر شروط معينة . فإذا تغيرت الظروف فإننا نكون بصدد حالة جديدة غير التي نص عليها القانون . وتغيرُ الظروف لا يغير من صحة القانون في شيء ، لأنه يظل صحيحاً وصادقاً في الأحوال والظروف التي أشار إليها .

٩ / ٦ إن الأساليب الببليومترية هي ، في الأساس ، أساليب رياضية وإحصائية . ومن المعلوم أنه كلما نحى علمٌ ما إلى التوسل بالقوانين الرياضية زاد اقتراباً من الحيدة والمنهجية .

إلا أن المعلومات ، المتمثلة في الإنتاج الفكري المنشور ، هي – كما سبق – ظاهرة اجتماعية ، ومن ثم فهي متغيرة دائماً أبداً ، وتختلف – بالطبيعة – باختلاف المجتمعات والثقافات .

ومن ثم ، فإن التحدي الأكبر الذي يواجه علماء البيليومتريقا اليوم هو تطوير أساليبهم المستخدمة هذه ، وذلك بتوسيع رقعة الدراسات التطبيقية في مختلف مجالات الإنتاج الفكري المتخصص ، وفي مختلف المجتمعات والثقافات . فثمة ارتباط وثيق ، كما هو معلوم ، بين البحوث التطويرية والبحوث الأساسية ، وربما أدت الأولى إلى نتائج تُثرى بها الأخيرة .

لقد كانت النتيجة التي كان ينتهي إليها معظم الذين يكتبون في قانون برادفورد ، هي الحاجة إلى مزيد من الدراسات في هذا الموضوع . وربما كانت هذه مقولة صحيحة تفتقد دوافعها الواضحة .

إن القوانين العلمية تقريبية ، فهي تعبر عن مقدار معرفة الباحثين للظواهر التي يقومون بدراستها . ولّما كان من الممكن أن تتسع دائرة هذه المعرفة ، فإن هذه القوانين تتعرض للتعديل والتبديل لتصبح أكثر دقةً وصدقاً ، ولكنها على الرغم من ذلك لا تصل أبداً إلى درجة المطلقة (٤٢) .

من ناحية أخرى ، فإن أكثر أساليب تحليل وتفسير المعلومات موضوعية وحيدة ، هي ذاتها التي يُتوخى من خلالها الوصول إلى أسس نظرية لظاهرة المعلومات ، وهي ذاتها التي تثبت – وأيضاً من خلالها – أنها (٤٦) تقع في منتصف الحلقة بين الأساليب المكتبية التقليدية وبين العلوم الاجتماعية ، وأنه منوط بها وحدها أن تصل بنا منهجياً لأن يكون علمنا واحداً من هذه العلوم .

١٠ – خاتمة

هل القوانين الببليومترية ، بالفعل ، لا تشرح ولا تفسر ولا تتنبأ ؟ إننا ينبغي أن نتذكر – ابتداء – أن «القوانين العلمية» لم تعد تبحث عن علل الظواهر (٤٢) ، بل صارت تهتم بدراسة نظام الظواهر ، وطريقة تشابكها ، وأنواع العلاقات القائمة بينها .

ويفيدنا قانون برادفورد في الدلالة على بناء أو تشكيل strncture الإنتاج الفكري في موضوع معين . إن القانون بهذه الصفة ذو قدرة هائلة على الوصف والشرح ، وبعض قدرة على التفسير تعتمد على القائم بالوصف والتحليل ، وإن كان القانون مازال ذا قدرة ضئيلة على التنبؤ . وقدرته الضئيلة على التنبؤ هذه ترجع إلى ارتباطه بعوامل اجتماعية كثيرة ، عسير السيطرة عليها والتحكم فيها .

وعلى ذلك ، فإننا ينبغي أن نقتنع – في ظل التطوير الحالي للقانون – بقدرته على الكشف والتفسير التي فتحت لمجال المعلومات آفاقاً جديدة وخدمات عديدة لم تكن قبل برادفورد وقانونه . كما أنها أعطت للباحثين أملاً جديداً في أن يكون لدينا يوماً ما قانون أو نظرية تعبر عن الظواهر الاجتماعية صعبة المراس ، وتتحكم في الظروف المختلفة المتباينة المحيطة بها .

وبذا فإن جوانب القصور الكامنة في قانون برادفورد لا تقلل أبداً من أهميته وفائدته ، لأنها من طبيعة الظاهرة وليست من طبيعته .

* * *

هل يُعد قانون برادفورد قانوناً ؟ وبمعنى آخر ، هل هو قانون Law أو أسلوب model أو مجرد توزيع distri-bution ؟ وما مدى قربه من هذه المسميات الثلاثة ؟

إن هذه التساؤلات لابد من أن ترد على خاطرنا في ظل التحديدات الصارمة لتعريفات القانون والنظرية وماشابهها من مفاهيم مناهج العلوم .

وابتداء ، لابد أن نشير إلى أن كشف برادفورد لكيفية تشتت الإنتاج الفكري جاء - ككل الاكتشافات الكبيرة - مصادفةً ، وناتجاً لفضول إحصائي كان يقوم به لغرض آخر غير التحقق من التشتت . بل لم يكن ثمة فرض يريد التحقق منه !

والباحثون الذين جاءوا بعد برادفورد ، والذين استرعى انتباههم ما قام به الرجل من إحصاءات وتحليلات ، أطلقوا على صيغته التي قدمها تفسيراً لهذه التحليلات - قانوناً . وكان أول هؤلاء س . ب . فيكري الذي كان أيضاً أول من اكتشف عدم توافق الصيغتين اللفظية والبيانية التي عبر بهما برادفورد عن أفكاره الأساسية .

والحقيقة أن تحليلنا لعينة من الإنتاج الفكري عن برادفورد ، بشيء من تسليط الضوء على المُسمى الذي وصفت به صيغته أو قانونه أو توزيعه ، يكشف لنا عن ملاحظات هامة ، لا يخلو بعضهما من طرافة (جدول ٤) .

١٩٦٧م . وفي العام الذي تلاه (١٩٦٨م) خرج علينا بروكس بصيغته التي دمج فيها كلاً من قانوني برادفورد وزيف ، وأسماها «توزيع برادفورد - زيف» ، التي صرنا نعرفها بـ «صيغة بروكس لتوزيع برادفورد - زيف» . على أنه في العام الذي يليه مباشرةً (١٩٦٩م) قدم بروكس تطبيقات أوسع لهذه الصيغة في مقال يُعد الأساس في المجال ، بعنوان «قانون برادفورد والوراقية العلمية» . وأصل بروكس تقدمه وقدم في ١٩٧٧م أسلوباً رياضياً معتمداً على أفكار برادفورد ، ورأى أنه يمكن تعميمه على كافة الأنشطة الاجتماعية ، معنوناً مقاله - ربما لهذا السبب الأخير - بـ «نظرية قانون برادفورد» . وفي هذا العام نفسه قدم إيبكو دراسته التطبيقية معتمداً على صيغة بروكس ، واسماً إياها بـ «نظرية توزيع» .

وإذا ما عدنا بأدراجنا إلى ما قبل ذلك بعامين اثنين ، لوجدنا دنس ورثن تعرض بحثها ، الذي تم فيه تطبيق قانون برادفورد على ناشري الكتب ، وتصف فيه القانون في سياق النص بأنه «قانون» برادفورد «للتوزيع» .

في عام ١٩٨٠م فضل يابلوتسكي إطلاق صيغة «قانون توزيع المطبوعات» محدداً القانون بطبيعة المفردات محط الفحص والدرس . أما في عام ١٩٨٧م ، فقد انتهت دوروثي هرتزل - في مقالها الاستعراضي المنشور بموسوعة المكتبات وعلم المعلومات - إلى أن «قانون برادفورد لتوزيع التشتت» !

المسمى الذي أطلق على تحليلات برادفورد	الباحث	العام
Law of distribution	BradFord, S.C.	1934
Law of scattering	BradFord, S.C.	1937
BradFord's law of scattering	Vickery, B.C.	1948
BradFord distribution	Leimkuhler, Ferdinand F.	1967
BradFord - Zipf distribution	Brookes, B. C.	1968
BradFord's law	Brookes, B.C.	1969
Theory of the BradFord law	Bookes, B.C.	1977
BradFord'S distribution theory	Aiyepeku, Wilson O.	1977
BradFord's law of distribution	Worthen, Dennis B.	1975
Law of dispersal of publications	Yablonsky, A.I.	1980
BradFord's law of distribution of sxattering	Hertzel, Dorothy H.	1987

الجدول (٤) : عينة لأبرز المسميات التي أطلقت على تحليلات برادفورد

فبينما أطلقت أولى المقالات التي درست برادفورد على صيغته هذه قانوناً ، وسمته آخر هذه المقالات (حتى كتابة هذه السطور) توزيعاً . وبين هذه وتلك مسميات عدة غير هذه وتلك .

كان أول من أطلق صفة التوزيع هذه هو ليمكولر عام

ويبدو من هذا العرض السريع لعينة من مقولات الإنتاج الفكري في قانون برادفورد ، في كل من عناوينه وسياقات نصوصه ، التي تم التركيز فيها على الصيغ والمسميات الدالة عليه ، نقول : يبدو أن أكثر الصيغ تردداً هي صيغة القانون . ومعنى ذلك أن غالبية الباحثين لا يجدون غضاضة

في إطلاق صفة القانون على ما قدمه برادفورد من مقولات وتحليلات ، فضلاً عن التطوير اللاحق عليه الذي يُعد في النهاية إردافاً للأساس الذي بناه برادفورد .

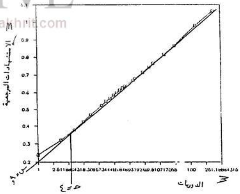
وثانية أكثر الصيغ تردداً هي «التوزيع» . ومن الواضح أن هذا المصطلح يُستخدم غالباً بطريقة تبادلية مع مصطلح «التشتت» . وربما يستخدمهما الباحث الواحد في البحث الواحد بالمعنى نفسه تقريباً . والاختلاف بينهما ، على العموم ، اختلافٌ طفيف ؛ غير أن التشتت ربما يُشكّل في الذهن معنىً أكثر دلالة على طبيعة الظاهرة أكثر مما يمنحه لنا التوزيع .

وأخيراً ، تعتبر النظرية دائماً أعلى مستويات المعرفة (٤٢) . وربما كان إطلاق صفة «النظرية» على قانون برادفورد من باب إطلاق العام على الخاص ، أو الأمل والطموح في أن يكون الخاص عاماً .

ملحق

بعض تطبيقات قانون برادفورد على
الإنتاج الفكري العربي

(١)

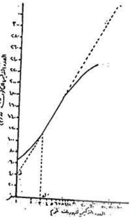


تحديد دوريات اللب في مجال علم الحشرات (٧٠ – ٧٥)

تطبيق زينب محفوظ لقانون برادفورد على الاستشهادات المرجعية للإنتاج الفكري في علم الحشرات يُظهر الانحناء الأوليّ للرسم البياني كما هو متوقّع .

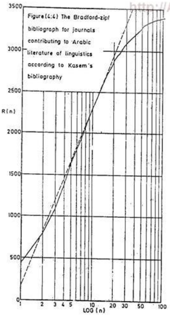
(٢)

الشكل رقم (٩ ب)
تشتت الإنتاج الفكري الطبي العربي
في «الأمراض النفسية»
في الدوريات الطبية الغربية



تطبيق محمد المصري للرسم البياني لبرادفورد – زيف على موضوع مخصص (الأمراض النفسية) ، معضداً قول «بروكس» في أن القانون يصدق ، أكثر ما يصدق ، على الموضوعات الضيقة .

(٣)



الدوريات العربية في مجال اللغويات لا تتفق والصيغة البيانية لقانون برادفورد وقد أرجع حشمت قاسم ذلك إلى أن هذا المجال ، مجال نام متشابك التخصصات inter disciplinary ، يمتد عبر عديد من المجالات الاجتماعية والإنسانية والطبيعية . كما أرجعه إلى طول الفترة الزمنية التي تغطيها الوراقية محط الدراسة التي تصل إلى قرن كامل ، مما نتج عنه عدم التناسب في إنتاجية الدوريات ، وكذا التغاير اللازم في خصائص الموضوع عبر هذه الفترة الزمنية الطويلة . وأخيراً لسقوط بعض المقالات ، من الدوريات العامة ومن دوريات العلوم الاجتماعية ، من الحصر .

(٤)

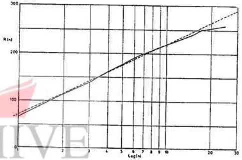


Figure (1:4) The Bradford-zipf bibliograph for journals contributing to Kahhâlah's bibliography

غياب الاستقامة عن الرسم البياني لبرادفورد – زيف مؤشرٌ لضعف الاتساق الموضوعي consistency في التجميع ، ووجود الخُطاف hook مؤشر إلى الاختيار أو عدم اكتمال التوثيق الوراقي (في تطبيق حشمت قاسم للقانون على الوراقية التي قام عليها عمر رضا كحالة في كتابه الموسوم «اللغة العربية وعلومها») .

الهوامش

(١) Zunde, Parnas (1984) Empirical laws and theories of information and Software science . **Information Processing & Management.** vol. 20, no. 1 - 2 (1984) .pp.5-18.

(٢) Zunde, Parnas and John Gehl (1979) Empirical Foundations of information science. In Martha E. Williams (ed.) **ARIST**. vol . 14. N.Y. : Knowledge Industry Publications, Inc. For ASIS, 1979 . pp . 67 - 92.

(٣) Rowley, J.E. and C.M.D. Turner (1978) **The Dissemination of Information** . London : Andre Devtsch Ltd, 1978 . 356 p .

(٤) Drott, M. Carle and Beleve C. Griffith (1978) An empirical examination of BradFord's law and the scattering of scienfific literature. **J. ASIS**. vol . 29, no. 5 (Sep. 1978) . pp . 238 - 246 .

(٥) Lockett, Mary W. (1989) The BradFord Distribution : A Review of the Literature, 1934 - 1987 . **LISR**. vol. 11, no. 1 (1989) . pp. 21 - 36 .

(٦) BradFord, S.C. (1948) Documentation . London : Crosby Lockwood, 1948 . As cited by : Brookes, B.C. (reF. no. 10)

(٧) ميدوز ، جاك (١٩٧٩) **آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا** . ترجمة حشمت قاسم . القاهرة : المركز العربي للصحافة ، ١٩٧٩ ، ٣٥٦ ص .

(٨) Wallace, Danny P. (1987) A Solution in Search of a Problem : Bibliometrics & Libraries . **Library Journal** . vol. 112, no. 8 (May 1987) . pp . 43 - 47.

(٩) حشمت قاسم (١٩٨٨) **مناهج البحث في علوم المكتبات والمعلومات** . القاهرة : جامعة القاهرة ، قسم المكتبات والوثائق ، ١٩٨٨ . محاضرات غير منشورة ألقيت على طلاب تمهيد الماجستير .

(١٠) Brookes, B.C. (1969) BradFord's law and the Bibliography of Science . **Nature** . vol. 224 (6 Dec . 1969) . pp. 953 - 056 .

(١١) Wilkinson, Elizabeth A. (1972) the ambiguity of BradFord's law . **J.Doc**. vol. 28, no. 2 (June 1972). pp. 122- 130 .

(١٢) Leimkuhler, F.F. (1967) The BradFord Distribution. **J.Doc**. vol. 23, no. 3 (Sep. 1967). pp. 197 - 207 .

(١٣) Bookstein, Abraham (1976) The Bibliometric Distributions. **Library Quarterly**. vol. 46, no. 4 (Oct. 1976). pp. 416 - 423.

(١٤) Narin, Francis and Joy K. Moll (1977) Bibliometrics. In Martha E. Williams (ed.) **ARIST**. vol. 12, N.Y. : Asis, 1977. pp. 35 - 58 .

(١٥) Marulli, Luciana (1979) BradFord Distribution of Data Elements. **J.ASIS**. vol. 30, no. 2 (Mar. 1979). pp. 107 - 108.

(١٦) Brookes, B.C. (1984) Towards informatics : Haitun, Laplace, ZipF, BradFord and the Alvey Programme. **J.Doc**. vol. 40, no. 2 (Jume 1984) . pp . 120 - 143.

(١٧) Brookes, B.C. (1973) Numerical Methods of Bibliographic Analysis. **Library Trends**. vol. 22, no.1 (July 1973). pp . 18 - 43 .

(١٨) ميسون حبيب حسو (١٩٨٦) مفهوم قانون برادفورد للتشتت وتطبيقاته في المجالات المكتبية المختلفة. **مجلة آداب المستنصرية** . ع١٣ (١٩٨٦) . ص٤٤٧ - ٤٧٢

(١٩) Aiyepeku, Wilson O. (1974) Towards a methodology of bibliometrics. **Nigerian Libraries**. vol. 10, no. 2&3 (Aug. & Dec. 1974). pp. 85 - 90.

(٢٠) Alabi, G. (1979) BradFord's Law and Its Application. **Int. Libr.** Rev. vol.11, no.1 (Jan.1979). pp.151-158.

(٢١) Brookes, B.C. (1968) The derivation and application of the BradFord - Zipf distribution. **J.Doc**. vol. 24, no.4 (Dec. 1968).

(٢٢) هذه القائمة ليست قائمة حصرية ، وإنما تتضمن الدراسات الرئيسية ، وإن اختلف ترتيبها .

(٢٣) Kasem, Hishmat M.A. (1978) **Arabic in specialist information system : a study in Linguistic aspects of information transfer.** London: University of London, 1978, 226 p. PH.D. Thesis.

(٢٤) محمد المصري (١٩٨٢) **الإنتاج الفكري للأطباء العرب في العصر الحديث** . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨٢ ، ٣٢٥ ص .

(٢٥) فتحي عثمان أبو النجا (١٩٨٤) **وضع نظام عربي لاختزان واسترجاع المعلومات في قطاع العلوم الزراعية** . القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٤ ، ٤٩٨ ص . أطروحة دكتوراه .

(٢٦) زينب محفوظ (١٩٨٨) دراسة ببليومترية **لخصائص الإنتاج الفكري المصري في دوريات العلوم البحتة** . القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٨ ، ٣٧٧ ص . أطروحة ماجستير .

(٢٧) هاشم فرحات (١٩٨٨) **الكتب المترجمة إلى اللغة العربية في مصر في الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٨٥: دراسة ببليومترية** . القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٨٨ ، ٤٣٠ ص . أطروحة ماجستير .

(٢٨) الجدير بالإشارة هنا أن ثمة دراسات تطبيقية عربية تتوسل بالقانون ومازالت قيد البحث ؛ مثل دراسة فايقة محمد علي حسن ، على مجال المكتبات والمعلومات ، ودراسة . زينب محفوظ على مجالي السياسة والاقتصاد ، ودراسة عطية بن عطية الله المزيني على الرسائل الجامعية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في مجال الفقه الإسلامي ، ودراسة عبدالله الفضلي على الإنتاج الفكري اليميني ، ودراسة . أماني الرمادي على الإنتاج الفكري العالمي في القرآن الكريم ، ودراسة كاتب هذه السطور على مجالات علوم الدين الإسلامي على العموم .

(٢٩) BradFord, S. C. (1937) The extent to which scientific and technical giterature is covered by present abstracting and indexing periodicals . **In ASLIB Proceedings**,14 th Conference, 1937, p. 64. As cited by : Hertzel, Dorothy H. (ref . no. 57) .

(٣٠) BradFord, S.C. (1946) Complete Documentation. In **Royal Society Empive Scientific Conference** . 1,June - Jnly 1946. report. pp . 729 - 748. As cited by : Hertzel, Dorothy H. (ref. no. 47) .

(٣١) Montenegro - de - Lima and et . (1984) Selection and acquistion : From the classical view to the modern application of bibliometric fechniques. **Ciencia - da - Informacao** . vol. 13, no. 2 (1984) . pp. 137 - 150 .

(٣٢) Simpson, I.S. (1988) **Basic atatistics For librarians**.3rd ed. London : LA Pnblishing Ltd, 1988, 242 p .

(٣٣) Alabi, G. (1979) Statistical Analysis of Journal Usage. **Int . Libr. Rev**. vol . 11, no. 1 (Jan. 1979) . pp. 141 - 150 .

(٣٤) Goffman, William and Thomas G. Moris (1970) BradFord's Law and Library Aguisigions. **Nature**. vol. 226 (6 June 1970). pp. 922 - 923.

(٣٥) Aiyepeku, Wilson O. (1976) The productivity of geographical zuthors : a case study From Nigeria. **J. Doc**. vol. 32, no. 2 (Jan. 1976). pp. 105 - 117 .

(٣٦) Worthen, Dennis B. (1975) The application of BradFord's Law to monograghs. **J. Doc**. vol. 31, no. 1 (Mar. 1975). pp. 19 - 25 .

(٣٧) Brookes, B.C. (1977) Theory of the BradFord law. **J.Doc**. vol. 33, no. 3 (Sep. 1977) . pp. 180 - 209 .

(٣٨) Parbha, C.G. and F.W. Lan aster (1987) Comparing the scatler of citing and cited literature. **Scienfometrics**. vol. 12, nos. 1 - 2 (July 1987). pp. 17 - 31.

(٣٩) Hubert, John J. (1981) General Bibliometric Models. **Library Trends**. vol. 30, no. 1 (Summer 1981). pp. 65 - 81.

(٤٠) Buckland, Michael K. (1988) **Library Services in Theory and Context**. 2nd ed. London : Pergamon Press, 1988. 241 p.

(٤١) أحمد بدر (١٩٨٧) القياسات الوراقية ومنهجية بناء وتطوير القوانين والنظريات والنماذج . **مجلة المكتبات والمعلومات العربية** . س٨ ، ع٣ (يولية ١٩٨٧) . ص ص ٨٥ - ١٠٣ .

(٤٢) عبدالباسط محمد حسن (١٩٨٢) **أصول البحث الاجتماعي** . ط ٨ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٢ ، ٥٨٩ ص .

(٤٣) Brookes, B.C. and Joes M. Griffith (1978) Frequency - Rank Distributions.**J.ASIS**. vol. 29, no.1 (Jan. 1978). pp. 5 - 13 .

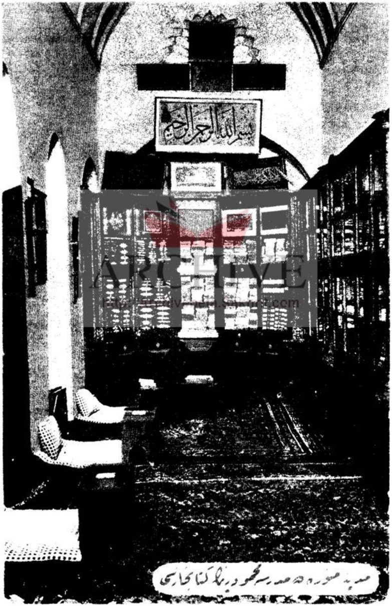
(٤٤) أسامة الخولي (١٩٨٩) في مناهج البحث العلمي : وحدة أم تنوع ؟ . **عالم الفكر** . مج ٢٠ ، ع ١ (أبريل ١٩٨٩). ص ص ٣ - ١٢ .

(٤٥) زكي نجيب محمود (١٩٩٠) رؤية موحدة (٣) . **الأهرام**.

ع ٣٧٧٧٩ (٥ / ٥ / ١٩٩٠) ص ١٥ . (حصاد السنين ؛ ٢٧).

(٤٦) صمول ، هنري (١٩٨٤) علاقة علم المعلومات بالعلوم الاجتماعية : تحليل للمصاحبة الوراقية . ترجمة حشمت قاسم في كتابه «دراسات في علم المعلومات» . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٨٤ . ص ص٥٣ - ٨١ .

(٤٧) Hertzel, Dorothy H. (1987) Bibliometrics, History of the development of ideas in . In Allen Kent (ed) **Encyclopedia of Library and Information Science**. vol. 41 (Supp - 7) . N.Y. : Marcel Dekker, Inc., 1987. pp. 144 - 219.



كتاب المسائل الملَقَّبَات في عِلْمِ النحو

للإمام : محمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣هـ
حققه وعلّق عليه
عبدالفتاح السيد سليم
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

السادسة
مَسْألةُ الكُحْل (*)

وقد أفردها بِمُؤَلَّفٍ الشَّيْخُ شَمْسُ الدينِ بْنُ الصائغ (١)، وسَمَّاهُ بـ(كتاب الوضع الباهر) (٢) فقال (٣) :

اعْلَمْ أنَّ اسْمَ التفضيل من الأسماء المشتقة من الأفعال (٤) ، ويُشْبِهُ من الأفعالِ الأفعالَ غَيْرَ المتصرفة (٥) ، وهو (٦) وفِعْلُ التعجب من بابٍ واحدٍ (٧) ، حتي إنَّ حُذَّاقَ النحويين قالوا : إن الذي شَذَّ في أحد (٨) البابينِ شَذَّ في الآخر .

قال ابن عُصْفُورٍ (٩) : لا يُتَعَجَّبُ من فِعْلِ المفعول (١٠) ، وشَذَّ : مَا أَخْوَفَهُ عندى ، وأَنْشَدَ :

فَلَهْوَ أَخْوَفُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ (١١) .. .. ..

ولا من الألوان ، وشَذَّ قوله :

.. .. .. فَأَنْتَ أَبْيَضُهُمْ سِرْ بَالَ طَبَّاخٍ (١٢)

ولقد كُنْتُ قِدْماً (١٣) نَظَرْتُ (١٤) هذه المسألة النحويةَ في أنَّ البابين من وادٍ واحدٍ ، والواردُ في أحدهما واردٌ في الآخر بمسألةٍ فقهيةٍ ، وهي أن التَّمَتُّعَ والقِرَانَ (١٥) كذلك من وادٍ واحدٍ ، والنَّصُّ الواردُ في التمتع واردٌ حُكْمُهُ في القِرَانِ، ضَمَّنْتُهُ كتاباً سمَّيته بـ (اختراع الفُهُوم لاجتماع العلوم) .

إذا تقرر ذلك ، فَمُقتضى هذه الصفةُ ألاَّ تَعمَلَ ؛ إذ هي اسم ، وحَقُّ الأسماء ألاَّ تعملَ ، إلاَّ إنْ أشْبَهَتْ الفِعْلَ ، أو أشبهت ما أشْبَهَ الفِعْلَ ، فالأول كاسْمِ الفاعل ، والثاني الصفةُ المُشَبَّهَةُ به (١٦) .

و (أَفْعَلُ) هذه لم (١٧) تُشْبِهْ الفِعْلَ شَبَهَ اسمِ الفاعلِ ، في جَرَيَانِهاَ مطلقاً : أعْنِي حَالَةَ تذكيرها وإفرادها وفروعها وهو (تَفْعَلُ) ، حتى إنه في بعض الأماكن اخْتُلِفَ في الكلمة : هل هي فِعْلٌ أو اسْمُ تفضيل ؟ كقوله

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي ، وَإِنِّي لأَوْجَلُ
عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ (١٨)

بل إن جرى (أَفْعَلُ) على المضارع لم يَجْرِ بغير الفروع .

فإن قلت : ولِمَ لَمْ تَكُنْ (أَفْعَلُ) جاريةً على المضارع في الحركات والسكنات ، إذ لا اعتبارَ بالأصالة والزيادة ؛ ألا ترى أن (ضارباً) جَارٍ على يضرب ؟

قلت : علامةُ التأنيث خارجةٌ عن ذلك ، ألا ترى أن (ضاربة) جاريةٌ والتاء خارجة عن ذلك ؟

ولِقَائلٍ أن يقول : التاء خارجة عن الوزن ؛ بدليل استثنائه ، بخلاف الألف .

والذي يدفع هذا كُلَّهُ أن كلامنا في (أَفْعَلَ مِنْ) ، وهي لازمةُ الإفرادَ والتذكيرَ .

ومعنى الجَرَيَانِ - كما قال ابن عُصْفُورٍ - : الْجَرَيانُ على المضارع في الحركات والسكنات والتذكير والتأنيث والتثنية والجمع (١٩) .

ولم تُشْبِهْ اسْمَ الفاعلِ (٢٠) الجاري على الفعل كَشَبَهِ (٢١) الصفة له في لَحَاقِ العلامات الدَّالَّةِ على فرعية المسند إليه ، بَلْ جَرَتْ مجرى فعل التعجب في المعنى ، ولذلك (٢٢) لَزِمَتْ الإفرادَ والتذكيرَ ، إذا كانت مجردةً من (أَلْ) والإضافة لذلك .

وليس لزومُ (أَفْعَلَ) لذلك (٢٣) ؛ لِتَضَمُّنِهِ معنى الفعل والمصدر المُسْتَحِقَّيْنِ لذلك ؛ بدلالتهما على الجنس ، كما ذكره مُوَفَّقُ الدينِ بْنُ يَعِيشَ (٢٤) في (شرح المفصل) ، وابْنُ بَابَشَاذَ (٢٥) ، وقد أخذه ابن السَّرَّاجِ (٢٦) كذا في (الإيضاح) (٢٧) .

وقد عَلَّلَ ذلك بمثالٍ في (الإيضاح) (٢٨) بأنهم لو جَمَعُوا بينهما في علامة الفروع وبين (أَلْ) فَإِذَنْ الْبَيْتُ من (أدخلوا

الدرع) بمعنى مع (أَلْ) الإضافة (٢٩) ؛ لأن غير المجرَّدِ وبَقِيَّةَ المشتقات كذلك . ولا كما ذكره المتأخرين من أنها مع (مِنْ) (٣٠) كبعض الكلمة مع باقيها ، وبَعْضُ الكلمة لا تلحقه العلامات ؛ لأن إعرابها على حِدَتِها يَدْفَعُ ذلك .

وإذا كان الجامد من الأفعال قاصراً في عمله عن المتصرف ؛ لِشَبْهِه بالأسماء ، فما يُشْبِهُهُ من الأسماء ينبغي ألاَّ يَعْمَلَ ، إلا أن (أَفْعَلَ) لما فيه من الاشتقاق والجريان على الموصوفات عَمِلَتْ في الضمير المتصل والتمييز والحال والظرف وعَدِيلِهِ ، لا في الظاهر ولا في المفعول به - على المشهور ، وهذا معنى (٣١) قَوْلِ مَنْ قال : لا تَعْمَلُ .

وأما قوله تعالى : (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (٣٢) فـ(حيث) نُصِبَتْ بِمُقَدَّرٍ نَصْبَ المفعول به ، أي : يعلم حيث ، لا جُرُّ بالإضافة ؛ لأن (أَفْعَلَ) بَعْضُ ما يضاف له ، ولا نُصِبَتْ بـ(أَعْلَمُ) نَصْبَ الظروف ؛ لأن عِلْمَهُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ (٣٣) ، وفي الآخر بَحْثٌ (٣٤) .

وكذلك قوله :

... ... وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (٣٥)

نَصَبَهُ بـ(يضرب) مُقَدَّراً ، وقيل : بإسقاط الخافض ، أي : أَضْرَبُ للقواضب (٣٦) ، ورُجِّحَ الأولُ بكثرة حذف الفعل دون الحرف . ولا يقال : إنها تعمل وهو ما تلحقه علامات تَدُلُّ على شِبْهِ ما يحكم بِشَبَهِهِ ، وهذه ليست كذلك ، فكيف تَدُلُّ ؟ لأنه كقوله :

.. .. .. كَانَ جَوَابِي بِالْعَصَا أَنْ أَجْلَدَا (٣٧)

و : زَيْداً مَرَرْتُ بِهِ (٣٨) .

وبَعْضُ العرب - لِأَجْلِ الاشتقاق - أَعْمَلَهَا في الظاهر مطلقاً- حكاه سيبويه في موضعٍ ، ومنعه في آخَرَ وحكم عليه بالقِلَّة والرَّدَاءَةِ (٣٩) . ورَفَعَ بها الظاهرَ كُلُّ العرب في مسألة (الكُحْل) استحساناً ، والقياس قَدْ قَدَّمْنَاهُ وَوَجْهَهُ ، إِلاَّ أَنَّ بعضَ المتأخرين اعترض عليه بأن عدم لَحَاقِ العلامات لـ(أَفْعَلَ) يُقَوِّي شَبَهَهُ بالفعل ، من حَيْثُ إِنَّ الفعل لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ، فيجب أن يعمل بطريق الأَوْلَى ، وهو مسبوقٌ بهذا الكلام في كلام الرشيد سعيدٍ (٤٠) ، والرشيد سعيدٌ مسبوقٌ أيضاً . قال أبو على (٤١) - فيما نقله التَّدْمُرِيُّ عنه - في مسألة المازنيُّ : إن (خَيْرَ مَاتكُونُ) نُصِبَ بـ(خَيْرٌ مِنْكَ) ، وقد تقدم أنه أشبه الفعل من جهات : من أنه لا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ ولا يُؤَنَّثُ ، ويُوصَلُ بالحرف تَارَةً نحو : زَيْدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ .

وجواب (٤٢) ذلك : أَنَّا لاَ نُسَلِّمُ أن ذلك لِقُوَّةِ شَبَهِهِ بالفعل ، بَلْ لضعفه ؛ حيث لم يَجْرِ مَجْرَاهُ في لَحَاقِ العلامات ، فَلَحَاقُ العلامات مِمَّا يُقَوِّي شَبَهَ الفعل ، وقد ذكره جماعةٌ من النحويين في علة عمل اسم الفاعل عَمَلَ الفعل . وإنْ سُلِّمَ أن ذلك مِمَّا يُقَوِّي شَبَهَهُ بالفعل ، فهو الفعلُ الجامدُ (٤٤) الذل هو ضعيفٌ غَيْرُ متصرفٍ ، شُبِّهَ بالأسماء بدليل مسألةِ : إنَّ زَيْداً لَنِعْمَ الرَّجُلُ ، ومسألة : (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى) (٤٥) ، فإنها المخفَّفَةُ من الثقيلة بدليل (وَأَنَّ سَعْيَهُ) (٤٦) إلى غير هذا من المسائل ، وما حَالُ ضعيفٍ تَعَلَّقَ بضعيفٍ ؟ ! .

وَوَجَّهَ الشَّيْخُ أبو عمروٍ (٤٧) القياسَ بأن اسْمَي الفاعِلِ والمفعولِ والصفةِ الْمُشَبَّهةِ باسم الفاعل إنما عَمِلَتْ لشبهها بِفِعْلٍ وُجِدَ بمعناها ، وهو (يَفْعَلُ ويَفْعِلُ وفَعَلَ) و (أَفْعَلُ) لم يوجد فِعْلٌ بمعناه ، أي يدل على الزيادة (٤٨) .

واعْتُرِضَ عليه أولاً : بان الصفة دَالَّةٌ على الثبوت ، ولا فِعْلَ إلا وهو دَالٌّ على الحدوث ، وفي أفعال الغرائز ودلالتها على الحدوث أو الثبوت بَحْثٌ . وأما أمثلةُ المبالغة فنائبةٌ عن (فَاعِلٍ) أو فِعْلُهَا فَعَلَ أوْ فَعِلَ أو فَعُلَ المجردةُ من أداة الكثرة ، فإنه وإن لم يوضع لها لا ينافيها .

وثانياً : بأن لـ(أَفْعَلَ) فِعْلٌ بمعناه ، وهو فِعْلُ التعجب ، ولو زاد قَيْدَ التصرف كَخَرَجَ . على أن لِقَائِلٍ أن يقول : ليس (أَفْعَلَ) في التعجب موضوعاً لذلك .

ومسألة (الْكُحْلِ) لُقِّبَتْ بذلك ؛ لأن سِيبَوَيْهِ مَثَّلَهَا بـ : ما رأيت رجلاً أَحْسَنَ في عينه الكُحْلُ منه في غيره (٤٩) ، وبغير ذلك من الأمثلة (٥٠) ، وَبَسَطَ الكلامَ في مثال الكحل ما لم يَبْسُطْهُ في غيره (٥١) .

وقد ضَبَطَهَا الإمامُ جمالُ الدين أبو عمروٍ (٥٢) بما إذا كان (أَفْعَلَ) لشيءٍ وهو في المعنى لِمُسَبَّبٍ مُفَضَّلٍ باعتبارِ الأوَّلِ على نفسه باعتبار غيره منفياً (٥٣) ، أي صفةٌ لشيءٍ وهو في المعنى لمتعلِّقٍ به مُفَضَّلٍ - وهو الكحل - . وقيل : لِمُسَبَّبٍ أي لمجعولٍ سَبَباً .

وقيل : الأَفْضَلُ بالحقيقةِ لِلْعَيْنِ هي سبب للكحل في التفضيل ، ولهذا لزمت باعتبار وقوعه في الأول ، وهو ذلك الشئ الموصوف على نفس الكحل باعتبار وقوعه في غير ذلك الموصوف ، والتفضيل انعكس لأجل النفي .

والإمامُ جمالُ الدين بْنُ مالكٍ (٥٤) قال في (تسهيله) : لايرفع (أَفْعَلُ) التفضيلَ في الأَعْرَفِ (٥٥) ظاهراً إلا قبل مفضولٍ هُوَ هُوَ ، مذكورٍ أو مقدَّرٍ [وبعد ضمير مذكور أو مقيَّدٍ] (٥٦) مفسَّرٍ ، بَعْدَ نفيٍ أو شبهه يصاحبُ (أَفْعَل) .

ولا أَعْرِفُ مَخْرَجاً لِلُغَةِ من يرفع بها الظاهرَ مطلقاً - كما سبق - لَكِنْ كان ينبغي أن يَزِيدَ : أو ضميراً منفصلاً ؛ ليخرج مثل : مَرَرْتُ برجلٍ أَحْسَنَ منه أَنْتَ .

(إلا قَبْلَ مفضولٍ) (٥٧) المفضولُ أبداً هو المجرور بـ(مِنْ) وأَفْعَلَ قبله ، وإنما أراد أن يُقَيِّدَهُ بانه (هُوَهُوَ) ، أي المجرور هو ذلك الظاهر الذي فُرِضَ رَفْعُ (أَفْعَل) له وهو (الكحل) ؛ إذا الضمير يعود عليه .

ومثال كونه مذكوراً المِثَالُ السابقُ ، وكَوْنُهُ مُقَدَّراً ، منه ما ذكره سيبويه من الحديث : «مَامِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَىَ الله

فِيهَا الصَّوْمُ مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ» (٥٨). قيل: وحُذِفَ (إليه) أيضاً، قال الْخَفَّافُ (٥٩): من قال: (أَحَبُّ) حمله على لفظ الأيام، ومن رفع فَعَلَى موضعها والْخَبَرُ محذوفٌ، أي: في الوجود. والْمَرْوِيُّ في (الصحيح): «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ الْعَمَلُ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ» (٦٠). ولا شَاهِدَ فيه. أما تجويزه مع إدخال (مِنْ) على المحل كـ (٦١): ما رأيت رجلاً أَحْسَنَ في عينه الكُحْلُ من عين زيدٍ، أو على ذي المحل كـ (٦١): ما رأيت رجلاً أَحْسَنَ في عينه الكُحْلُ من زيدٍ.

وأما حَذْفُهُ مع (مِنْ) كقوله (٦٢):

مَا إِنْ رَأَيْتُ كَعَبْدِ اللهِ مِنْ أَحَدٍ
أَوْلَى بِهِ الْحَمْدُ فِي وُجْدٍ وَإِعْدَامِ (٦٣)

ومنه بَيْتَا الكتابِ الْمَعْزُوَّانِ لِسُحَيْمٍ:

مَرَرْتُ على وادي السِّبَاعِ ولا أرى
كوادي السِّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وَادِياً
أَقَلَّ بِـهِ رَكْـبٌ أَتَوْهُ تَئِيَّةً
وأَخْوَفَ إِلاَّ مَا وَقَى اللهُ وَاقِيَا (٦٤)

قال الأَعْلَمُ (٦٥) في كتابه (تحصيل عين الذهب) (٦٦) التقدير: أَقَلَّ به رَكْبٌ أتوهُ مِنهُمْ بِوَادِي السِّبَاعِ، فجرى في الحذف مجرى (الله أكبر) (٦٧) – يعني على أحد القولين.

وقَدَّرَهُ في (النُّكَتِ): أقلَّ به ركبٌ أتوهُ تَئِيَّةً منهم به، على أن (به) يعود على (وادي السباع)، لا على ما عادت عليه (به) في الأول (٦٨)، وهو قريبٌ من الأول.

وقدَّرهُ بَدْرُ الدين بْنُ مالكٍ (٦٩): لا أرى وَادِياً أَقَلَّ بِهِ رَكْبٌ تَئِيَّةً كَوَادِي السِّبَاع (٧٠)، ولم يُوفِ التقديرَ حَقَّهُ؛ فإنه حذف المفضل عليه – وهو منهم – العائد على الرَّكْب، وبَقَى المحلُّ الآخرُ – وهو كوادي السباع – الذي قدّره الأعلم به (قد وقع كوادي السباع) (٧١)، فإنه أراد هو المذكور في البيت فيه (أَلْ)، و(أَلْ) من جملة الموصوف باسم التفضيل. وتلخيص البيت: ولا أرى كوادي السباع وادياً أقلَّ به الركبُ إلا أَتَوْهُ تَئِيَّةً – وهي الْمُكْثُ منهم بوادي السباع.

وقال أبو جعفرٍ بْنُ النَّحَّاسِ (٧٢) في (شرح أبيات سيبويه): تَأَيَّيْتُ بالمكان – مثل تَفَعَّلْتُ –: تَمَكَّثْتُ.

وقال السَّخَاوِيُّ (٧٣) في (شرح المفصَّل): ويحتمل أن يكون (أَقَلَّ) هنا فِعْلاً ماضياً، ويرتفع (رَكْب) على أنه فاعل، و (تَئِيَّةً) مفعولٌ به، والْكُلُّ في موضع الصفة لـ (وادِياً)، و (أَخْوَفَ) على: وَلَمْ أَرَ أَخْوَفَ.

قال الْخَفَّافُ: و (وَادِياً) مفعولُ (أرَى) و (كَوادِي) صفةٌ تقدمت فانتصبت حالاً، ويجوز أن يكون (كَوادِي) مفعولَ أرَى و (وَادِياً) تمييزٌ بمنزلة: ما رأيت كاليوم رَجُلاً، و (أَخْوَفَ) معطوفٌ أي: وأَخْوَفَ به منهم (٧٤).

و (بعد ضمير) أي: يكون (أَفْعَلُ) بعده ضميرٌ مذكورٌ، وهو في المثال (في عينه)، أو مقدرٌ نحو ما حكاه أبو جعفر (٧٥) عن محمدِ بْنِ يَزِيدَ (٧٦) من قولهم: ما رأيت قَوْماً أَشْبَهَ بَعْضٌ بِبَعْضٍ مِنْ قَوْمِكَ، وقال: رفعت (البعض)؛ لأنْ أَشْبَهَ لَهُ وليس لقومٍ.

قال بعض شراح (التسهيل): تقديره: ما رأيت قَوْماً أَبْيَنَ فيهم شَبَهُ بَعْضٍ ببعضٍ من شبهِ بَعْضِ قَوْمِكَ بِبَعْضٍ. فَجُعِلَ (أشبه) موضع (أَبْيَنَ) واسْتُغْنِيَ به عن ذكر المضاف، ثم كَمُلَ الاختصارُ بوضوح المعنى بالتقدير: مارأيت قوماً أَبْيَنَ فيهم شَبَهُ بَعْضٍ ببعضٍ من قومك، ثم حذف الضمير الذي هو فيه العائد على شبه، وأدخل (مِنْ) على (شَبَه) فصار التقدير: مِنْ شَبَهِ بعض قومك ببعض، ثم حذف (شَبَه) و (بعض) وأدخلت (مِنْ) على (قومك)، وحذف متعلَّق (شَبَه) وهو (بِبَعْضٍ) لحذف ما تعلَّقَ به – وهو شَبَه – فَبَقِيَ (مِنْ قَوْمِكَ)، وهو على حذف اسمين (٧٧).

(وبعد نفي) تَقَدَّمَ في المثال و (شِبْهِهِ) يعنى به النَّهْي والاستفهامَ، وقد اعْتُرِضَ عليه بعدم السماع في ذلك، وليس مَوْضِعَ قياسٍ (٧٨)! وجوابه: أنه قد استقرَّ أن النهي والاستفهام للإنكار ويجريان مجرى النفي في أخوات (كان) الأربعة (٧٩) والاستثناءِ وتسويغِ مجيء الحال من النكرة في الفصيح، إلى غير ذلك.

وصاحب (أَفْعَلَ هو (رَجُلٍ) في المثال.

وصَرَّحَ بَدْرُ الدين وَلَدُ الشيخ جمالِ الدين بْنِ مالك باشتراط كون الفاعل أجنبياً، فقال في (شرح الخلاصة): لم يَرْفَعِ الظاهرَ عند أكثر العرب إلا إذا وَلِيَ نَفْياً أو استفهاماً، وكان مَرْفُوعُهُ أجنبياً مُفَضَّلاً على نفسه باعتبارين (٨٠).

وقد رأيتُ الإمامَ جمالَ الدين بْنَ الحاجبِ اشْتَرطَ السببيةَ، والإمامُ جمالُ الدين (٨١) ساكتٌ عن ذلك، فنقول: إِنْ قَصَدَ بدر الدين بـ (الأجنبي) نَفْى السببيِّ الذي اتصل بضمير الموصوف، كما مَثَّلَ به في أثناء كلامه من: ما رأيت رَجُلاً أَحْسَنَ منه أبوه، فلا شك أن (أَفْعَلَ) فيه لا يرفع الظاهرَ في اللغة المشهورة، لكن هذا القيد كان مُسْتَغنىً عنه بقوله: مُفَضَّلاً على نفسه باعتبارين.

وإنْ أراد به نَفْيَ السببيِّ الذي للموصوف به تَعَلُّقٌ ما، فليس كذلك، بل لابُدَّ من أن يكون سبباً بهذا المعنى، وهذا الذي يُحْمَلُ كلامُ الشيخ أبي عمروٍ عليه، وأن يكون أجنبياً بالمعنى الأول ليخرج: ما رأيت رجلا أحسن منه أبوه. لكن قَدْ قَدَّمْنَا أن هذا خارج من قَيْدٍ آخرَ.

وبَقِيَ النَّظَرُ فيما إذا قيل: مارأيت رجلا أحسن في عينه – الظاهرُ أن يكون الضمير في (منه) يعود على (كُحْل) لفظاً على حَدِّ: عندي درهمٌ ونِصْفُ، خِلافاً لابن الصائغ في شرح هذا، وقوله تعالى:

(وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) (٨٢)، وقول الشاعر:

وَكُلُّ أُنَاسٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ
وَنَحْنُ حَلَلْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ (٨٣)

(كُحْلُهُ منه في عين زيد) هل هي داخلة تحت الضابط ويرفع فيها أفعل ؟ وعبارته : والذي يظهر أنها لا تدخل إلا على رأي بدالدين عليه .

فإن قيل : الشَّيْخُ جمالُ الدين أبو عمروٍ يشترط أن يكون لِمُسَبَّبٍ مُفَضَّلٍ باعتبار الأول على نفسه ، وما أُعِيدَ عليه الضميرُ ليس عَيْنَ ذلك الكحل ، بل المفضولُ كُحْلُ عَيْنِ الفاضلِ ، ولذا شرط الشيخ جمال الدين بن مالك : (قَبْلَ مفضولٍ هُوَهُوَ) .

قلت : الْمُسَوِّغُ لِعَوْدِ الضمير عليه يُصَيِّرُهُ كأنه هو ، وهذا المعنى لابُدَّ من اعتباره في نفس المثال الْمُجْمَع عليه، فإن (الكُحْلَ) الْمنْفِيُّ فَضْلُهُ في عين رجل غير الكحل المفضول ، وهذا هو الذي سَوَّغَ تَعَدِّى أفْعَلُ الرافعُ بـ (الكحل) هنا إلى ضميره المجرور بـ (مِنْ) في قولك : منه ، ولا يجوز : مِنْ زَيْدٍ به .

قال الصَّفَّارُ (٨٤) في (شرح الكتاب) بعد تقدير هذه المسألة : وَبَقِيَ فيها إشكالٌ أثَارَهُ صَاحِبُنَا أبو الحسن عُصْفُور - وَفَّقَهُ الله تعالى - وهو أنهم قد منعوا (مِنْ زَيْدٍ به) ، وانْفَصَلَ عن هذا بأنه عائدٌ على (الكحل) لفظاً لا مَعْنًى ؛ لأن الكحل الذي في عين زيد ليس منتقلاً لمعنًى آخرَ ، فهو من باب :

أرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ ... البيت (٨٣)

قال : وهذا حَسَنٌ . انتهى .

وقد يقال : إن (أل) في (الكحل) المذكور فيه للحقيقة ، فالذي يعود عليه الضمير مُفَسَّرٌ مِنْ حَيْثُ اللفظ والمعنى ، وهذا مِثْلُ قولك : الماء شَرِبَ منه زيدٌ ، وشَرِبَ منه عَمْرٌو ، فكلاهما يرجعان للماء ، وإن كان مشروب هذا الخاصُّ غيرَ مشروبِ الآخر . انتهى .

ويمكن الانفصال عن إشكال ابن عصفور بأن هذا اخْتُصِرَ في (أفْعَلَ) لَماَّ كان بمعنى فِعْلَيْنِ ، ولهذا جاز تعلُّقه بظرفين مختلفين نحو : زَيْدٌ يَوْمَ الجمعةِ أحْسَنُ منه يَوْمَ الخميس . وبأن (أحْسَنَ) في المعنى إنما هي لـ (رَجُلٍ) لا لـ (الكحل) - على ما سيأتي من كلام سيبويه وشرحه . واعْلَمْ أن قول ابن الحاجب : (مَنْفِيّاً) لا يخالف قَوْلَ ابن مالك : (بعد نفي أو شبهه) ؛ لأن الواقعَ بعد شِبْهِ النفي منفيٌّ .

وبَقِيَ النَّظَرُ في شيئين : في وجه رفع (أفعل) هنا الظاهرَ ، وفي وجه اشتراط هذه الشروط لذلك .

أما رَفْعُهَا الظاهرَ هنا ، فذكر له الجمهور تعليلين :

أحدهما : : أن (أفْعَلَ) هنا يُعَاقِبُهُ الفعلُ ، فإذا أقمت الفعل مُقَامَهُ أفاد ما أفاد (أفْعَلَ) من التفضيل ، وقد كان الموجبُ لقصوره عن الأوصاف العاملة كهؤلاء لا يُوجَدُ له فعل بمعناه - كما سبق تقريره - قال الشيخ جمال الدين بْنُ مالك وتابعوه : صَحَّ أن يرفع الظاهرَ هُنَا ، كما صَحَّ إعمالُ الفاعل بمعنى الْمُضِيِّ في صِلَةِ (ألْ) يعنى من أجل أنْ كان القياسُ ألاَّ يَعْمَلَ في الماضي ، وحين دخلته (ألْ) عمل فيه ؛ لأنه واقعٌ مَوْقِعَ الفعل (٨٥) .

وعليه مناقشةٌ : وهو أنّ (ألْ) تقتضي الوصلَ - وأصْلُهُ أن يكون بالجملة - وتُشَابِهُ المعرفةَ - وهي إنما تدخل على المفرد ؛ فلذلك اخْتِيرَ وَصْلُها بالوصف الذي له شَبَهَانِ : بالجملة والمفرد ، فهو بعدها له جاذبٌ للفعلية ، أما في مسألتنا فَبَعْدَ تسليمِ أنَّ الفِعْلَ يقع هنا ويُؤَدِّى معنى الوصف لاجَاذِبَ له ، إلا أن يقال : الأصلُ في مكان المشتقات - إذا أدَّى الفِعْلُ معناها وصَحَّ حلوله مَحَلَّها - أن يكون للفعل.

وقد اعْتُرِضَ على هذا التعليل بأن الفعل إذا وقع هنا لم يَتَسَاوَ (٨٦) التركيبان : من حيث إنَّ نَفْيَ الأحْسَنِيَّةِ يَصْدُقُ بالمساواة . وحاول بعض شُرَّاح (الحاجبية) (٨٧) الانفصالَ عن ذلك فقال : فإذا نُفِيَ ذلك يكون المعنى نَفْيُ فَضْلِ حُسْنِ الكحل في عين رجل على عين زيد ، وهذا إنما يحصل أيْضاً بنفي أن يكون حُسْنُهُ كَحُسْنِهِ ، وهذه - فيما أُرَاهُ - مُكَابَرَةٌ .

وحاول بعض أجناسه الانفصالَ بأنْ : ما رأيت رجُلاً أحْسَنَ في عينه الكحل منه في عين زيد ، مُحْتَمِلٌ لأنْ يكون كحل عين زيد أحسن ، ولِئلاَّ يكونَ ، بأن يكونا متساويين ، و : ما رأيت رجلا يَحْسُنُ ، محتملٌ لأن يكون كحل عين زيد أحسن وأزْيَدُ - كما تقدم - ولِئَلاَّ يكونَ بأن يكون أنْقَصَ ، فقد تساوى المدلولان في الجملة ، وهو - على ما فيه - أقْرَبُ من الأول للقبول .

وقد يقال : إن قولك : مارأيت رجلا أحسن في عينه الكحل ، وإن كان مُنْصَبّاً على نفي الزيادة في عين الرجل - وهي تصدق بالمساواة ، وبنقصانها من عين زيد - فالمراد في الاستعمال الأخير يوضح لك ، ذلك أنك تقول : ما رأيت أفضل من زيد ، بقصد إثبات الأفضلية له .

قال من نَعْلَمُ من محققي التفسير في قوله : (وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ) (٨٨) ، (وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ) (٨٩) : المعنى : لا أحد أظلم من أولئك (٩٠) ، وتكلموا على الجمع بينهما بكلامٍ يُذْكَرُ في موضعه ، وقولك : ما رأيت رجلاً يَحْسُنُ في عينه الكُحْلُ حُسْنَهُ في عَيْنِ زيدٍ ، وإن كان مُنْصَبّاً على نفي المماثلة ، وهى تصدق بشيئين : بالزيادة والنقص كما سبق وضوح الأمرين حسب (٩١) ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ» - مِائَةَ مَرَّةٍ - لَمْ يَأْتِ أحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إلاَّ رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ ، أوْ زَادَ عليه» (٩٢) . ولو قيل : إن (أوْ) بمعنى الواو كان تَكَلُّفاً ، وما سبق أوْلى فتأمَّلْهُ ، لكن المراد في الاستعمال

إثبات الزيادة للثاني ؛ قضاءً لحقِّ التشبيه ، ويوضح ذلك البحث البيانيُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ (٩٤).

ونَظِيرُ ما ذكرناه هنا في التراكيب – من قَصْرِهَا في الاستعمال على أحَدِ ما يقتضيه وَضْعُ اللفظ – قَصْرُ بعض المفردات على ذلك عُرْفاً ، نحو (الدَّابَّة) في الأجناس ، و (ابن عمر) و (البيت) (٩٥) في الأعلام بالغَلَبة ، هذا شيءٌ يوافق عليه من مارس اللغة العربية ولم يجمُدْ على القواعد الجدليَّة .

الثاني من تعليل الجمهور لرفع (أفْعَل) الظاهرَ : أنه لو لم يرفع الظاهرَ ورُفِعَ : إمَّا على انه مبتدأٌ مُخْبَرٌ عنه بالكحل ، أو خبره الكحل تقدم عليه ، لزم منه أمْرٌ ممتنعٌ وهو الفصل بين أفْعَلَ ومعموله بأجنبيٍّ منه ، ومعنى الأجنبي أنه غيرُ معمول له عَمَلَ الفعل فيه ، وإلاَّ فالفصلُ بالخبر أو بالمبتدأ أو الخبر ومعموله فَصْلٌ بمعموله عند من يرفع أحدهما بالآخر ، والفصل بين العائد ومعموله بالأجنبي لا يجوز ؛ لأنهما كالكلمة الواحدة . قيل : ولأن (أفْعَلَ) مع (مِنْ) كالمتضايفين ، ولا يُفْصَلُ بينهما بأجنبي على قول الجمهور ، ولا بغيره إلا لضرورة (٩٦) .

وقد اعْتُرِضَ على هذا التعليل بأن الفصل إنما يلزم على تقدير أن يتقدم (أحسن) ويتأخر (منه) أمَّا على تقدير أن يتقدم (الكحل) أو يتأخر عنه (منه) بأن يقال : ما رأيت رجلا الكحل أحسن في عينه منه ، أو : ما رأيت رجلا أحسن في عينه منه الكحل ، فلا يلزم ذلك المحذور .

وأجاب بدر الدين بن مالك ووافقه الحُدَيْثيُّ بأن في تقديم (الكحل) تقديم غَيْرِ الأهَمِّ لا لضرورة ؛ إذ الامتناع من رفع (أفْعَلَ) الظاهرَ ليس لِعِلَّةٍ مُوجِبة ، إنما هو لأمر استحسانيٍّ ، ولذلك اطَّرَدَ عند بعض العرب رَفْعُهُ الظاهرَ ، فيجوز التخلف عن مقتضاه إذا راحمه ما رِعَايَتُهُ أَوْلَى ، وهو تقديم ماهو أهَمُّ وإيرادُهُ في الذِّكْرِ أتَمُّ ، وذلك صفةٌ ما يستلزم صدقُ الكلام تَخْصِيصَهُ نَفْيَ صفة (رجل) في المسألة بـ (أحسن) (٩٧) .

قال : ألا ترى أنك لو قلت : ما رأيت رجلا ، كان صِدْقُ الكلام موقوفاً على تخصيص (رجل) بأمر يمكن أنه لم يحصل لمن رأيته من الرجال ؛ لأنه ما مِنْ رَاءٍ إلا وقد رأى رجلاً ما ، فلما كان الصدق موقوفاً على المخصِّص – وهو الوصف – كان تقديمه مطلوباً فَوْقَ كُلِّ مطلوب ، واغْتُفِرَ ما يترتب على التقديم من الخروج عن الأصل ، ومطلوبيَّةُ المخصِّص في الإثبات دون مطلوبيَّته في النفي ؛ لأنه في الإثبات يزيد الفائدة ، وفي النفي يصون الكلام عن كونه كَذِباً ، فلا يقتضي ذلك جواز مثله في الإثبات (٩٨) .

وهذا الكلام – مع طوله واختصاري له – قد يقال : إن فيه (أحسن) وحده ليس صفةً ، إنما هو جزء من الصفة ، وكذا (الكحل) جزء من الصفة . وأجاب عن تأخير (الكحل) عن (منه) بأنه تَجَنُّبٌ عن قُبْحِ اجتماع تقديم الضمير على مُفَسِّرِهِ ، وإعمال الخبر في ضميرين لِمُسَمًّى واحدٍ ، وليس هو من أفعال القلوب (٩٩) .

ويقال له : إنك قد أوجبت على تقدير أن يُرْفَعَ أن يكون (الكحل) مبتدأ ، وهو إذا تأخر لم يَضُرَّ عَوْدُ الضمير عليه ولم يقبح نحو : في داره زَيْدٌ ، وهل ذلك إلا مثل : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ (١٠٠) في الإعراب المشهور ؟

لكنْ جَعْلُهُ مُبْتَدَأً مُخْبَرًا بالكحل هو قياس قول سيبويه في نحو : مَنْ أبوك ؟ ؛ لأنه إذا وُضِعَ مَوْضِعَهُ يَبْقَى الكلامُ على وضعه ، وحينئذ يمتنع ؛ لِعَوْدِ الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً ، ويصير مثل : صَاحِبُهَا في الدار .

وينبغي أن يُحْمَلَ قَوْلُ الشيخ أبي عمرو في تقدير تقديم (منه) على (الكحل) أن يلزم منه عَوْدُ الضمير على غير مذكور (١٠١) ، على أنه بناه على قاعدة سيبويه التي ذكرناها .

فإن قيل : هذا التعليل لا يتأتى في العبارة الثالثة ، وهي : ما رأيت كعين زيد أحسن فيها الكحل ، فإن الرفع لا يحصل به ذلك المحذور . قلت : هذه فرع الأولى ، فكما لا يجوز الرفع في الأصل ، كذا في الفرع ، ولأن المحذورَ واقعٌ في التقدير (١٠٢) .

وقال الرشيد سعيد : قد جَوَّزُوا في التقدير مالايجوز في غيره .

قلت : وإن كان كذلك فَجَوَابُهُ فقهاً كـ : أنْتِ طَالِقٌ غداً ، ولاَ تَخْرُجِي إلاَّ أن آذن لكِ ، لكن الأصل أن يكون المقدَّرُ كالملفوظ .

وإعمالُ الخبر في ضميرين لِمُسَمًّى واحد كافٍ في المنع ، على أن ذلك مُشْكِلٌ ، أعني تَعَلُّقَ (منه) بـ (أحْسَنَ) في أصل المسألة إذا رفعت الكحل بـ (أحسن) ؛ لِمَا يَلْزَمُ من تَعَدِّي فِعْلِ الظاهر إلى مضمره ، وقدتقدم الكلام فيه .

ولعل الصَّفَّارَ أخذ الإشكال عن ابن عصفور ، والانفصالُ عنه بأن الضمير الذي دخل عليه (مِنْ) كُحْلٌ آخَرُ غَيْرُ الذي رُفِعَ بـ (أحسن) ، فكذا هنا ، على أن هذا أيضاً يتأتى فيما إذا قُدِّمَ (الكحل) ولم يذكره ، وجَنَحَ إلى أمر طويل خَطَابِيٍّ .

ولا يُتَكَلَّفُ له أن يقال : عَوْدُ الضمير على متأخر إنما هو فيما جاء عن العرب ، وهذا لم يجئ ، ولا غيره من التَّكَلُّفات .

واعْلَمْ أن هذين التعليلين مفهومان من كلام سيبويه (١٠٣) ، وأورد بعضهم على التعليل الثاني ما قلناه ، وانْفَصَلَ بأن سيبويه إنما ذكر ذلك ليفرق بين مسألة الكحل بتزيينها ومسألة : مررت برَجُلٍ خَيْرٍ منه أبوه ، ولم يَقُلْ : لجواز الرفع مَحْمَلٌ آخَرُ .

وقد صَرَّحَ الصَّفَّارُ بجواز المسألة على تقدير تقديم

(الكحل) وعلى تقدير تأخيره عن (منه) ، مُقَدَّراً أن يكون (الكحل) مبتدأ ، أمّا إذا كان خَبَراً فيمتنع تأخير (الكحل) ؛ لما ذكرناه (١٠٤) .

ونظيرُ هذه المسألة على هذا التعليل من الحمل على أحسن القبيحين مَسْأَلَةُ : ما قام إلا زَيداً أصْحابُكَ ، وأصلها : ما قام أصْحَابُكَ إلا زَيْداً ، فَدَارَ الأمْرُ حين التقديم بين الرفع الراجح والنصب المرجوح ؛ لِمَا أنَّ البدلَ لا يتقدم .

ومسألة : مررت بزيدٍ ورجلٍ آخرَ قائِمَيْنِ ، آثروا مجئَ الحال من النكرة على وصف المعرفة بالنكرة (١٠٥) .

ومسألة : هذا مُقْبِلاً رَجُلٌ ، آثروا مجئ الحال من النكرة على تقديم الصفة ، فتحملوا القبيح لِرَفْعِ أقْبَحَ منه .

ولعل هذا مراد الشيخ أبي عمرو في قوله : لَوْ لَمْ يرفع الظاهرَ لكان مرفوعاً بالابتداء ، وهو متعذرٌ ؛ لقصوره عن غيره ، أي لأن الرفع بالابتداء قاصرٌ عن الرفع على الفاعلية ؛ لاستلزام ذلك الفَصْلَ ، وهذا - وإن كان فِعْلُهُ (أَفْعَل) الظاهرَ - فَأَمْرُهُ أخَفُّ .

ولرفع (أَفْعَلَ) الظاهرَ في هذه المسألة تعليلٌ آخرُ مفهومٌ من كلام سيبويه أيضاً ، اعتمد عليه شُرَّاحُهُ ، هو : أن (أَفْعَلَ) إذا كان تفضيل الشئ على نفسه في موضعين ، فهي جاريةٌ على الأول في المعنى مع رفعها الظاهرَ ، تَرْفَعُهُ إذ ذاك كما ترفع الضمير ؛ لأنك إنما تُفَضِّلُ بها المكانَ على غيره ؛ إذ لاتَقْدِرُ أن تُفَضِّلَ بها نَفْسَ الشئ على نفسه ، قال سيبويه : ولكنك زعمت أن للكحل هنا عَمَلاً وهيئةً (١٠٦) ، يعني عملاً من الحُسْنِ وهيئة فيه ليست له في غيره ، فالمعنى : ما رأيت أحداً عاملاً في عينه الكحلُ من الحسن كعمله في عين زيد ، وهذا في التقدير كقولك : (مارأيت أحداً تَحْسُنُ عَيْنُهُ بالكحل كعين زيد) ، فهو كـ : (مارأيت أحداً يَحْسُنُ بالكحل كَحُسْنِ زَيْدٍ) ، فهو كـ : (مارأيت أحداً حَسَناً بالكحل كزيد) ، ولا يتأتى ذلك في : مررت برجلٍ خَيْرٍ منك أبوه ؛ لأن فيه (أَفْعَل) صفةً للأب ؛ لأن تفضيلَ الأبِ على أحَدٍ مُمْكِنٌ ، فَخَلَصَتْ الصفةُ له بَعْدُ .

وذكر ابن فَلاح (١٠٧) في (الكافي) تعليلين آخرين :

أولهما : أنها عملت في الظاهر في تفضيل الشئ على نفسه ؛ لأن ذلك بالنسبة إلى المعاني غالباً يجري مجرى الضمائر ، فرفعته كما ترفع الضمير .

ثانيهما : أنه لما اتَّحَدَ الفاضلُ والمفضولُ ، كأنه عَمِلَ في شئٍ واحد .

فهذه خَمْسُ تعاليل (١٠٨) لم أرَهَا مجتمعةً .

النظر الثاني : في وجه اشتراط تلك الشروط :

أما اشتراط الموصوف ، وهو في عبارة ابن الحاجب في قوله : (لِشَئٍ) (١٠٩) ، وفي عبارة التسهيل في قوله : (يُصَاحِبُ أَفْعَلَ) (١١٠) فقيل : ليتأتى التفضيل ، وهو دَعْوَى .

وقيل : لأن الأسماء العاملة لابُدَّ لها من الاعتماد ، واعْتُرِضَ بان ذلك يكفي فيه النفي ، فنقول : ما أحسن في عين رجل الكحل منه في عين زيد ، كما نقول : ما قائم الزيدان ، فَرَفَعَ الوصفُ مُكْتَفىً به . وأجيب بان (أفعل) لم يَقْوَ قُوَّةَ اسم الفاعل ؛ الاترى أنه لا ينصب المفعول به مطلقاً على الصحيح ، ولو وُجِدَتْ شروط رفعه للظاهر ، بخلاف اسم الفاعل .

وأما (السبب) عند من اشترطه ؛ لأنها (١١١) صفة جرت في اللفظ على غير من هي له ، ولا بُدَّ منه ؛ لأنه الذي رفعته (أفعل) ، وأما التفضيل فأفعل وضعت له .

و (كونه بين ضميرين) - وهو المشار إليه بالاعتبارين- فَلأنَّ تفضيلَ الشئ على نفسه إنما طَرِيقُهُ ذلك ، و (النفي) لإمكان وقوع الفعل موقعه واغتنائه به - كما قررناه في التعليل بِمُعَاقَبَةِ الفعل ، وهو ينتظم بالشروط السابقة لك .

وقد تقدم أن بدر الدين بْنَ مالك اشترط (الأجنبية) (١١٢) في مرفوعها ، وتقديم الكلام معه والتوفيقُ بيه وبين من اشترط السَّبَبِيَّةَ . فإن قلت : فأنت إذا قلت : ما رأيتُ رَجُلاً أَحْسَنَ منه أبوه ، أو : رأيتُ رَجُلاً أَحْسَنُ في عينه الكحل منه في عين زيد ، يَصِحُّ وقوع الفعل مَوْقِعَهُ ؟ فقد أجاب عنه بدر الدين بأن المعتبر في اطِّرَادِ رفع (أفعل) التفضيل الظاهرَ جَوَازُ أن يقع موقع الفعل الذي يُبْنَى منه ، مفيداً فائدته ، ولو قلت في الأول : يحسن أبوه كحسنه ، لفاتت الدلالة على التفضيل ، أو : يحسنه أبوه - أي : يَفُوتُهُ - لَكُنْتَ قد جئت بغير الفعل الذي يبنى منه (الحسن) ، وفاتت الدلالة على الغريزة المستفادة من (أفعل) . فإنك لو جعلت فيه (يَحْسُنُ) مكان (أَحْسَنُ) فقلت : رأيت رجلاً يحسن في عينه الكحل كحسنة في عين زيد ، أو : يحسن في عينه الكحل كُحْلاً في عين زيد ، فاتت الدلالة على التفضيل في الأول ، وعلى الغريزة في الثاني (١١٣) . انتهى .

وهذا تقدم أن مثله يقال في المثال المستجمع للشرائط ، (١١٤) ، وقد تقدم الجواب عنه ، فَلْيُطَابَقْ بينه وبين هذا .

واعْلَمْ أنَّ رَفْعَ (أَفْعَلَ) الظاهرَ على ماهو المشروط المختار مشروط بالشروط السابقة ، لكن هل هذا لـ (أَفْعَلَ مِنْ) أو لـ (أَفْعَل) في جميع استعمالها ؟ .

لم أجِدْ من شَفَى الغليلَ في هذه المسألة ! ، والذي ينبغي أن يقال : إن هذا ينبني على الاختلاف في تعليل وجه قياس عدم عملها : هل هو كَوْنُهَا لم تشبه الفعل كاسم الفاعل ، ولا الوصفَ المُشْبِهَ للفعل - وهي الصِّفَةُ المشبهة - في لحاق العلامات ، وهو ظَاهِرُ عبارة سيبويه ؟ (١١٥) ؟ أو كَوْنُهَا لم يُوجَدْ فِعْلٌ بمعناها - كما قاله الشيخ أبو عمرو وغيره (١١٦) ؟ إن قُلْنَا بالأوّل ، فينبغي إذا استعملت

بالألف واللام أن يجوز رفعها للظاهر فنقول : هذا الرجل الأفضل أبوه ؛ لأنها تثنى وتجمع إذ ذاك ، وكذا إذا أضيفت لمعرفةٍ نحو : زَيْدٌ أفضَلُ الناسِ أبوه ؛ لأنه يجوز تثنيتها وجَمْعُهَا حينئذٍ .

وإن قلنا بالثاني ، فلا ينبغي أن تعمل إلا بالشروط ، والله أعلم (١١٧) . انتهى .

قلت : حاصل أفعل التفضيل أنه تتعلق به حروف الجر ، على نحو تَعَلُّقِهَا بأفعل التعجب ، وأما الخفض به : فيجوز إن كان المخفوض كُلاً وأفْعَلُ بَعْضَهُ (١١٨) ، وأما النصب به : فيمتنع منه المفعول به ، ومعه ، والمطلق ، والتمييز إن لم يكن فاعلاً مَعْنىً ، إلا إن كان (أفْعَلُ) مضافاً إلى غيره (١١٩) ، ويجوز الباقي .

وأما الرفع به : فإنه يرفع الضمير المستتر في كُلِّ لغةٍ نحو : زَيْدٌ أفْضَلُ ، ففي (أفْعَلُ) ضميرٌ مستترٌ مرفوعٌ على الفاعلية يعود إلى زيد ، ويرفع الضمير المنفصلَ والاسْمَ الظاهرَ في لغةٍ قليلةٍ حكاها سيبويه ، كـ : مررت برجلٍ أفْضَلَ منه أبوه ، أو : أفْضَلَ منه أنت - بخفض أفضلَ بالفتحة على أنه صفة لرجل ، وبرفع الأب أو أنت على الفاعلية بأفضل على معنى فَاقَهُ في الفضل أبوه أو أنت .

وأكثر العرب يُوجِبُ رفع أفعل في ذلك كُلِّه - على أنه خبر مقدم وأبوه أو أنت مبتدأ مؤخر ، وفاعل (أفعل) ضمير مستتر فيه عائد على المبتدأ ، والجملة من المبتدأ والخبر في موضع خفض نعت لرجل ، ورابطها الضمير المجرور بـ(مِنْ) .

ويَطَّرِدُ ذلك الرفع للظاهر : إذا حَلَّ أفعل التفضيل مَحَلَّ الفعل مع موافقة المعنى ، والفعل يرفع الظاهر فكذا ما حَلَّ مَحَلَّهُ ، وذلك إذا كان (أفْعَلُ) صفةً لاسْمِ جِنْسٍ ، وسَبَقَهُ نَفْيٌ ، وكان مَرْفُوعُهُ أجنبياً - وهو ما ليس مُتَلَبِّساً بضمير الموصوف به - مُفَضَّلاً ذلك الأجنبيُّ على نفسه باعتبارين مختلفين ، نحو قول العرب : ما رأيت رجلا أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد ، فـ (أحسن) أفعل تفضيل ، وهو صفة لرجل ، و (رجل) اسم جنس مسبوق بنفي ، ومرفوعه (الكحل) ، وهو أجنبي من الموصوف ؛ لكونه لم يتصل بضميره ، و (الكحل) مفضل على نفسه باعتبار مَحَلَّيْنِ مختلفين : فباعتبار كونه في عين زيد فاضلٌ ، وباعتبار كونه في عين غيره مفضولٌ . والمعنى أن الكحل في عين زيد أحسن من نفسه في عين غير زيد من الرجال .

ونظيره قول الأصوليين : الواحد بالشخص يكون له جهتان كالصلاة في الدار المغصوبة .

والسبب في اطِّرَادِ رفع أفعل التفضيل الاسْمَ الظاهرَ في مثل هذا المثال تَهْيِئَتُهُ بالقرائن التي قارنته لمعاقبة الفعل على وجهٍ لا يكون زيد بدونها ؛ فإنه يجوز أن يقال : ما رأيت رجلاً يحسن في عينه الكحل كحسنه في عين زيد ، فيؤتى بالفعل - وهو يحسن - مكان (أفعل) التفضيل - وهو أحسن - ولا يتغير المعنى - قاله ابن مالك، وناقشه أبوحيان في ذلك (١٢٠) .

والأصل أن يقع هذا الاسم الظاهر المرفوع بأفعل التفضيل بين ضميرين : أوَّلُهُمَا الموصوفُ بأفعل التفضيل - وهو الهاء في عينه - وثانيهما للظاهر - وهو الهاء في (منه) - ، فيكون المفضولُ مذكوراً ، وقد يحذف الضمير الثاني (١٢١) العائدُ إلى الكحل ، فيكون المفضولُ مقدَّراً .

وتدخل (مِنْ) الجارَّةِ للمفضول إما على الاسم الظاهر - وهو الكحل في مثالنا - أو تدخل على محل الكحل - وهو العين - أو تدخل على ذي المحل - وهو زيد - فتقول : مارأيت رجلا أحسن في عينه الكحل من كحل عين زيد - بدخول (مِنْ) على الاسم الظاهر وهو الكحل - أو : ما رأيت رجلا أحسن في عينه الكحل من عين زيد - بدخول (مِنْ) على محل الكحل وهو العين - أو : ما رأيت رجلا أحسن في عينه الكحل من زيد - بدخول (مِنْ) على ذي المحل وهو زيد- فتحذف مضافاً إذا دخلت (مِنْ) على المحل وهو العين ، أو مضافين إذا دخلت (مِنْ) على ذي المحل وهو زيد .

وقد لا يؤتى بعد الاسم الظاهر المرفوع بشيءٍ أصلاً ، وذلك إذا تقدم المفضل على أفعل التفضيل ، فَيُسْتَغْنَى عَمَّا بعد المرفوع ، فتقول : ما رأيتُ كَعَيْنِ زَيْدٍ أحْسَنَ فيها الكُحْلُ ، فتحذف ضمير (الكحل) ومَحَلَّهُ وصَاحِبَ مَحَلِّهِ اختصاراً .

ورُبَّمَا أدخلوا (مِنْ) على غير المفضول لَفْظاً وقالوا : ما أَحَدٌ أحْسَنُ به الجميلُ من زَيْدٍ ، والأصل : ما أحَدٌ أحْسَنُ به الجميلُ من حُسْنِ الجميلِ بِزَيْدٍ ، فالجميل الثاني هو المفضول ، وهو الجميل الأول ، ثم إنهم أضافوا الجميل إلى زيد ؛ لملابسته إيَّاهُ في المعنى ، فصار التقدير : من جميل زيد ، ثم حذفوا المضاف - وهو جميل - وأقاموا المضاف إليه مُقَامَهُ - وهو زيد فصار : مِنْ زيدٍ ، ومثله قول ابن مالك :

لَنْ تَرىَ فى النَّاسِ مِنْ رَفِيقِ
أوْلى بِهِ الفَضْلُ مِنَ الصِّدِّيقِ

والأصل : ولاية الفضل بالصِّدِّيق ، فالفضل الثاني هو المفضول وهو الفضل الأول - ثم إنهم أضافوا الفضل إلى الصِّدِّيق ؛ لملابسته إيَّاهُ في المعنى ، فصار التقدير : مِنْ فَضْلِ الصِّدِّيق ، ثم حذفوا المضاف - وهو الفضل - وأقاموا المضاف إليه مقامه - وهو الصِّدِّيق - فصار : مِنَ الصِّدِّيقِ .

وهذا المثال دَاخلٌ تحت القاعدة ؛ فإن الاسم الظاهر - وهو الفضل - أجنبيٌّ مسبوقٌ بِنَفْيٍ ، مُكْتَنَفٌ بضميرين : أوَّلُهُمَا ضميرُ الموصوف - وهو الهاء من (به) - والثاني ضمير الاسم الظاهر ، وقد حُذِفَ . والأصل : أوْلى به الفضل منه بالصِّدِّيق .

والحاصل أن الضميرين تارةً يكونان مذكورَيْن ، وتارة يكونان محذوفَيْن ، وتارةً يُذكرُ أحدهما ويحذفُ الآخرُ . وإذا حُذفَ ضميرُ المفضول لم يلزم حذف ضمير الموصوف ، وبالعكس .

ولَمَّا لم يمكنهم أن يجعلوا الاسم الظاهر مبتدأ ؛ لِئَلاَّ يَفْصِلُوا به بين (أفعل) التفضيل و (مِنْ) - وذلك لا يجوز - رفعوه على الفاعلية ، وشرطوا تقدم النفي عليه . وقاس عليه ابن مالك في (شرح التسهيل) النَّهْيَ والاستفهامَ ، وتَبِعَهُ ابْنُ هشام في (شرح القطر) ، ولم يَرِدْ به سماع ، فَالأَوْلَى الاقتصارُ على ما قالته العرب .

تعليقات المسألة السادسة
مسألة (الكحل)

(*) لُقِّبَتْ هذه المسألة بلقب (الكحل) ؛ لورود هذه اللفظة في مثالها المشهور ، الذي مثل به سيبويه في كتابه [٢ / ٣١] - ويبدو أنه نقله عن العرب - والمثال هو : ما رأيت أحدا أحسن في عينه الكحل منه في عينه ، وسيذكر ابن الصائغ ذلك في أثناء هذه المسألة موضوع التحقيق ، وتجد حديثاً موجزاً أو مفصلاً عن هذه المسألة في :

* ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب - لأبي حيان الأندلسيِّ - تحقيق مصطفى النحاس [٣ / ٢٣٣] وما بعدها .
* الأشباه والنظائر في النحو - للسيوطي - تحقيق طه عبدالرءوف سعد - [٤ / ٢٠٥] وما بعدها .
* أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - لابن هشام - تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد - [٣ / ٢٩٧] وما بعدها .
* البسيط في شرح جمل الزجاجي - تحقيق عياد الثبيتي - [٢ / ١٠٦٩] وما بعدها .
* حاشية الصبان على الأشموني - عند قول ابن مالك في باب اسم التفضيل :

وَرَفْعُهُ الظاهرَ نَزْرٌ ، ومتى
عاقب فعْلاً فكثيراً ثبتا
كَلَنْ ترى في الناس من رفيق
أَوْلَى به الفضل من الصِّدِّيقِ

* شرح الأشْموني على ألفية ابن مالك - عند قول ابن مالك السابق .
* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - عند قول ابن مالك السابق .
* شفاء العليل في إيضاح التسهيل - للسلسيلي - تحقيق الشريف عبدالله الحسيني البركاتي [٢ / ٦١٨] وما بعدها .
* عمدة الحافظ وعُدَّةُ اللافظ - لابن مالك - تحقيق عبدالمنعم هريدي - [٢ / ٨٠٥] وما بعدها .
* الكافية في النحو - للرضي - [٢ / ٢٢٠] وما بعدها .
* الكافية الشافية في النحو - لابن مالك - تحقيق عبدالمنعم هريدي - [٤ / ١١٤٠] وما بعدها .
* كتاب سيبويه - تحقيق عبدالسلام هارون - [٢ / ٣٠] وما بعدها .
* المسائل المنثورة - للفارسي - تحقيق مصطفى الحدري [٥١] وما بعدها .
* المساعد على تسهيل الفوائد - لابن عقيل - تحقيق محمد كامل بركات [٢ / ١٨٤] وما بعدها .
* النكت في تفسير كتاب سيبويه - للأعلم الشَّنْتَمَرِيِّ - تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان - [١ / ٤٥٤] وما بعدها.
* همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - للسيوطي - تحقيق عبدالعال سالم مكرم - [٥ / ١٠٧] وما بعدها .

١ - هو الإمام محمد بن عبدالرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردي ، المعروف بابن الصائغ النحوي الحنفي . ولد سنة ٧٧٦هـ . من أشهر مؤلفاته : شرح ألفية ابن مالك ، التذكرة في النحو ، الاستدراك على مغني ابن هشام ، الغمز على الكنز في فقه الأحناف . [انظر : بغية الوعاء للسيوطي ١ / ١٥٥ ، شذرات الذهب لابن العماد ٦ / ٢٤٨] .

٢ - الاسم الكامل للكتاب هو : الوضع الباهر في رَفْعِ أَفْعَلَ الظَّاهِرَ - كما ورد في الأشباه والنظائر ، وفي الكتب التي ترجمت لمؤلفه .

٣ - في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٥] افتتح المسألة بقوله : "الحمدلله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم" .

٤ - المشهور أن الأسماء المشتقة من الأفعال سبعة هي : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة ، وانظر خلافا في إضافة أنواع أخرى ، وفي تعريف المشتق في كتاب (النحو الوافي للأستاذ عباس حسن ٣ / هامش ٨٢) ومابعدها .

٥ - في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٥] : "الأفعال الغير المتصرفة " (بإدخال الألف واللام على (غير)) - وهو غير فصيح ؛ لعدم الفائدة ؛ فإن (غير) لا تتعرف بأداة التعريف ولا بالإضافة ؛ إذ هي من الأسماء المتوغلة في الإبهام .

٦ - في الأصل : " وهي " .

٧ - إنما كانا من باب واحد ؛ لأن كُلاًّ منهما يفيد الغاية والمبالغة في المعنى الذي سبق الحَدَثُ ، وهذا مأخوذ

من كلام سيبويه ، فقد قال : وما لم يكن فيه ما أفعَلَهُ ، لم يكن فيه أفعِلْ بِهِ ولا هو أفعَلُ منه ؛ لأنك تريد أن ترفعه من غايةٍ دونه ، كما أنك إذا قلت : ما أفعَلَهُ ، فأنت تريد أن ترفعه عن الغاية الدنيا ، والمعنى في أفعِلْ به وما أفعَلَهُ واحدٌ ، وكذلك أفعَلُ منه . [كتاب سيبويه ٤ / ٩٧] .

٨ - في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٥] : من أحد .

٩ - هو : على بن مؤمن بن محمد الإشبيلي الحضرمي ، كنيته أبو الحسن ، ولد سنة ٥٩٧هـ ، وتوفي سنة ٦٦٩هـ ، وأشهر مؤلفاته : شرح جمل الزجاجي ، والمقرب ، والممتع ، وشرح الإيضاح [انظر : بغية الوعاة ٢ / ٢١٠].

١٠- في شرح جمل الزجاجي لابن عصفور : "لايجوز التعجب من وصف المفعول ، فلايجوز أن تقول: ما أضْرَبَ زَيْداً ! وأنت تريد التعجب من الضرب الذي وقع به ، واختلف في السبب المانع من ذلك ، فمنهم من قال : إنه لم يجز التعجب منه لئلا يلتبس بفعل الفاعل ، فهذا يجيز التعجب إذا عُدِمَ اللَّبْسُ ... ومنهم من ذهب إلى أنه لا يجوز التعجب من فعل المفعول ؛ لأنه ليس فيما أوقِعَ به من فعل التعجب كَسْبٌ فأشبه لذلك الخِلَقَ والألوان .. " وفي همع الهوامع أن المجيزين عند عدم اللبس خطاب الماردي وابن مالك [انظر : شرح الجمل الكبير لابن عصفور ١ / ٥٧٦ - همع الهوامع ٦ / ٤٢ - المقرب لابن عصفور ١ / ٧١] .

١١- شطر بيت من البسيط ، من قصيدة لكعب بن زهير يمدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتتمة البيت : " وقيل : إنك محبوس ومقتول " . ويروى : مسبور ومسئول - [انظر : شرح ديوان كعب بن زهير ٢١ - شرح الجمل الكبير لابن عصفور ١ / ٥٧٧ - المقرب ١ / ٧١ - همع الهوامع ٦ / ٤٣] .

١٢- عجز بيت من البسيط ، لطرفة بن العبد، وصدره قوله: إذا الرجال شَتَوْا واشتدَّ أكْلُهُمُ ، ورواه الفراء :

أمَّا الملوكُ فأنت اليوم ألأمُهُمْ

لُؤماً ، وأبْيَضُهُمْ سِرْبَالَ طَبَّاخِ

[انظر : شرح الجمل الكبير لابن عصفور ١ / ٥٧٨ - المقرب ١ / ٧٣ - معاني القرآن للفراء ٢ / ١٢٨] .

١٣- القِدَمُ - بكسر القاف وفتح الدال - نقيض الحدوث ، يقال : قَدُمَ يَقْدُمُ قِدَماً وقَدَامةً . والقِدْمُ - بكسر القاف وسكون الدال - اسم من القِدَم ، جعل اسماً من أسماء الزمان ، يقال : قِدْماً كان كذا وكذا .

١٤- نَظَرْتُ المسألة : أوردت لها نظيراً وشبيهاً من موضع آخر .

١٥ - التمتع في الحج : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، فإذا أحرم بها بعد إهلاله شوّالاً فقد صار متمتعاً بالعمرة إلى الحج ، ووجه التمتع هنا أن المحرم حينئذ قد انتفع بما انتفع به من حلاق وطيب وتنظف وقضاء تفث وإلمام بأهله - إن كانت معه - وكل هذه الأشياء كانت محرمة عليه فأبيح له أن يحل وينتفع بإحلال هذه الأشياء كلها ، مع ما سقط عنه من الرجوع إلى الميقات والإحرام منه بالحج .

أما القِرَانُ فهو الجمع بين الحج والعمرة بنية واحدة وتلبية واحدة وإحرام واحد وطواف واحد وسعي واحد، فيقول : لبيك بحج وعمرة .

١٦ - اسم الفاعل يشبه الفعل المضارع في الحركات والسكنات ودلالته على التجدد والحدوث ، فهو مشبه له في اللفظ وفي المعنى . وأما الصفة المشبهة فلا تشبه المضارع في شيء من ذلك ، ولكن لها شبها بما يشبهه وهو اسم الفاعل من وجهين . أحدهما أن كليهما يدل على الحدث ومن قام به . والثاني أن كليهما يقبل التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع .

١٧ - في الأصل : " قد تشبه " ، وما أثبته هو الوجه ، وهو من الأشباه والنظائر .

١٨ - البيت من الطويل ، وهو مطلع قصيدة لـ (معين بن أوس المزني) [انظر : ديوان الحماسة ٣٢٦ - المقتضب ٣ / ٢٤٦ - شرح ابن يعيش على المفصل ٦ / ٩٨] ، و (أوْجَلُ) مأخوذ من (الوَجَل) وهو الخوف . و (المنيّة) الموت . و (تعدو) تأخذ وتقهر . قال ابن جني في إعراب الحماسة : (أوْجَلُ) مما جاء من الصفات على (أفعل) لا (فعلاء) . وظنه العيني فعلاً مضارعاً فقال : قوله (لأوْجَلُ) أي : أخاف ، من وَجِلَ يَوْجَلُ .

١٩ - هذا رأي نقله ابن عصفور عن غيره ، فقد جاء في باب اسم الفاعل من شرح الجمل [١ / ٥٥٠] : " واسم الفاعل من جنس الأسماء ، فينبغي أن ينظر : ما الموجب لعمله ؟ وفي ذلك خلاف بين النحويين : فمنهم من ذهب إلى أن سبب ذلك شبهه بالفعل في جريانه عليه في حركاته وسكناته وعدد حروفه ؛ لأن ضارباً جارعلى يضرب في حركاته وسكناته وعدد حروفه " . ثم ذكر في المسألة آراء أخرى ، وممَّن رأى هذا من قبل ابن عصفور المبرِّد صاحب المقتضب ، انظر [المقتضب ٢ / ١١٩] .

٢٠ - في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٦] : " ولم تشبه أفعل اسم الفاعل ... " .

٢١ - في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٦] : " لشبه " .

٢٢ - أول الصفحة الأولى من الورقة الثانية عشرة . وهذه الكلمة جاءت في الأصل (وكذلك) والأوجه ما أثبته من الأشباه والنظائر .

٢٣ - في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٦] : " كذلك " .

٢٤ – هو : يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا ، ولد سنة ٥٥٣هـ ، وتوفي سنة ٦٤٣هـ ، وأشهر مؤلفاته : شرح المفصل ، وشرح تصريف ابن جني . [انظر : بغية الوعاة ٢ / ٣٥١] ، وانظر ماذكره ابن يعيش في شرح المفصل ٦ / ٩٦ .

٢٥ – هو : طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري ، وأشهر مؤلفاته ، شرح جمل الزجاجي ، والمحتسب في النحو ، توفي سنة ٤٥٤هـ . [انظر : بغية الوعاة ٢ / ١٧] .

٢٦ – هو : محمد بن السَّريِّ أبوبكر المعروف بابن السراج ، أشهر مؤلفاته : كتاب الأصول في النحو ، توفي سنة ٣١٦هـ [انظر : وفيات الأعيان ١ / ٥٠٣] . وكان الأولى أن يقول المؤلف : وقد أخذه عن ابن السراج ، فإن ابن السراج متقدم زمنا عن كل من ابن يعيش وابن بابشاذ .

٢٧ – يبدو أنه الإيضاح في شرح المفصل لابن يعيش . وليس به هذا المعنى المذكور هنا .

٢٨ – في الأصل : " في إيضاح " . وما أثبته من الأشباه والنظائر (٤ / ٢٠٦) .

٢٩ – العبارة من أول قوله : " وقد عَلَّل ذلك بمثال " .. إلى قوله : "الإضافة " مكررة في الأصل ، وفيها اضطراب واضح ، وهي غير مكررة في الأشباه والنظائر ، ويبقى غموض المراد .

٣٠ – قوله : " مع من " ساقط من الأشباه والنظائر .

٣١ – قوله : " معنى " . ساقط من الأشباه والنظائر .

٣٢ – الآية ١٢٤ من سورة الأنعام .

٣٣ – في تفسير القرطبي : " ولا يجوز أن يعمل (أعلم) في (حيث) ويكون ظرفاً ؛ لأن المعنى يكون على ذلك : الله أعلم في هذا الموضع ، وذلك لا يجوز أن يوصف به الباريء تعالى .

٣٤ – مناط البحث هنا أن بعضهم أجاز أن يكون النصب لـ (أعْلَم) نفسها على تقدير تجرده من معنى التفضيل . فيكون بمثابة اسم الفاعل أي : عالم ، واعترض أبو حيان على وقوع حيث هنا مفعولاً به ، ووجه اعتراضه أن في ذلك ضرباً من التصرف ، و (حيث) لا تتصرف ، قال المرادي : لم تجئ حيث فاعلاً ولا مفعولاً به ولا مبتدأ ، وجاء في التسهيل أن تصرف (حيث) نادر ، قال الدماميني : ولو قيل : إن المراد : يعلم الفضل الذي هو في محل الرسالة ، لم يَبْعُدْ . وفيه إبقاء حيث على ما عهد لها من الظرفية ، قال الشُّمُنِّي : بل هو بعيد ؛ لما فيه من حذف المفعول والاسم الموصول وبعض صلته بلا دليل .

٣٥ – عجز بيت من الطويل ، أورده أبو تمام في الحماسة ، وهو للعباس بن مرداس ، وصدره قوله : أكَرُّ وأحْمى للحقيقة منهم . وقد انفرد ابن طولون برواية (القواضب) مع أن الوارد في مختلف المراجع (القوانسا) – وعلى رواية ابن طولون لا يتاتى شاهد إلا أن ينشد بنصب (القواضب) . والقوانس : جمع قَوْنَس، وهي بيضة الحديد ، وقَوْنَسُ المرأة : مُقَدَّمُ رأسها . [انظر : ديوان الحماسة ١٣٢ ، شرح الكافية الشافية ٢ / ٤٣٦ ، الإيضاح في شرح المفصل ١ / ٦٦٣] .

٣٦ – في الأصل : " أضْرَبُ للقواضب " . والقواضب : جمع سيف قاضب أي قَطّاع .

٣٧ – بيت من الزجز ، وقبله قوله : " رَبَّيْتُهُ حتى إذا تَمَعْدَدَا " – والرواية المشهورة : " كان جزائي " . وقد علّق ابن عصفور على البيت بقوله: "وظاهر (بالعصا) انه من صلة (أن) كانه قال : أن أجْلَدَ بالعصا ؛ لكن ينبغي أن يحمل ذلك على إضمار فعل كانه قال : أعني بالعصا " ، وأوّل ابن جني المحذوف مصدراً أو وصفاً من الفعل المذكور . [انظر : شرح الجمل ١ / ١٨٧ ، المنصف ١ / ١٣٠] .

٣٨ – فناصب (زَيْداً) هنا ليس الفعل (مررت) ، وإنما فعل محذوف دَلَّ عليه (مررت) ، والتقدير : جاوزت زيداً ، مَرَرْتُ به .

٣٩ – انظر حكاية الإجازة في كتاب سيبويه ٢ / ٣١ ، وانظر المنع والحكم بالرداءة في الكتاب ٢ / ٣٤ (تحقيق عبدالسلام هارون) .

٤٠ – اسم مجهول في عالم النحاة ، ولعله رشيد الدين القدسي أبو سعيد بن يعقوب النصراني ، درس العربية ثم الطب ، وكان حيا سنة ٦٤٦هـ . [انظر : الأعلام ٣ / ٤٨] .

٤١ – أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسيّ ، ولد سنة ٢٨٨هـ ، وتوفي سنة ٣٧٧هـ ، واشهر مصنفاته : الإيضاح العضدي ، الحجة في علل القراءات السبع ، المسائل : العسكريات والبغداديات والحلبيات . [انظر: وفيات الأعيان ١ / ١٣١] .

٤٢ – هو : أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية من بني مازن من شيبان ، توفي سنة ٢٤٧هـ ، وأشهر مصنفاته : كتاب التصريف ، وكتاب العروض ، وكتاب القوافي. [انظر : بغية الوعاة / ١ / ٤٦٣] .

٤٣ – أول الصفحة الثانية ، من الورقة الثانية عشرة .

٤٤ – في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٧] : " مما يقوي شبهه بالفعل الجامد " .

٤٥ – الآية ٣٩ من سورة النجم .

٤٦ – الآية ٤٠ من سورة النجم .

٤٧ – هو: أبو عمرو عثمان بن عمر ، المعروف بابن الحاجب، ولد سنة ٥٧٠هـ ، وتوفي سنة ٦٤٦هـ ، وأشهر

مصنفاته : الكافية ، وشرح الكافية ، والشافية وشرح الشافية . [انظر : وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٨] .

٤٨ – يقول ابن الحاجب في شرح الكافية: "إنما عمل ما تقدم (يقصد اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة) عمل الفعل ؛ لأن له فعلا بمعناه ، وأما هذا (يقصد اسم التفضيل) فليس له فعل بمعناه في الزيادة ، فلم يعمل لذلك " .

٤٩ – عبارة سيبويه في الكتاب [٢ / ٣١] : " مارأيت أحَدًا أحْسَنَ في عينه الكحل منه في عينه " .

٥٠ – ومن ذلك قوله [٢ / ٣١] : " ما رأيت رجلاً أبْغَضَ إليه الشرُّ منه إليه " . وقوله [٣١/٢] : ومثل ذلك : " ما من أيام أحب إلى الله عَزّ وجل فيها الصوم منه في عشر ذي الحجة " .

٥١ – انظر كتاب سيبويه [٢ / ٣١ – ٣٣] . هذا وفي عبارة الأصل بعض اضطراب ، فقد وردت هكذا : " ومسألة الكحل لقبت بذلك ؛ لأن سيبويه مثلها بـ ما رأيت رجلا أحسن في عينه الكحل منه في غيره ، ولكثرة الأمثلة في مثال الكحل ما لم يبسطه في غيره ، وبغير ذلك من الأمثلة .. " وقد أثْبَتُّ ما جاء في الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٧] .

٥٢ – هو ابن الحاجب ، وقد سبق التعريف به في التعليقة (٤٧) .

٥٣ – انظر كلام ابن الحاجب في : شرحه للكافية [٢ / ١٤٢] ، وفي الإيضاح شرح المفصل [١ / ٦٦١] ، وانظر ردّ الرَّضِيِّ عليه في ذلك في شرح الكافية للرضي [٢ / ٢٢٠] .

٥٤ – هو : أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن مالك الطائي الجياني ، ولد سنة ٦٠٠هـ وتوفي سنة ٦٧٢هـ ، وأشهر مصنفاته : الخلاصة في النحو والصرف (الألفية) ، والكافية الشافية ، والتسهيل وشرحه ، وعمدة الحافظ وعدة اللافظ [انظر : بغية الوعاة ١ / ١٣٠] .

٥٥ – في الأصل : " في الإعراب " . وما أثبتُّه من الأشباه والنظائر [٤ / ٢٠٨] ، وهو الموافق لعبارة ابن مالك في تسهيل الفوائد (١٣٥) .

٥٦ – ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ، وهو مُثْبَتٌ من نصِّ المؤلف في كتابه (تسهيل الفوائد) الذي نقل عنه [١٣٥] .

٥٧ – ما بين الأقواس فيما يلي ألفاظُ نَصِّ ابن مالك السابق يشرحها المؤلف .

٥٨ – نص عبارة سيبويه [٢ / ٣٢] : " ما مِنْ أيامٍ أَحَبّ إلى الله عز وجل فيها الصومُ منه في عشر ذي الحجة " ، ولم يصرح سيبويه بأنه من الحديث .

٥٩ – هو : أبو بكر بن يحيى بن عبدالله المالقي النحوي ، توفي سنة ٦٥٧هـ ، وأشهر مصنفاته : شرح كتاب سيبويه ، وشرح إيضاح الفارسي ، وشرح لمع ابن جني [انظر : بغية الوعاة ١ / ٤٧٣] .

٦٠ – انظر : صحيح البخاري (الباب الحادي عشر من كتاب العيدين) وسنن الترمذي (الباب الحادي والخمسون من كتاب الصوم) .

٦١ – هذا جواب (أمَّا) السابقة ، فالأَوْلَى اقترانه بالفاء ؛ لما فيها من معنى الشرط ، فكان الأَوْلَى أن يقول : " أما تجويزه ... فكما رأيت ... " .

٦٢ – الأَوْلَى إدخال الفاء في جواب (أمّا) ، فكان يقول : " وأما حذفه مع مِنْ فكقوله ... " .

٦٣ – البيت من البسيط ، ولم يعلم له قائل . والوجد (بضمِّ الواو) : الغنى ، والإعدام : الفقر . وتقدير البيت بعد رد المحذوف : أولى به منه الحمد .

٦٤ – البيتان من الطويل ، وهما من شعر سحيم بن وثيل الرياحي من المخضرمين [انظر : كتاب سيبويه ٢ / ٣٣ ، الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ١ / ٦٦٢ ، عمدة الحافظ ٢ / ٧٧٤] .

٦٥ – هو : يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي ، المعروف بالأعلم الشنتمري ، ولد سنة ٤١٠هـ ، وتوفي سنة ٤٧٦هـ ، وأشهر مصنفاته : شرح أبيات سيبويه المعروف بتحصيل عين الذهب ، وشرح أبيات الجمل ، والنكت في تفسير كتاب سيبويه [انظر : بغية الوعاة ٢ / ٣٥٦] .

٦٦ – ورد في الأصل : " تحصين عين الذهب " . واسم الكتاب كاملاً هو : تحصيل عين الذهب من معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب . وهو شرح لشواهد كتاب سيبويه [انظر : بغية الوعاة ٢ / ٣٥٦] .

٦٧ – انظر : تحصيل عين الذهب بهامش كتاب سيبويه – طبعة بولاق [١ / ٢٣٣] .

٦٨ – نَصُّ عبارة الأعلم في النُّكَت في تفسير كتاب سيبويه [١ / ٤٥٥] : " والمعنى أقل به الركب تَئِيَّةً منهم به ، فحذف (منهم) و (به) ، والهاء في (به) الأول ضمير (واد) ، والهاء التي في (به) التي بعد (منهم) ضمير وادي السباع ، و (أتوه) نعت لركب ، و (تئية) في معنى تَلَبُّث وتَمَكُّث ، كأنه قال : لا أرى وادياً أَقَلَّ به مُكْثاً وتَلَبُّثاً الركب الآتوهُ منهم بوادي السباع ، فحذف (منهم) و (به) كما تقول : الله أكبر ، ومعناه : من كل شيء . " .

٦٩ – هو : محمد بن محمد بن عبدالله بن مالك (ابن ابن مالك) ، توفي سنة ٦٨٦هـ ، وأشهر مصنفاته : شرح ألفية ابن مالك ، وشرح الكافية لابن مالك ، وشرح

لامية الأفعال لابن مالك ، وتكملة شرح التسهيل .
[انظر : بغية الوعاة ١ / ٢٢٥] .

٧٠ – نَصُّ عبارة ابن ابن مالك في شرح الألفية (١٨٩) : " لا أرى وادياً أقَلَّ به ركب أتَوْهُ تَثْنِيَةً منه كوادي السباع ، ولكن حذف ما دَلّ على المفضول ... " .

٧١ – جملة " الذي قدره الأعلم به : قد وقع كوادي السباع " ساقطة من الأشباه والنظائر .

٧٢ – هو : أحمد بن محمد بن إسماعيل الصفار ، المعروف بالنحاس ، توفي سنة ٣٣٨هـ ، أشهر مصنفاته : إعراب القرآن ، والكافي في العربية ، وشرح أبيات سيبويه. [انظر : إنباه الرواة ١ / ١٠١] .

٧٣ – هو : أبو الحسن على بن محمد بن عبدالصمد الهمذاني المصري ، ولد سنة ٥٥٨هـ ، وتوفي سنة ٦٤٣هـ ، أشهر مصنفاته : شرح مفصل الزمخشري ، سفر السعادة وسفير الإفادة ، جمال القُرَّاء وكمال الإقراء [انظر: وفيات الأعيان ١ / ٣٤٥] .

٧٤ – انظر هذا الرأي – غير منسوب – مع آراء أخرى في إعراب البيتين في : شرح الرضي على الكافية ٢/٢٢٢.

٧٥ – هو أبو جعفر النحاس ، وقد سبق التعريف به .

٧٦ – هو : محمد بن يزيد ، أبو العباس المبرد ، ولد سنة ٢١٠هـ ، وتوفي سنة ٢٨٥هـ ، أشهر مصنفاته : الكامل في اللغة والأدب ، المقتضب في النحو الفاضل . [انظر : وفيات الأعيان ١ / ٤٩٥] .

٧٧ – انظر على سبيل المثال: المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل – تحقيق محمد كامل بركات [٢ / ١٨٥] بتغيير بعض الألفاظ .

٧٨ – من المعترضين على ابن مالك أبو حيان الأندلسي ، قال : " إذا كان لم يَرِدْ هذا الاستعمال إلا بعد نفي وجب اتِّباعُ السماع فيه ، والاقتصارُ على ما قالته العرب " [همع الهوامع ٥ / ١٠٨] .

٧٩ – هي الأفعال الدالة على الاستمرار (مازال مافتئ ، ما برح ، ما انفك) .

٨٠ – انظر : شرح ابن الناظم على الألفية (١٨٩) طبعة طهران بإيران .

٨١ – هو ابن مالك ، وانظر كلامه في (التسهيل ١٣٥) .

٨٢ – الآية ١١ من سورة فاطر ، وقد جاءت في الأصل مضطربة .

٨٣ – البيت من الطويل ، من شعر الأخفش بن شهاب التغلبي ، شاعر جاهلي وقد حُرِّفَ الشطر الثاني في الأصل فجاء : " ونحو جعلنا قبل فهو سارب " [انظر : ديوان الحماسة لأبي تمام ٢٠٤ ، لسان العرب (سرب)] .

٨٤ – هو أبو جعفر بن النحاس ، وقد سبق التعريف به .

٨٥ – قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية [٢ / ١٤١] : " فتنزل ارتفاع الظاهر بـ (أفعل) هنا لوقوعه موقع فعل منزلة إعمال اسم الفاعل الموصول به الألف واللام حال المُضِيِّ ؛ لأن وصل الألف واللام به أوجب تقديره بفعل .

٨٦ – في الأصل : لم يتساوى .

٨٧ – مختصر في النحو ، يسمى : المقدمة الكافية في علم الإعراب ، وعليها شروح كثيرة .

٨٨ – الآية ١١٤ من سورة البقرة .

٨٩ – الآية ٣٢ من سورة الزمر .

٩٠ – انظر على سبيل المثال : البحر المحيط لأبي حيان في موطن هذه الآية .

٩١ – الأفصح في استعمال (حَسَب) بمعنى قدر أن تجر بالحرف (على) فيقول : على حَسَب ما أخرجه مسلم ، كقولهم : يجزى المرء على حَسَب عمله ، وأما (حَسْبُ) بسكون السين فهي بمعنى الكفاية في الشئ ، كقولهم: حَسْبُكَ درهم .

٩٢ – جاء في صحيح مسلم بشرح النووي [١٧ / ١٧] : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال حين يُصْبِحُ وحين يُمْسي : سبحان الله وبحمده – مائةَ مَرَّةٍ – لم يَأْتِ أحَدٌ يَوْمَ القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحَدٌ قال مِثْلَ ما قال ، أو زاد عليه » .

٩٣ – ممن يرى أن (أوْ) قد ترد بمعنى الواو : الأخفشُ والجَرْمِيُّ وهو مذهب جماعة من الكوفيين ، ولهم أدلة من الشعر والنثر [انظر : الجنى الداني ٢٤٦] .

٩٤ – الآية ٣٦ من سورة آل عمران ، ومما جاء في تفسيرها من بيان قول الزمخشري: "فإن قلت: فما معنى قوله: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى) قلت : هو بيان لما في قوله : (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) من التعظيم للموضوع والرفع منه ، ومعناه : وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها ، واللام فيهما للعهد " .

٩٥ – فإن (الدابة) في اللغة : كل ما يدبُّ على الأرض من إنسان وحيوان ، ولكن العُرْفَ خَصَّهَا بغير الإنسان .
و (ابن عمر) عَلَمٌ في الأصل يشمل كل فرد من أولاد عمر بن الخطاب ، ولكن العرف خصه بابنه عبدالله .
و (البيت) يشمل كل مكان يصلح للبيات ، ولكن العرف خصه بـ (بيت الله الحرام في مكة) .

٩٦ – في شرح الرضي على الكافية [٢ / ٢٢١] أن هذا تعليل سيبويه .

٩٧ – جملة نفي صفة رجل في المسالة بـ (أحسن) لا رابط بينها وبين ما قبلها من كلام ، وهي ليست في نص بدرالدين بن مالك وهو : " فإن قلت : وأيُّ حاجة إلى ذلك ؟ ولِمَ لَمْ يُجْعَلْ مبتدأ مؤخراً عن (مِنْ) فيقال : ما رأيت رجلا أحسن في عينه منه في عين زيد الكحل

أو مقدماً على (أحسن) فيقال : مارأيت رجلا الكحل أحسن في عينه منه في عين زيد ؟ .

قلت : لم يؤخر تجنباً عن قبح اجتماع تقديم الضمير على مفسره ، وإعمال الخبر في ضميرين لمسمى واحد - وليس هو من أفعال القلوب - ولم يقدم كراهية أن يقدموا الغير ضرورة ما ليس بأهم ؛ فإن الامتناع منْ رَفْعِ أفعل التفضيل الظاهرَ ليس لعلة موجبة ، إنما هو لأمر استحساني ، فيجوز التخلف عن مقتضاه إذا زاحمه مارعايته أولى ؛ وهو تقديم ما هو أهم ، وإيراده في الذكر أتم ، وذلك صفة ما يستلزم صدق الكلام تخصيصه ؛ ألا ترى أنك لو قلت : ما رأيت رجلاً، كان صدق الكلام موقوفاً على تخصيص رجل بأمر يمكن أنه لم يحصل لمن رأيته من الرجال .. " [شرح ابن الناظم للألفية ١٩٠] . وفي ألفاظ النص بعض تغيير أو حذف ، وقد أقَرَّ ابن الصائغ بذلك فيما بعد .

٩٨ - نهاية ما نقله ابن الصائغ عن بدر الدين بن مالك من شرحه على ألفية أبيه [١٩٠ ، ١٩١] .

٩٩ - انظر نص ابن ابن مالك السابق نقله في الهامش .

١٠٠- الآية ٦٧ من سورة طه . والإعراب المشهور هو أن يكون (موسى) فاعلاً للفعل (أوْجَس) والضمير في (نفسه) عائد عليه وهو متأخر لفظاً لا رتبةً ؛ إذ حَقُّ الفاعل أن يَلِيَ الفعل .

١٠١- يشير إلى قول ابن الحاجب : " ولا يجوز الفصل بين عامله ومعموله ، ولو قدمت (منه) لرجع الضمير إلى غير مذكور " [انظر شرح الرضي على الكافية ٢ /٢٢١]

١٠٢- انظر هذا في : شرح الرضي على الكافية [٢ / ٢٢٢] .

١٠٣- انظر كتاب سيبويه [١ / ٢٣٢ ، ٢ / ٣١] .

١٠٤- في عبارة الأصل بعض اضطراب ؛ إذ جاء فيه : " وقد صرح الصفار بجواز المسألة بالرفع على تقدير تقديم الكحل ، وعلى تقدير تأخيره عن فعل أن يكون معطوفاً على من الناس ، مقدراً بأن يكون الكحل مبتدأ ، أما إذا خبرا فيمتنع تأخير الكحل ؛ لما ذكرناه " . والتصويب من : الأشباه والنظائر [٢١٤/٤]

١٠٥- في الأصل : " على تقديم الصفة وصف المعرفة بالنكرة " ، والتصويب من : الأشباه والنظائر [٤ / ٢١٤] .

١٠٦- انظر كلام سيبويه في كتابه [١ / ٢٣٢ ، ٢ / ٣١] .

١٠٧- هو : منصور بن فلاح بن محمد بن سليمان اليمني ، توفي سنة ٦٨٦هـ ، وأشهر مصنفاته : الكافي في أصول الفقه ، وقد نقل عنه ابن الصائغ هنا .

١٠٨- في الأشباه والنظائر [٤ / ٢١٤] : «علات» .

١٠٩- انظر : شرح الرضي على الكافية [٢ / ٢٢٠] .

١١٠- انظر : تسهيل الفوائد ١٣٥ - وجاء في أصل المخطوط: " فصاحب أفعل " .

١١١- القياس في القاعدة إدخال الفاء هنا (فلأنها) ؛ لأنه جواب أما النائبة مناب فعل الشرط وأداته .

١١٢- انظر : شرح ابن الناظم للألفية ١٨٩ .

١١٣- انظر : شرح ابن الناظم للألفية ١٩٠ .

١١٤- وهو قولهم : مارأيت رجلا أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد .

١١٥- انظر كتاب سيبويه [٢ / ٣١] .

١١٦- انظر : شرح الكافية لابن الحاجب [٢ / ٢٢٠] .

١١٧- إلى هنا ينتهي ما جاء في الأشباه والنظائر [٤ /٢١٦] وأما ماذكره ابن طولون بعد ذلك فمنقول بأغلب ألفاظه من كتاب شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري على ألفية ابن مالك ، وانظر [٢ / ١٠٦ وما بعدها] طبعة عيسى البابي الحلبي .

١١٨- ويتحقق ذلك إذا أضيف أفعل إلى معرفة - وفي شرح التصريح على التوضيح زيادة قوله (وعكسه) أي إذا كان أفعل بعض ما يضاف إليه ، ويتحقق ذلك بأن يضاف إلى نكرة . قال المرادي : أفعل التفضيل بمعنى بعض إن أضيف إلى معرفة وبمعنى كل إن أضيف إلى نكرة ، ولهذا يقال : أفضل الرجلين ، وأفضل رجلين الزيدان [٢ / ١٠٦ - الهامش] .

١١٩- علق الشيخ ياسين على ذلك بقوله : " الأظهر أن يقول: أو كان مضافاً إلى غيره ؛ ليوافق ما مَرَّ في باب التمييز من أنه ينصب ما كان فاعلاً في المعنى وما لم يكن كذلك إذا كان مضافاً لغيره ؛ لتعذر إضافته مرتين " [انظر: حاشية الشيخ يس على شرح التصريح ٢ /١٠٦] .

١٢٠- في حاشية الشيخ ياسين [٢ / ١٠٧] أن وجه مناقشة أبي حيان هو : " أن النفي في صورة أفعل التفضيل مُنْصَبٌّ على الزيادة في عين الرجل ، ونفي الزيادة فيها يصدق بالمساواة وبنقصانها عن عين زيد ، وفي صورة الفعل النفي مُنْصَبٌّ على المماثلة ، وهي تصدق بشيئين : الزيادة والنقص ، وأجاب ابن الصائغ بأن المراد في الاستعمال في الصورة الأولى النقصان ، وفي الثانية إثبات الزيادة للثاني قضاءً لِحَقِّ التشبيه " .

١٢١- كما قد يحذف الضمير الثاني هنا قد يحذف أيضاً الضمير الأول العائد إلى الموصوف ؛ للعلم به نحو : ما رأيت رجلا أحسن الكحل منه في عين زيد - والمقدر كالملفوظ - وقد نَصَّ على ذلك صاحبُ شرح التصريح على التوضيح [٢ / ١٠٧] وهو الأصل الذي نقل عنه ابن طولون ما هنا .

(انتهت المسألة السادسة)

غيلان بن سلمة الثقفي وماتبقى من شعره

بدر أحمد ضيف
الأستاذ المساعد بكلية الآداب
جامعة طنطا - مصر

هو غيلانُ بنُ سَلَمة بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثقيف (١) ، لاخلاف في ذلك بين المصادر ، غير أن النووي يقول : " هو غيلان بن سلمة بن مُعَيْب " ، (٢) فيخالف في جَدِّه . ويبدو من أخباره قليلة أنه كان شاعراً ، ولكنه مقل ، وليس بمعروف في الفحول (٣) .

سَيِّدٌ من سادات ثقيف ، وأحد وجوههم في الجاهلية والإسلام ، شريف في قومه ، عزيز بينهم ، من الأحلاف أحد فرعي قبيلة ثقيف . (٤) عدَّه القدماء أحد حكام قيس في الجاهلية (٥) ، ومن الذين كانت بيدهم مقاليد الأمور والحروب ، يحتكم الناس إليه ، فقد لجأ إليه - في منافرة - علقمةُ بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب (٦) ، وكلاهما من بكر بن هوازن ، والمعروف أن " بكراً ولد : سعداً ، ومُنَبِّهاً ، ومعاوية ، وزَيْداً " (٧) . فمعاوية جدهم أخو منبه ثقيف . وحين غزت خثعم ثقيفاً بالطائف خرج إليهم غيلان بن سلمة (٨) ، ولما بلغ ثقيفاً مسيرُ بني عامر بن ربيعة " بطن من قيس بن عيلان ، من العدنانية ، وهم : بنو عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان (٩) ، فهم أبناء عم قسيِّ ثقيف ، استنجدوا ببني نصر " ، فخرجت ثقيف إلى بني عامر وعليهم يومئذ غيلان ابن سلمة (١٠) .

ولغيلان وفادة على كسرى مع نفر من قريش ومن ثقيف (١١) . ورووا له في هذه الوفادة كلمات نتنسم منها حكمة الرجل وتعقله ، فقد قيل : إن كسرى سأله : أي ولدك أحبُّ إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم ، (١٢) وأنه أعجب به ، وأرسل معه من يبني له أُطُماً في الطائف ، فكان أول قصر بني بها (١٣) . وغيلان - فيما يقال - أحد مَنْ نزل فيهم قول الله عزّ وجلّ (١٤) : (لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) . (١٥)

كذلك يبدو من أخباره أنه أحصن عشراً من نساء العرب في الجاهلية ، وحين حضرته الوفاة قال لبنيه : يابَنِيَّ ، قد أحسنت خدمة أموالكم ، وأمجدت أمهاتكم ، فلن تزالوا بخير ماغَذَوْتُم من كريم ، وغذا منكم ، فعليكم ببيوتات العرب ، فإنها مدارج الكرم ، وعليكم بكل رَمْكَاء رَكِينة ، أو بيضاء رزينة ، في خِدْر بيت يُتْبَع ، أو جَدٍّ يُرتجى ، وإياكم والقصيرة الرُّطْلة ، فإنْ أبغض الرجال إليَّ أن يقاتل عن إبلي ، أو يناضلَ عن حسبي القصير الرُّطل (١٦) وحين جاء الإسلام أمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعاً ويفارق بقيتهن (١٧) .

ومع زيجاته هذه لم تذكر لنا كتب التراجم إلا عددا قليلاً من أبنائه ، وغير زوج واحدة هي خالدة بنت أبي العاص التي أنجبت له " عمّاراً " و " عامراً " ، فهاجر " عامر " إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رحل إلى الشام مع خالد بن الوليد ، فتوفي عامر بطاعون عمواس ، وكان فارس ثقيف يومئذ ، (١٨) وكان قد أسلم بعد فتح الطائف . ويذكرون " نافعاً " الذي استشهد بدومة الجندل سنة ١٣هـ (١٩) . وله مولى اسمه نافع أسلم قبل غيلان ، وفرَّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم غيلان وابنه عروة ، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاءه (٢٠) . ويقال إن " تميماً " ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم (٢١) ، وكان " شرحبيل " مع الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات سنة ستين (٢٢) ، ويذكرون له ابنة واحدة هي بادية بنت غيلان الثقفية (٢٣) .

ويرى ابن سعد أن غيلان بن سلمة تأخر إسلامه إلى مابعد فتح الطائف ، ولم يهاجر ، ولم يحضر وعروة بن مسعود حصار الطائف ، فقد كانا بجُرَش يتعلمان صنعة العرَّادات والمنجنيق والدبابات ، فقدما وقد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف ، فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات ، وأعدا للقتال ، ولكن عروة كان أسبق منه إلى الإسلام ، وقد استشهد إثر اعتداء أحد رجال بني مالك عليه ، مما أوغر صدر الأحلاف على أبناء عمومتهم ، وأنهى عروة هذا التصادم الذي كاد يودي بالقبيلة قائلاً : قد تصدقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم " (٢٤) .

ولم يلبث أن خرج وفد من بضعة عشر رجلاً ، منهم : عبد ياليل وابناه كنانة وربيعة ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة ، والحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وعثمان بن أبي العاصي ، وأوس بن عوف ، ونمير بن خرشة ، معلنين إسلام ثقيف ، يقول المغيرة بن شعبة : فلا أعلم قوماً من العرب بني أب ، ولا قبيلة كانوا أصلح إسلاماً ولا أبعد أن يوجد بينهم غش لله ولكتابه منهم " (٢٥) .

وتكاد تجمع المصادر على أن غيلان توفي سنة ٢٣ هـ (٢٦) ، وانفرد الجاحظ بخبر تابعه عليه " الأبي " مؤداه أنه لما توفي عبدالملك ، وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لايدرون أيهنئونه أم يعزونه ، فأقبل غيلان بن سلمة الثقفي فسلم عليه ، ثم قال : " ياأمير المؤمنين ، أصبحت قد رزيت خير الآباء ، وسميت بخير الأسماء ، وأعطيت أفضل الأشياء ، فعظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك في ذلك نوافل الأجر ، وأعانك على حسن الولاية والشكر ، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية ، وأنزله المنازل المرضية ، وأعانك من بعده على الرعية . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانتسب له ، وقال : في كم أنت ؟ قال : في مائة ، فألحقه بأهل الشرف . (٢٧)

والخبر فيه خلط واضطراب ، فلم يعش غيلان إلى سنة ٨٦هـ ، وإسناد مثل هذا الخبر إلى غيلان يحتاج إلى وقفة ، وخاصة أن الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ لايخفى عليه مافي الخبر من البيان وحسن الحديث وموافقته لمقتضى الحال ، ولكننا نفهم منه شيئا آخر علّه السبب الذي جعل الجاحظ يخلط فيه ، وهو أن شهرة غيلان بن سلمة في البلاغة وحسن الحديث قد غطت على تاريخ وفاته ، وقد يكون الخبر منسوباً إلى ثقفي آخر من نسل غيلان الذين عاصروا هذه الفترة ، ويبقى الأمر منسوبا إلى غيلان بن سلمة لما شهر عنه في حياته من القدرة على الشعر والنثر ، ومع ذلك فلم يورد له الجاحظ شاهداً واحداً من الشعر ، ولم يشر المحقق ، رحمه الله ، إلى ضعف الخبر وإسناده إلى من لم يقله .

لا أغالي إذا قلت : إن لغيلان شعراً ليس بالقليل ، وإنْ نَصَّ أبو الفرج على أنه شاعر مقل ، ليس بمعروف في الفحول (٢٨) ، ولكن ابن سلام سبقه فقال : ولغيلان بن سلمة شعر (٢٩) ، هكذا دون تحديد ذكر لمقدار ماوصل إلى القرن الثاني الهجرى من شعره ، ولكن الأخبار الواردة تؤكد أن شعره ليس قليلاً ، منها أن أبا سعيد السكري (ت : ٢٧٥هـ) أول من جمع شعره ، يقول أبو الفتوح : " نسخت من كتاب أبي سعيد السكري " مع أنه ليس من المشهور أن أبا سعيد السكري (الحسن بن الحسين) قد جمع شعر ثقيف ، أو شعر غيلان بن سلمة مع كثرة ماجمعه من أشعار القبائل وشعراء العرب (٣٠) .

بمعنى أن شعر غيلان ظل بمنأى عن حفظ الرواة حتى نهاية القرن الثالث ، وهذا أمر يدعو إلى ضياع شعره ، أو تفرقه بين الشعراء ، كما ضاع معظم شعر ثقيف لإ همال الرواة له ، ومما يدل على صدق ما أدعيه أن الأبيات رقم ١٤ دخلت في شعر المسيب بن علس ، وروتها جمهرة أشعار العرب المنسوبة إلى أبي زيد القرشيٍّ ضمن المنتقيات ، ومن يدري فلعل القصيدة كلها لغيلان بن سلمة ثم خلطها الرواة بشعر المسيب بن علس .

ومما يدل على كثرة شعره ماتشير إليه أخبار القطعة ١٧ ، تقول : إنْ كيسان بن أبي سليمان ظل ينشد أبا عبدالرحمن عبدالله بن عمرو الثقفي شعر غيلان لايتعداه إلى شاعر آخر منذ صدروا عن الأُبُلّة مروراً بالطّف وهو يريد الطابق ، والمعروف أن الأبلّة بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج ، والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وبينها وبين الطابق في الجانب الغربي من بغداد ليس بالمسافة القريبة (٣١) ، بحيث تروى على طريقها أبيات قلائل .

ومما يدل على غزارة شعره كذلك أنه حين استشهد ولده " نافع " جزع عليه جزعاً شديداً ، ورثاه بأبيات كثيرة لم يصل إلين منها غير أربعة أبيات أو ثلاثة في مصادر أخرى. وهذا الفخر الذي افتخرت به ثقيف (ق ١٥) من أنها ملجأ الخائف بما يطول - كما يقول ياقوت الحموي - ذكره ، ويسئم قارئه، أليس لغيلان نصيب كبير فيه ؟ وهو رئيس قومه وشريفهم وسيدهم وصاحب أمرهم في السلم والحرب ، وتعجب مرة أخرى لهذه المواقع التي حضرها ، والحروب التي عاصرها واشترك فيها ، بينه وبين جيرانه ، وبين ثقيف وأبناء عمومتهم ، وبينهم وبين خثعم اليمن ، وهو زعيم قومه وصاحب فخرهم فلا نكاد نظفر من ذلك بأبيات .

كل هذه الظنون التي هي أقرب إلى الواقع تحتم علينا القول بأن غيلان بن سلمة غزير الشعر ، ولم يصل إلى علمنا من شعره إلا أقله ، ولو جاءنا لكان غزيراً ، كما أننا - وهذا أمر يدعو للعجب - لانكاد نظفر بشعره أو شعر ثقيف في كتب اللغة والنحو إلاً لمن كان أكثر شهرة كأمية بن أبي الصلت ويزيد بن الحكم ، ولاتكاد تقرأ لغيلان إلا إشارة إلى لفظة (التُّلام) بفتح اللام ، نصَّ اللسان على قول ابن بري : وقد جاء التُّلام بفتح التاء في شعر غيلان بن سلمة الثقفي.

أما المعاني التي جاء بها غيلان فيما تبقى من شعره الجاهلي ، ولاأثر لشعر إسلامي ، فهي لاتختلف في قيمها عما جاء به شعراء الجاهلية من معان ، فقد أشار إلى أنه مازال يستخدم العنف حتى يتفرق الناس بعد اجتماع (ق ٨) ، وأن نخوته لاتنكسر ، وطبيعته لاتلين إلى عدو (ق ٦) ، وأما الفخر فتجده في (ق ١٥) يفتخر بأن قبيلته من قبائل قيس ، وأن لهم شرف المعالي . وهم كهف لكل من يلجأ إليهم ، يتساوى في ذلك كهلهم وخطيبهم ، وتعرف قبائل قيس وبطونها عنهم هذا الشرف وهذه النخوة . ونجد له بيتين يفخر فيهما بانتمائه إلى قبيلة "إياد" ومجاورته نسباً ووطناً لقيس . وهو موضوع حدث فيه خلط واضطراب كبير بين النسابين (ق ١٩) . كذلك يمضي في فخره بنفسه حين يتناول موضوع الأيام بينه وبين أعدائه من خثعم ، وعامر بن ربيعة (ق ٢٢ ، ٢٠) . ومن بين معاني السؤدد التي يشير إليها أنه لايراه إلا مع العدد (ق ٣) .

وفي شعره القليل مقطوعتان يرثي في إحداهما ابنه "عامرا" الذي توفي في طاعون عمواس (ق ١٨) يتناول فيها هذه المعاني القديمة ، فهو فارس الفرسان ، وذو حزم وقوة ، وله طعنة جابر بن سنان ، وشدة فارس ، وقد جعل لنفسه علامة الفرسان . والأخرى (ق ٢١) يرثي فيها ابنه "نافعاً" الذي استشهد في دومة الجندل ، وتشير المصادر إلى أنه أكثر فيه القول ، مما يفصح عن قرب "نافع" منه ، وأثر فقده على نفسه ، فقد أكثر من الدموع حتى فنيت ، وذكر فيها أن عينيه لاتعرف للنوم مذاقاً ، يرعى نجوم الليل ساهراً ، وهو لايرى غير "نافع" "فارساً" ، ولو استطاع أن يحفظه من عثرة الأيام وضربات الزمن لفعل .

ويتعرض لموضوع الشيب (ق ٥) الذي لم ينقص منه شيئاً ، بل إنه بدا به أكثر تعقلاً وحكمة وخبرة ، ويعالج اتصال الشيب بالحسان ، فلا تصابي بعد المشيب ، وعليه إذا ظهر أن يسلو من يحب (ق ١) . أما موضوع النساء منفرداً فقد وجدت له مقطوعتين ، وهذا لايتلاءم مع كثرة زيجاته ، فهو في (ق ٢) يتخير حرائر النساء ممن تنوق فعلهن ، ولم يباشرن الخدمة ، وإنما حافظ عليها أهلها وزينوها ، ومن كانت على مثل هذه الصورة رحل إليها لاترد له وسيلة ، وفي (ق ٩) تبين أن غيلان لما أسن وكثرت أسفاره ملته زوجته وتجنت عليه ، وأنكر أخلاقها فهددها بالطلاق مع أنه تحمل عشرتها بما له من أخلاق حسنة .

وتبرز حكمته كذلك في معاملته لأبناء عمومته ، وقد تعدى أحدهم على إبل له ، ويبدو أن أمر القوة والقدرة تحول عن نفسه إلى إبراز السلامة قبل العداوة بتذكيره أن ابن عم المرء مثل سلاحه ، وليس ثمة ذكر للمعاني الإسلامية في شعره ، ولعل هذا الجانب لم تروه الرواة عنه ، فقد عاش في الإسلام فترة من الزمان كانت جديرة بأن تؤثر عليه ، وخاصة أن هذه المعاني كثرت في شعر قبيلته وفي أبنائه كذلك .

يستوقفنا في شعر غيلان أن قليلاً من الألفاظ الغريبة تسرب إلى ما تبقي من شعره ، وهذه ظاهرة نتوقف عندها مرتبطة بصاحبها وخاصة إذا عرفنا أن غيلان صاحب أسفار مما رقق من لفظه ، كما رقق من صوره. نقرأ له (أشفتر) ق ٨ ، و (الثَّلام) ق ١٦ ، و (الباذان) ق ١٨ ، و (تحسحس) ق ٢٠ . أضف إلى ذلك أن هذه الحياة الجاهلية بما فيها من بساطة ووضوح كانت مورد الشاعر ، فالوضوح والسهولة وعدم الإغراب هي الظاهرة الواضحة في شعر غيلان خاصة .

وإذا نظرت إلى صورة وجدتها لا تخرج عما قلته لك فتشبيه ليلاه (ق ١) وقد أحاطت بها عيون الرقباء بطلوع الشمس يوم غيم ، أو حين غروبها ، صورة بسيطة طبيعية لا تخرج عن بيئته التي يعيشها . واستحب القدماء في الفرس الصوت الشديد ، فيشبه صوته بالجرس (ق ٤) ، أو يشبه الجدي نجما بالفرس وعليه سرجه إلا أنه لا يصدر عنه صهيل (ق ١٣) ، أو هذا الهودج الذي يتهادى في السراب فيرفعه ويخفضه وكان السراب يشبه الثوب الأبيض (ق ١٤) ، أو هذا الذئب الذي يشبه أصل الشجرة (ق ١٢) .

وهو يتناول في فخره أيضاً هذه المعاني التي طرقها القدماء ، فيتناول ما ورثه من أجداده ، من أنه لا يلين لعدو ويأبى الخسف ، ولا يلبس ثياب غدر ، ولا يتقنع من خزي ، وأنه وقومه يحلون الذروة من قبائل جذم قيس ، وأنه لا يزال يبتني شرف المعالي ، وينعش عشرة من يقصده ، وهذه المعاني ليست وقفا على غيلان ، وإنما هي شركة بينه وبين شعراء وقته .

ويختار غيلان من الألفاظ ما يساعده على الإيحاء ، ويبعث في الأبيات جرساً موسيقياً مع ما فيها من أفكار أو خلجات نفسية ، فاستخدام الفعل (لذّ) و (طاب) في قوله (لذ في سلمى وطاب النسيب) اختيار موفق لما يحدثه أثر اللذة واتصالها بالقبح أو الجمال . وفي صورة هذه المرأة الحرة التي أراها زوجا ، وقد تنوق فعلها ، واستخدام الفعل (تنوق) مع (زيّنها) (فتزيّنت) يؤكد لك أمرين : الأول أنه أراد من هذا التضعيف وسيلة إلى تأكيد الزينة ، والثاني : إقبالها على هذا الأمر عن رغبة لا عن كراهة ، قصد إلى ذلك قصدا في سبيل اعتنائه بالألفاظ التي يستخدمها .

واعتناؤه بالألفاظ دفعه إلى اختيار الأوزان الملائمة على بحر الكامل والوافر والمنسرح وأهم ما نرى في اختيار الألفاظ اختيار القافية التي تنسيك مع الغرض الذي قيلت فيه ، وخاصة في الرثاء حيث نحصل على قدر من الصور : فعيناه تجود بكرم بدمعها ، ولو استطاع لجعل عامرا بين ضلوعه ، أو جعل نافعا بين عكَد لسانه ، وهو يرعى فيه نجوم الليل وهْنا ، وكيف يبصرها وقد فاضت عيناه بدمع الأب الملتاع لفقد أولاده .

هوامش البحث :

١ - راجع الأغاني ١٣ / ٢٠٠ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، الاستيعاب ٩ / ١٠٧ رقم ٢٠٦٦ الإصابة ٨ / ٦٣ رقم ٦٩١٨ ، جمهرة ابن حزم : ٢٦٨ .
٢ - تهذيب الأسماء ٢ / ٤٩ .
٣ - الأغاني ١٣ / ٢٠٠ ، طبقات ابن سلام : ٢١٧ .
٤ - طبقات ابن سعد ١ / ٣١٢ ، الكامل ١ / ٦٨٤ .
٥ - سمط اللآلي ١ / ٤٧٧ ، الإصابة ٨ / ٦٧ .
٦ - صبح الأعشى ١ / ٣٨٥ .
٧ - جمهرة أنساب العرب : ٢٧٣ وما بعدها ، جمهرة ابن

الكلبي : ٣٠٥ .
٨ – الأغاني ١٣ / ٢٠٤ .
٩ – معجم قبائل العرب ٢ / ٧٠٧ .
١٠ – الأغاني ١٣ / ٢٠٣ .
١١ – الأغاني ١٣ / ٢٠١ .
١٢ – الإصابة ٨ / ٦٣ .
١٣ – الأغاني ١٣ / ٢٠٧ .
١٤ – الأغاني ١٣ / ٢٠٥ ، المحبر : ٣٥٧ .
١٥ – الزخرف : ٣١ .
١٦ – الأغاني ١٣ / ٢٠٥ ، الرمكاء : ما كان في لونها حمرة مختلفة بسواد ، الرطلة : بكسر الراء وفتحها : المرأة الحمقاء الضعيفة .
١٧ – طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، وفي الكامل لابن الأثير ٣ / ٧٨ خبر يقول : إنه أسلم وتحته عشر نسوة .
١٨ – طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ .
١٩ – الاستيعاب ١٠ / ٢٨٧ ، خلاف ما يقوله اليعقوبي من أن " نافعا " قتله على بن أبي طالب حين غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف : تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٤ .
٢٠ – طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، الإصابة ١٠ / ١٣٧ .
٢١ – الإصابة ١ / ٣١٠ رقم ٨٥٥ .
٢٢ – الطبقات ٥ / ٥٠٦ .
٢٣ – الاستيعاب ١٢ / ١٠٥ رقم ١٥٧ .
٢٤ – الطبقات ١ / ٣١٢ ، تاريخ الطبري ٣ / ٨١ .
٢٥ – الطبقات ١ / ٣١٢ .
٢٦ – الكامل في التاريخ ٣ / ٧٨ ، الاستيعاب ٩ / ١٠٧ ، تهذيب الأسماء ٢ / ٤٩ .
٢٧ – البيان والتبيين ٢ / ١٩١ ، نثر الدر ٣ / ٥٩ .
٢٨ – الأغاني ١٣ / ٢٠٠ .
٢٩ – طبقات الشعراء : ٢١٧ .
٣٠ – إنباه الرواة ١ / ٢٩١ ، وانظر فهرست ، ابن النديم : ١٥٧ .
٣١ – معجم البلدان ١ / ٧٧ ، ٤ / ٣٦٠ .
٣٢ – أنساب الأشراف : ٤ ، ٢٧ ، ٧٥ .
٣٣ – أنساب الأشراف : ٢٦ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٨ .
٣٤ – أنساب الأشراف : ٢٨ ، ٧٥ .
٣٥ – بيشة : بلدة ذات شهرة في التاريخ العربي تقع حالياً في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية
٣٦ – أنساب الأشراف : ٢٧ ، معجم ما استعجم ١ / ٦٤ وما بعدها .
٣٧ – معجم ما استعجم ١ / ٦٥ .
٣٨ – أنساب الأشراف : ٢٥ .
٣٩ – شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٨ .
٤٠ – الإصابة ٣ / ٢٥٩ رقم ١٨٦٧ .
٤١ – ديوان أمية بن أبي الصلت : ٤٦٥ .
٤٢ – الأغاني ٣ / ١٧٩ .
٤٣ – ديوان أمية : ٣٣٦ .
٤٤ – معجم ما استعجم ١ / ٧٩ .
٤٥ – معجم ما استعجم ١ / ١١٦ .
٤٦ – معجم ما استعجم ١ / ٧٩ .
٤٧ – انظر سببا من أسباب الخلاف في الكامل لابن الأثير ١ / ٦٨٥ .

ما تبقي من شعره

انظر في ترجمته وأخباره :

الأغاني ١٣ / ١٩٩ وما بعدها ، الإفصاح : ٣١١ ، الاستيعاب ١٠ / ٨٧ رقم ٢٥٩٤ ، الإصابة ٨ / ٦٨ رقم ٦٩١٣ ، ١٠ / ٣٣ رقم ٨٦٥٧ ، حماسة البحتري : ٢٤ ، لحن العامة : ١٩٤ ، اللسان : مواد : ظهر ، ضعف ، لقح ، معجم البلدان ٤ /١٢ ، معجم ما استعجم ١ / ٧٩ ، تاريخ الطبري ٦ / ١٠٧ ، ٣ / ٨١ ، عيون الأخبار ٤ / ٥٢ ، فرحة الأديب : ١٨٨ ، بهجة المجالس ١ / ٦١١ ، الموازنة : ٩٩ ، نوادر المخطوطات ٢ / ٢٢٤ ، الفائق ٢ / ٣٤٢ ، صبح الأعشى ١ / ٣٨٥ ، الحيوان ٦ / ١٥٦ ، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٨ ، طبقات ابن سعد ٥ / ٥٠٥ ، طبقات فحول الشعراء : ٢١٧ ، البيان والتبيين ٢ / ١٩١ ، تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٤٩ ، المحبر : ٣٥٧ ، الكامل لابن الأثير ٣ / ٧٨ ، البخلاء : ٣٩٣ .

– ١ –

١ – اسْلُ عن ليلى عَلاَكَ المَشيبُ
وتَصَابِي الشيخِ شيٌ عَجِيبُ
٢ – وإذا كان النسيبُ بسلمى
لذُّ في سلمى وطَابَ النسيبُ
٣ – إنما شبَّهْتُها إذ تَراءتْ
وعليها مِنْ عُيُونٍ رقيبُ
٤ – بِطُلوع الشمس في يوم دَجْنٍ
بُكرةً أو حان منها غُروبُ
٥ – إنني – فاعلمْ – وإنْ عَزَّ أهلي
بالسويداءِ الغداةَ غَرِيبُ

التخريج :

الأغاني ١٣ / ١٩٩ ، قال أبو الفرج (وجدت ذلك في جامع شعره بخط أبي سعيد السكري) ت : ٢٧٥هـ والسويداء : موضع بالحجاز بعد المدينة على طريق الشام .

– ٢ –

١ – وَحُرَّةِ قومٍ تَنَوَّقَ فِعْلُها
وزْيـنَها أقوامها فتزيَّنَتْ

٢ – رحلتُ إليها لا تُرَدُّ وَسِيلتي
وحمَّلتُها من قومها فتحمَّلَتْ

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٢٠٥ (ولما حضرت غيلان بن سلمة الوفاة، وكان قد أحصن عشرا من نساء العرب في الجاهلية، قال : يابَنِيَّ، قد أحسنت خدمة أموالكم، وأمجدت أمهاتكم، فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب، فإنها معارج الكرم، وعليكم بكل رمكاء مكينة ركينة، أو بيضاء رزينة، في خدر بيت يتبع، أوجدُّ يُرْتَجى، وإياكم والقصيرة الرطلة، فإن أبغض الرجال إليَّ أن يقاتلَ عن إبلي، أو يناضلَ عن حسبي القصير الرَّطل . ثم أنشأ يقول ...) .

والوصية في البيان والتبيين منسوبة إلى عثمان بن أبي العاص ٢ / ٦٧ .

– ٣ –

(الرجز)

لابدَّ للسُّودَدِ مِنْ عَديدِ

التخريج :

شطر بيت منسوب إلى غيلان الثقفي في بهجة المجالس ١ / ٦١١ .

– ٤ –

(المنسرح)

نَهْدٍ كَتَيْسِ أَقَبَّ مُعْتدِلٍ كأنما في صَهيله جَرَسٌ

التخريج :

الموازنة للآمدي : ٩٩

– ٥ –

(الكامل)

١ – لم يَنْتقِصْ مِنِّي المَشيبُ قُلامةً
الآنَ حين بدا ألَبُّ وأكْيَسُ
٢ – والشيبُ إن يحلُلْ فإنَّ وراءَه
عُمْراً يكون خلالَه مُتَنَفَّسُ

التخريج :

البيتان في الإصابة ٨ / ٦٧ رقم ٦٩١٨ (وذكر ابن حجر أنه نقلهما عن معجم الشعراء للمرزباني) ولم أجد ترجمة لغيلان عند المرزباني، فلعلهما سقطا من الكتاب . والبيتان ٢ ، ١ في عيون الأخبار ٤ / ٥٢ (٢ : الشيب إن يظهر) (١ : ولنحن حين بدا) .

– ٦ –

(الطويل)

١ – ألم ترَ أنِّي لا تَلينُ عَريكتي
إلى مَنْ يُعاديني ولا أتَجَشَّعُ
٢ – ولا أمتري بالخَسْفِ حتى يُدِرَّني
ولكني أبى الخسفَ مادامتُ أسمعُ
٣ – فإنِّي بحمدِ الله لاثوبَ غادرٍ
لَبِسْتُ ولا مِنْ خِزيةٍ أتقنَّعُ

التخريج :

البيتان ١ ، ٢ في حماسة البحتري : ٢٤ ، والثالث في لحن العامة : ١٩٤ غير منسوب، نسبه محقق الكتاب إلى غيلان بن سلمة من اللسان، مادة : طهر ٦ / ١٨٧ (٣ : إني بحمد الله)، والأول في إلا ٦٨/٨ (٣ – لاثوب فاجر... من غدرة) .

– ٧ –

(الطويل)

١ – ألا مَنْ يرى رأيَ امرىءٍ ذي قَرابةٍ
أَبَى صدرُه بالضِّغْنِ إلاَّ تَطلُّعا
٢ – فَسلمكَ أرجو لا العداوة إنما
أبوك أبي وإنما صَفْقُنا مَعَا
٣ – وإنَّ ابنَ عم المرء مثلُ سلاحه
يَقيه إذا لاقى الكَميُّ المُقنَّعا
٤ – فإنْ يكثرِ المَوْلى فإنك حاسدٌ
وإنْ يفتقرْ لا يُلْفِ عندك مَطمعا
٥ – فهذا وَعيدٌ وادخارٌ فإنْ تَعُدْ
وَجَدَكَ أعلمْ ما تسلَّفتَ أجْمَعا

التخريج :

الأغاني ١٣ / ١٢٠٢ (نسخت من كتاب أبي سعيد السكري، قال : كان لغيلان بن سلمة جار من باهلة، وكانت له إبل يرعاها راعيه في الإبل مع إبل غيلان، فتخطى بعضها إلى أرض لأبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب، فضرب أبو عقيل الراعي واستخف به، فشكا الباهلي ذلك إلى غيلان، فقال لأبي عقيل ...... الصَّفْق : الضرب، وهو ضرب بالأيدي عند المبايعة . تسلف في المادة والشئ : افترض، والمعنى : إن عدت فسأقف على ما وقع منك .

– ٨ –

(الرجز)

ما زِلْتُ بالعُنْفِ وفوقَ العُنْفِ
حتى اشْفَتَرَّ الناسُ بعد الضَّفِّ

التخريج :

اللسان، مادة ضفف ١١ / ١١٠ (وقال غيلان) ولعله غيلان بن سلمة، والبيت في الفائق في غريب الحديث ٣٤٢/٢ دون عزو . الضف : الحلب بالكف كلها، والضفف : ازدحام الناس على الماء، والمقصود تفرق الناس بعد اجتماع .

- ٩ -

(الكامل)

١ - ياربَّ مثلكِ في النساء غريرةٍ
بيضاءَ قد متَّعْتُها بطلاقِ
٢ - لم تدرِ ما تحتَ الضلوعِ وغرَّها
منّي تحمّلُ عشرتي وخلاقي

التخريج :

البيتان في الأغاني ١٣ / ٢٠٣ (ونسخت من كتاب ، قال : لما أسن غيلان وكثرت أسفاره ملته زوجته ، وتجنت عليه ، وأنكر أخلاقها ، فقال فيها ...) وهما في فرحة الأديب : ١٨٨ (قال ابن السيرافي ، قال أبو محجن قال الغندجاني : غلط ابن السيرافي في نسب هذا البيت (الأول) إلى أبي محجن ، وإنما غره أن قائل البيت ثقفي ، لكنه ليس بأبي محجن ، إنما هو غيلان بن سلمة الثقفي ، وهما بيتان ، والثاني .....

- ١٠ -

(الكامل)

ظلّتْ تَحيدُ من الدَّجاجِ وصوتِهِ وصريفِ بابٍ بالأبلّة يُغْلَقُ

التخريج :

المسالك والممالك لابن خرداذبة : ٧

- ١١ -

(البسيط)

١ - ولو يَرَاني أبوغيلانَ إذ حُسِرَتْ
عنّي الهمومُ بأمرٍ ماله طَبَقُ
٢ - لقال رُهْباً ورُغْباً يُجْمَعانِ مَعاً
غُنْمُ الحياةِ وهولُ النفسِ والشَّفَقُ
٣ - إمّا تُسِفُّ على مجدٍ ومكْرُمةٍ
أو إسوةٍ فيمن تُهْلكُ الورِقُ

التخريج :

تاريخ الطبري ٦ / ١٠٧ ، الأغاني ١٣ / ٢٠٦ (١ : ولو رآني) (الأمور) (إلى أمر) (٢ : رغب ورهب ... حب الحياة) (٣ : إما بقيت) وهي في كتاب «لطف التدبير» : ٢١٠ ، وفي الإصابة ٨ / ٦٤ رقم ٦٩١٨ (٢ : رغب ورهب أنت بينهما .. حب الحياة) (إما مشف ... يهلك) .

- ١٢ -

(الكامل)

١ - ومعرِّسٍ حين العشاء به
الحبسِ فالأنواءِ فالعقلُ
٢ - قد بتُّه وهناً وأرَّقني
ذئبُ الفلاةِ كأنه جذْلُ
٣ - فتركتُه يعوي بقفرته ولكل صاحب قفرةٍ شكْلُ
٤ - بتنوفةٍ جرداء يجزعُها لَحِبٌ يلوحُ كأنه سَحْلُ

التخريج :

الحيوان ١ / ٣٧٨ (العواء وما قيل من الشعر فيه) يجزعها : يقطعها .

- ١٣ -

(الكامل)

الجَدْيُ كالفرس الحصان شددتُه بالسَّرْجِ إلاّ أنه لا يَصْهلُ

التخريج :

محاضرات الأدباء ٤ / ٥٤٤ ، نسبه إلى ابن سلمة ، ولعله يقصد : غيلان (والبيت فيما جاء في وصف الملوين والسماء والنجوم) .

- ١٤ -

(الكامل)

١ - في الآلِ يخفضُها ويرفعُها رَيْعٌ كأنّ متونَه السحلُ
٢ - عَقْلاً ورَقْماً ثمّ أردفَه كللٌ على ألوانها الخَمْلُ
٣ - كدَمِ الرُّعافِ على مآزرها وكأنهنّ ضوامراً إجْلُ

التخريج :

الحيوان ٦ / ٣٣٥ (ولوع عتاق الطير بالحمرة) ، الأغاني ١٢ / ٤٣ ، اللسان ٩ / ٤٩٩ ، ١٣ / ٣٤٩ ، الإصابة ٨ / ٦٤ ، والأبيات في جمهرة أشعار العرب : ١٩٧ ضمن قصيدة للمسيب بن علس من المنتقيات ما عدا الثالث .

العقل : ثوب أحمر يجلل به الهودج ، والرقم : ضرب من البرود والكلل ، جمع كلة ، بالكسر : وهي من الستور ما خيط فصار كالبيت والخمل : الطنفسة وهي القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول ، ضوامر : جمع ضامرة وضامر ، وقد عني الإبل ، والإجل : بالكسر : القطيع من بقر الوحش .

- ١٥ -

(الوافر)

١ - حللنا الحَدَّ من تَلَعاتِ قيسٍ
بحيث يحل ذو الحسب الجسيمِ
٢ - وقد علمتْ قبائلُ جِذْمِ قيسٍ
وليس ذوو الجهالة كالعليمِ
٣ - بأنّا نصبحُ الأعداءَ قدماً
سجالَ الموتِ بالكاسِ الوخيمِ
٤ - وأنا نبتني شرفَ المعالي
وننعشُ عثرةَ المولى العديمِ
٥ - وأنّا لم نزلْ لجأً وكهفاً
كذاك الكهلُ منّا والفطيمُ

التخريج :

معجم البلدان ٤ / ١٢ (وقد افتخرت ثقيف بانها ملجأ الخائف بما يطول ذكره ويسئم قارئه ... وسنذكر في وج من القول والشعر ما نوفق له ويحسن ذكره) وفي البيت الخامس إقواء .

- ١٦ -

(الوافر)

وسربال مضاعفة دلاص قد أحرز شكَّها صنعُ التَّلامِ

التخريج :

اللسان ١٤ / ٣٣٣ (قال ابن بري : وقد جاء التلام بفتح التاء في شعر غيلان بن سلمة الثقفي) ، وانظر : رسالة التليمذ : ٢٢٤ (نوادر المخطوطات) وأنشده ابن بري في حاشية الصحاح . والتلام الصياغة .

- ١٧ -

(المنسرح)

١ - وليلة أرقتُ صحابك بالطفِّ وأخرى بجنب ذي حُسَمِ
٢ - فالجسرُ فالقصران فالنَّهر المُربَدُ بين النخيل والأجم
٣ - معانق الواسط المُقَدَّم أو أدنو من الأرض غيرَ مقتحم
٤ - أستعملُ العنسَ بالقيادِ إلي الآفاق أرجو نوافلَ الطُّعم

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٢٠٥ حدثني أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمرو الثقفي ، قال : خرجت مع كيسان بن أبي سليمان أسايره ، فأنشدني شعر غيلان بن سلمة ، ما أنشدني لغيره حتى صدرنا عن الأبلة ، ثم مر بالطف وهو يريد الطابق ، فأنشدني له ....

الطابق : نهر ببغداد ، الطف : مكان بالعراق قتل به الحسين ، ذو حسم : موضع الجسر : الموضع الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة ، والقصران : ناحيتان كبيرتان بالري ، الواسط : المقدم وأول الشئ ويقصد به قادمة الرحل ، العنس : الناقة الصلبة .

- ١٨ -

قال يرثي عامرا ابنه حين توفي بعمواس :

(الكامل)

١ - عيني تجودُ بدمعها الهتَّانِ
سحًا وتبكي فارسَ الفرسانِ
٢ - يا عامِ مَنْ للخيل لمَّا أحجمَتْ
عن شدَّة مرهوبة وطعانِ
٣ - لو أستطيعُ جعلت منِّي عامرا
بين الضُّلوع وكلُّ حيٍّ فانِ
٤ - ياعين بَكِّي ذا الحزامة عامرا
للخيل يومَ تواقُفٍ وطعانِ
٥ - وله بتثليثات شدَّةُ مُعْلَمٍ
منه وطعنةُ جابر بن سنانِ
٦ - فكأنَّه صافي الحديدة مِخْذَمٌ
مما يُخيِّر الفُرْس للباذانِ

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٢٠٢

المعلم : الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان في الحرب ، المخذم : القاطع ، يحير : يرد ويرجع ، الباذان : اسم الذين دخلوا حديثا في الإسلام .

- ١٩ -

(البسيط)

١ - إني امروٌ مِن إيادٍ غير مؤتشب
واري الزناد وقلْ قيسَ غيلانِ
٢ - هُمْ والدي ، وإليهم أنتمي صعدا
والحي قيس ، همْ صهري وجيراني

التخريج :

معجم ما استعجم ١ / ٧٩ .

- ٢٠ -

(البسيط)

١ - ودِّع بذمٍّ إذا ما حانَ رحلتُنا
أهلَ الحظائر من عوفٍ ودُهمانا
٢ - القائلين وقد حلَّت بساحتهم
جَسْرٌ تحسحس عن أولاد هِصَّانا
٣ - والقائلين وقد رابت وطابُهم
أسيفَ عوفٍ ترى أم سَيف غيلانا
٤ - أغنُوا الموالي عنَّا لا أبا لَكُم
إنَّا ستُغْنِي صريحَ القوم مَن كانا
٥ - لايمنع الحظرَ المظلومُ قُحْمَتَه
حتى يرى ... بالعين من كانا

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٢٠٣ (ونسخت من كتابه : أن بني عامر ابن ربيعة جمعوا جموعا كثيرة من أنفسهم وأحلافهم ، ثم ساروا إلى ثقيف بالطائف ، وكانت بنو نصر بن معاوية أحلافا لثقيف ، فلما بلغ ثقيفا مسير بني عامر استنجدوا ببني نصر ، فخرجت ثقيف إلى بني عامر ، وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة بن معتب ، فلقوهم وقاتلتهم ثقيف قتالا شديدا ، فانهزمت بنو عامر بن ربيعة ومن كان معهم وظهرت عليه ثقيف ، فاكثروا فيهم القتل ، فقال غيلان في ذلك ، ويذكر تخلف بني نصر عنهم .

هصان : قبيلة ، راب : خثر وفسد ، الوطاب : سقاء اللبن ، الصريح : الخالص النسب ، القحمة : الاقتحام في الشئ والمهلكة .

- ٢١ -

استشهد نافع بن سلمة الثقفي مع خالد بن الوليد بدومة الجندل ، فجزع عليه غيلان وكثر بكاؤه ، وقال يرثيه .. قال : وكثر بكاؤه عليه في ذلك ، فقال : والله لا تسمح عيني بمائها فاضن به على نافع ، فلما تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه ، فقال : بَلِيَ نافع ، وبَلِيَ الجزع ، وفَنِيَ وفَنِيت الدموع ، واللحاق به قريب .

(الكامل)

١ - ما بالُ عيني لا تُغمِّضُ ساعـةً
إلا اعترتنـي عَبْرةٌ تغشانـي

٢ - أرعَى نجوم الليل عندَ طُلوعها
وَهْنًا وَهنَّ مِـن الغُـروب دوانِ

٣ - يا نافعاً مَنْ للفوارس أحجمت
عن فارس يعلـو ذُرَى الأقـران

٤ - فلو استطعتُ جعلتُ منّي نافعا
بين اللُّهاةِ وبيـن عَكْدِ لسـانـي

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٢٠٨ ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ في الاستيعاب ١٠ / ٢٨٧ رقم ٢٥٩٤ (٣ : عن شدة مذكورة وطعانة (٤ : لو أستطيع .. وبين عقد) وفيه (قال : نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي استشهد نرثاه أبوه فمن قوله فيه في أبيات كثيرة يرثيه بها ، منها قوله) وهي في الإصابة ١٠ / ٣٣ رقم ٨٦٥٧ .

الوهن : نحو منتصف الليل أو بعده بساعة ، اللهاة : قطعة من اللحم مشرفة على الحلق ، والعكد : وسط الشيء .

- ٢٢ -

(الوافر)

١ - ألا يا أختَ خَثـعمَ خبِّرينـا
بأيِّ بلاء قـوم تفخـرينـا

٢ - جَلَبْنا الخيلَ من أكنافِ وَجٍّ
وليثٍ نحوكـم بالدّار عينـا

٣ - رأيناهنَّ مُعلمةً رَواحـا
يُقيتانِ الصباحَ ومعتدينـا

٤ - فأمست مُسْيَ خامسةٍ جميعا
تُضابعُ في القياد وقد وجينـا

٥ - وقد نظرت طوالعكم إلينـا
بأعينهم وحققنـا الظنـونـا

٦ - إلى رجراجةٍ في الدار تُغْشي
إذا استنَّتْ عيون الناظرينـا

٧ - تركن نساءكم في الدار نَوحا
يبكُّون البُعـولـة والبنينـا

٨ - جَمعتم جَمعكم فطلبتُونـا
فهل أُنبئتَ حالَ الطّالبينـا

التخريج :

الأغاني ١٣ / ٢٠٤ ونسخت من كتابه ، قال : جمعت خثعم جموعا من اليمن ، وغزت ثقيفا بالطائف ، فخرج إليهم غيلان بن سلمة في ثقيف ، فقاتلتهم قتالا شديدا فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر عدة منهم وقال في ذلك .. والسابق في اللسان ، مادة : أبي ١٨ / ٧ (يدعن ، يندمن .. والأبينا) والأبيات ٧ ، ٥ ، ٦ في شرح شواهد الإيضاح : ٥١١ (٧ : والأبينا) (٥ : وحققن الظنونا) (٦ : إذا استلمت وج : اسم واد بالطائف ، يقيتا يقال : أقات الشيء : قدر عليه ، والصباح : الغارة تفجأ صباحا ، ليث : واد بأسفل السراة ، مسي خامسة : في مساء الليلة الخامسة ، تضابع / تمد أضباعها في الجري ، المعلمة : المميزة ، المقود ، ما تقاد به الدابة ، وجين : حفين ووجعن ، الرجراجة : الكتيبة العظيمة ، تعشى : من العشاء وهو سوء البصر ، واستنت : أسرعت ، النوح : جمع نائحة .

- ٢٣ -

(المتقارب)

فلمّا تَبيَّنَ أصواتنا   بَكَيْنَ وفَدَّيْننا بالأَبينا

التخريج :

الإفصاح : ٣١١ ، الشارح يصف نساء سبين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن ، فبكين إليهم وفدينهم بآبائهن سرورا بهم - السيرافي في شرحه ، وقال سيبويه عقب روايته : «أنشدناه من نثق به وزعم أنه جاهلي» الكتاب ١٠١/٢ . واستشهد به ابن منظور ولم ينسبه أيضا ، وعنده (تعرفن) بدل (تبين) لسان العرب ١٨ / ٦ ، لكنه أورد شواهد أخرى منسوبة منها شاهد لناهض الكلابي وآخر لغيلان بن سلمة الثقفي .

- ٢٤ -

(الرجز)

وذكر قسوة أبيه على أبي رغال
نحن قِسيٌّ وقَسا أبونـا

التخريج :

الحيوان ٦ / ١٥٦ ، ويشير أنساب الأشراف ص ٣٦٧ إلى هذا المصدر ومعه غيره إلى ثقيف تقول حين حاصرها النبي صلى الله عليه وسلم :

نحن قِسيٌّ وقَسا أبونا   والله لانسلم ما حيينا
وقد بنينا حائطاً حصينا

المصادر

١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر - الطبعة الأولى المكتبة الأزهرية ١٩١٧م .

٢ - الإصابة في تمييز الصحابة - شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ط : المكتبة الأزهرية ١٩١٧م .

٣ - الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني- ط: دار الكتب المصرية.

٤ - الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب - أبو نصر الحسن بن أسد الفارقي - تحقيق : سيد الأفغاني - ط : مطبعة الرسالة - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٩٠م.

٥ – إنباه الرواة على أنباه النحاة– جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ط : دار الكتب المصرية ١٩٥٠م .

٦ – أنساب الأشراف – أحمد بن يحيى البلاذري – تحقيق : د . محمد حميد الله ذخائر العرب ٢٧ – ط: دار المعارف بمصر .

٧ – البخلاء – عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق : د . طه الحاجري – ذخائر العرب ٢٣ – ط : دار المعارف بمصر .

٨ – بهجة المجالس وأنس المجالس – يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري – تحقيق محمد مرسي الخولي – ط : الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٩ – البيان والتبين – عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق : عبدالسلام هارون – المكتبة التجارية – الطبعة الثالثة ١٩٦٨م .

١٠– تاريخ الطبري – أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – ذخائر العرب ٣٠ – ط : دار المعارف بمصر .

١١– تاريخ اليعقوبي – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر – ط : دار صادر – بيروت .

١٢– تهذيب الأسماء واللغات – أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي – ط : دار الكتب العلمية – بيروت .

١٣– جمهرة أشعار العرب – المنسوب إلى زيد محمد بن الخطاب القرشي – ط : دار صادر – بيروت ١٩٦٣م .

١٤– جمهرة أنساب العرب – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي – تحقيق : عبدالسلام هارون – ط : دار المعارف ١٩٦٢م .

١٥– جمهرة النسب – أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي – تحقيق : د . ناجي حسن – ط : مكتبة النهضة العربية – الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

١٦– حماسة البحتري – أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري – ط : دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

١٧– الحيوان – عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق : عبدالسلام هارون – ط : البابي الحلبي – الطبعة الثانية .

١٨– سمط اللآلي في شرح أمالي القالي– أبو عبيد البكري– تحقيق : عبدالعزيز الميمني – ط : دار الحديث للطباعة و النشر ١٩٨٤م .

١٩– شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي – عبدالله بن بري – تحقيق : عيد مصطفى درويش – ط : الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٨٥م .

٢٠– شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ط : دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣م .

٢١– صبحي الأعشى–أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي– ط : دار الكتب المصرية .

٢٢– طبقات فحول الشعراء – ابن سلام الجمحي – تحقيق : محمود محمد شاكر – ذخائر العرب ٧ – ط : دار المعارف بمصر .

٢٣– الطبقات الكبرى – محمد بن سعد – ط : دار صادر – بيروت .

٢٤– عيون الأخبار – أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة : دار الكتب المصرية .

٢٥– الفائق في غريب الحديث – جار الله محمود بن عمر الزمخشري – تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط : البابي الحلبي – الطبعة الثانية .

٢٦– فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه – أبو محمد الأعرابي الغندجاني – تحقيق : محمد علي سلطان – ط: دار النبراس– دمشق.

٢٧– الفهرست – أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم – ط : المكتبة التجارية .

٢٨– الكامل في التاريخ – عز الدين بن الأثير – ط : دار صادر – بيروت .

٢٩– لحن العامة – أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي – تحقيق : عبدالعزيز مطر – ط : مكتبة الأمل – الكويت – ١٩٦٨م .

٣٠– لسان العرب – جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور– ط : مطبعة بولاق .

٣١– لطف التدبير – محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي – ط : دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٢– محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء – أبو القاسم حسين الراغب الأصفهاني ط: دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦١م .

٣٣– المحبر – أبو جعفر محمد بن حبيب – ط : دار الآفاق الجديدة – بيروت .

٣٤– المسالك والممالك – أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خرداذبة – ط : المثنى ببغداد .

٣٥– معجم البلدان – ياقوت الحموي – ط : دار صادر – بيروت ١٩٧٧م .

٣٦– معجم قبائل العرب – عمر رضا كحالة – ط : دار العلم للملايين – بيروت ١٩٦٨م .

٣٧– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع – أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري – تحقيق : مصطفى السقا – ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧م .

٣٨– الموازنة – أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي– ط : المكتبة التجارية – الطبعة الثالثة ١٩٥٩م .

٣٩– نوادر المخطوطات – تحقيق : عبدالسلام هارون – ط : مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

الهنود الحمر

لعلي عبدالواحد وافي

عبدالعزيز الرفاعي

وافي ، علي عبدالواحد / الهنود الحمر .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٠م ، ١٥٠ص (اقرأ) .

ما الذي جعلني أقرأ هذا الكتيب اليوم ؟ .. بل بالحريّ ، ما الذي جعلني أعود إلى قراءته مرة ثانية .. بعد أن فعلت ذلك في قديم الزمان ، وغابر الحدثان ؟ ..

لا يكاد يوجد قارئ واحد لا يعرف شيئاً عن الهنود الحمر .. فلم تترك السينما الأمريكية يوماً دون أن تصور فيلما عنهم ، أو تتحدث عن ديارهم وعاداتهم ، إما تنديداً ، أو إشادة .. أو تعريفاً ، قد يشاب بهذا أو ذاك ..

ومع ذلك .. فقد شعرت في شهر ذي الحجة ١٤١١هـ ، أنني في حاجة ملحة ، إلى أن أقرأ شيئاً عن هؤلاء القوم .. فلماذا ؟

لقد كنت في ذلك التاريخ في كندا .. وبالذات في مدينة (وينبك) في الشمال .. وهي منطقة تسكنها تلك البقايا من قبائل الهنود الحمر ، وكان من المعتاد أن أراهم في شوارع المدينة ، بشعورهم المرسلة ، وهيئتهم المميزة .. وسحنهم التي لا تكاد تخفى على عين فاحصة .. وهي سحن لا تحجب ما وراءها من مآسي القهر والغبْن ..

وقد أتيح لي ذات يوم ، أن أزور منطقة قيل لنا : إنهم يسكنونها أو أنّ بها نماذج بشرية منهم ، يقدمونهم للفرجة .. فيما يشبه المتحف .. ولابد من تذاكر لكي تشهد هذا العرض البشري الذي لا يخفى ما فيه من عناصر التمثيل والإعداد ..

مهما يكن الأمر .. فقد دخلت مع المتفرجين .. ورأيت قصراً قيل إنه قصر حاكم الهنود .. فيه ملامح من حياة علية القوم منهم . وهو قصر مرتب .. يقترب من مرافق القصور المتحضرة ، إلا من خصوصيات تمثل جوانب من حيواتهم ..

كما رأيت تلك الخيام المخروطية الشكل ، التي تتميز بها البيوت المتنقلة للهنود .. وقد أحاط بها نماذج بشرية منهم ، أو هكذا يزعمون ، يشتغلون ببعض ما يشتغل به الهنود رجالاً كانوا أو نساء ..

كانت المنطقة رائعة الجمال ، سهول خضراء جميلة ، ورواب مخملية سندسية ، وأنهار متدفقة غزيرة الماء .. أما الأمطار فلم تكن تنقطع ..

ومن المعروف أن الهنود كانوا يسكنون دياراً خصبة بين هذه المروج ، تعمر بالصيد والغابات ، والأسماك ، والجاموس البريّ .

وتاقت نفسي أن أقرأ ، أو أن استعيد شيئاً عن حياة هؤلاء القوم .. وقد أسعدني ، حينما عدت في أوائل المحرم ١٤١٢هـ ، إلى منتجعي المفضل في الأندلس ، أن أجد بين كتب قليلة ، كتيباً عنهم ، صدر في سلسلة اقرأ في مارس سنة ١٩٥٠م .. أي قبل ما ينوف عن أربعين عاماً .. وعددت هذه المصادفة من نعم الله عليّ ، وهي كثيرة لا تحصى ، ولا يكافئها شكر مهما بلغ كثرة أو بلاغة .. ولم أكد أتصفح الكتيب ، حتى اتضح لي ، أنني كنت قرأته في حينه وأن على بعض صفحاته تعليقات لي هنا أو هناك .. ولكن السنين التي تراكمت أنستني أمره .. وما أكثر ما أنستني .. !

وقرأت الكتيب من جديد ، وكأني لم أقرأ منه حرفاً من قبل .

يقع الكتيب في حوالي مائة وخمسين صفحة من حجم الجيب ، وهو الحجم المعروف عن سلسلة اقرأ .. وتشتمل صفحاته على صور توضيحية تعين على تصور حياة الهنود الحمر ..

أما المؤلف ، فهو الأستاذ الجليل الدكتور علي عبدالواحد وافي ، وكفاك بهذا الاسم دلالة على الدقة والشمول ونصاعة اللغة ، وجمال العرض.. وغزارة الثقافة !

وإذا كانت المصادفة - أو هكذا يبدو الأمر لفهمي القاصر - هي التي ساقتني إلى مساكن الهنود الحمر ، ثم ساقت إليّ هذا الكتيب عنهم لأجدد العهد به ، فإن هناك إشارة تربط بين هذا الموضوع ، وموضوع الظرف الحالي الحرج الذي تمر به الأمة العربية ، لاستغلاله في تسوية قضيتنا الكبرى ، القضية العتيقة العتيدة .. أعني قضية فلسطين .. فما أقرب الشبه بين الهنود الحمر أصحاب الديار الأصليين في القارة الأمريكية ، وبين العرب في فلسطين وأجزاء من سورية ولبنان .. ولابد أن أقول إن القياس مع الفارق حقاً بين الهنود الحمر القبائل البدائية المتبدية ، وبين سكان فلسطين والجولان ، وجنوبي لبنان ، ولكن هذا الفرق لا يبدو واضحاً إلا في أعيننا نحن معشر العرب ، أما عند المعتدين الغاصبين ومؤيديهم ، فإن النظرة تختلف .. أو أنهم بمعنى آخر يريدونها مختلفة ، فقد زعموا لأنفسهم ، وللقوى المسيطرة ، وللعالم ، أن أصحاب هذه البلاد الأصليين ، ليسوا إلا أناساً متخلفين في معزل عن الحضارة الحديثة .. ولا يستحقون هذه الديار الخصبة

التي يسكنونها ، وأن شراذم اليهود ، هم أولى بها ، وأحق بعمرانها ، وتطويرها .. وهذا المنطق ذاته هو الذي كان المستند الأول في قضية الاستيلاء على ديار الهنود الحمر ، وتشريدهم عنها ، ومن هنا جاء تطابق الشبه ، بغض النظر عن وجهة نظرنا نحن للأمور !

وإذا كان الاستيلاء على ديار الهنود الحمر ، قد بدأ متدرجاً وعلى مراحل .. فكذلك الأمر بالنسبة للديار العربية ، التي بدأ الأمر فيها تدريجياً .. ثم أخذت الرقعة تتسع .. ولا تزال .. ولم يُخفِ الملتهم الجشع شهيته .. ولا أطماعه .. فأعلن الأمر غير هيّاب ولا وجل .. وإن كان يحسن المواربة وأسباب الخداع ، ولكنه الخداع المكشوف لكل ذي بصيرة ..

* * *

مؤلف الكتاب أو معدّه ، أستاذ جليل هو الدكتور علي عبدالواحد وافي ، وهو رجل متعدد المواهب ، كاتب ، وأديب ، ومحقق ، ما عالج أمراً إلا بلغ فيه الذروة أو شارفها ..

وبالرغم من أنه وضع هذا الكتيب منذ أكثر من أربعين سنة ، إلا أنه ينمّ بوضوح عن سعة اطلاعه ، وسلاسة أسلوبه ، منذ ذلك الحين مع تملكه ناصية الكلمة العربية الناصعة ، المشبعة بالثقافة الإسلامية القرآنية ، المرتبطة بجذور الأساليب العربية الفصحى ، أي أنه ينتمي إلى ما يصح أن يسمى جيل الفصحى ، وهم أولئك الرواد العمالقة الذين بنوا أسسهم الثقافية على أعمدة علوم العربية ، ثم انطلقوا إلى الثقافة الغربية ، ليجمعوا بين الحسنيين فلم تتسرب إلى أساليبهم عجمة ولا ركاكة .

ولا بأس من ضرب بعض الأمثلة ، لإحاطته بلغة الفصحى .. فهو حينما يريد أن يتحدث عن صيد الهنود الحمر للخيول البرية ، يقول : «فيطول توقف الحصان بين كل شوط وآخر ، ويرتفع قبعه ونحيطه ..» ولا يضن على قارئه بتفسير القبع والنحيط ، فالقبع هو صوت يردده الفرس من منخريه إلى الحلق .. والنحيط : صوت الفرس عند الإعياء ، ويكون من الصدر إلى الحلق» .. وهكذا نراه يحيي الاصطلاح العربي ويؤثره ويفسره .. (ص ٧١) .

ويقول في موضع آخر (ص٨٧) عن استفادتهم من لحم الجاموس البري : «فمن لحمه يتألف أهم قسم من غذائهم الحيواني ، وكانوا يأكلونه طازجاً سليقاً ، وشواء وحنيذاً ، ويحفظونه قديداً ووشيقاً ..» .

ويفسر الحنيذ ، بأنه الشواء ، تجعل فوقه الحجارة محماة لتنضجه ويستشهد بالآية الكريمة (فما لبث أنْ جاء بعجل حنيذٍ) . والقديد « اللحم المشرح طولاً المحفوظ . أما الوشيق ، فهو اللحم يُغلى ، ثم يقدد ويحمل في الأسفار .» .

ولا أريد أن أورد المزيد من الشواهد على علوّ لغته ، وتمكنه من اصطلاحاتها . ولا يحسبن أحد أن ذلك من التقعُّر في شيء ، وإنما هو إحياء للغة القرآن .. وتذكير بها ..

* * *

وبعد .. فقد علقت على الكتيِّب في قراءاتي الثانية له ، بعض التعليقات .. أوردها ، بل أهمها ، فيما يلي :

١ - يذهب المؤلف في ص ٧٩ و ٨٠ إلى القول بأن فروسية الهنود الحمر ، نتيجة وراثية لآباء بعيدين كانوا يحسنونها .. ولا أظن الأمر كذلك ، إنما هي عندي مهارة اكتسبوها نتيجة الحاجة والتمرن المستمر ، والتفرغ .. ولو ذهبنا إلى صحة ما قاله المؤلف ، أفليس من حقنا أن نتساءل : فمن أين لأولئك الآباء تلك الوراثة ؟

٢ - تحدث في ص ١٠٤ عن انقراض الجاموس البري ، أو وُشك انقراضه وأثر ذلك على الهنود الحمر ، فقال : «وبانقراض هذا الحيوان انقرض الهنود الحمر أنفسهم أو أوشكوا على الانقراض ، وإننا لنتفقدهم اليوم ، فلا نعثر منهم إلا على فلول ضئيلة مبعثرة هنا وهناك ؛ يخبطون في بعض المناطق المنعزلة عن العمران الحديث ، قد تقوّض بانقراض حيوانهم العزيز على أيدي الأوربيين أهم دعائم حياتهم ، وانتزع البيض منهم أراضيهم ، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ؛ وسلطوا عليهم عوامل الهلاك ، ودبروا لإبادتهم خططاً مجرمة أثيمة ، ولم يتحرجوا أن يلهوا بصيدهم ، كما كانوا يلهون بصيد الجاموس الوحشي ، فتجرعوا غصص الجوع والخوف وأحاط بهم الموت من كل مكان ، وأخذوا يسيرون بخطوات حثيثة نحو الفناء ، وهكذا لا يدخل الأوربيون بلداً إلا أفسدوه ...»

لقد أوردت هذه الفقرة .. لمجرد الاعتبار .

٣ - في خلال حديثه عن بعض قبائل الهنود الحمر ، استوقف نظري اسم قبيلة من قبائلهم هي Arapaho ، فهذا الاسم يقترب إلى كلمة (عرب) ، فهل انحدروا من أصل عربي .. ؟ من يدري ؟

٤ - وكلمة أخرى .. ولكن هذه استوقفت نظر المؤلف نفسه، هي كلمة (الأباش) ، والتي تطلق على قبيلة هندية شديدة المراس ، مرهوبة الجانب لفظاظتها ، ويظن (ص ١١٧) أن الإسبانيين هم الذين أطلقوا هذا الاسم عليهم، ويقصدون (أوشاب) الناس وسفلتهم ومجرميهم، وأن الكلمة انتشرت بمدلولها هذا في لغات الأمم الأوربية جميعاً .

ومن المعروف أننا نستعمل في عاميتنا كلمة (أوباش) ونقصد فعلاً (الأوشاب) فلعل في الأمر قلبا .

٥ - ذكّرني ما كتبه في ص ١٢٠ عن رقصة الحرب عند قبائل السيو Les Sioux من الالتفاف حول موقد

ملتهب الجمر ، ينحنون نحوه ثم ينتصبون - ذكرني هذا بما كان يفعله أولاد الحارة في مكة ، حينما يلعبون المزمار .. فله رقصة حول النار ، الموقدة على الأرض ، يتحلقون حول لهيبها ، ويأخذون في الرقص ، و (المقاشعة) ، وهي ما يسميها المصريون (التحطيب) ، وكثيراً ما تكون بين خصمين لدودين .. وينتج عنها جراح وخصومات .. وعداوات قد لا تنطفئ . ولا شك أن مثل هذه العادات تنتقل بين شعوب الأرض ، كما ينتقل الهواء فيما بينها .

٦ - ومن أعجب ما قرأت في هذا الكتيب ، ما جاء في ص ١٣١ وما بعدها عن فظائع قبيلة (الأباش) .. التي كانت تعهد لنسائها بأبشع فظائعها ، إذ «كن يتفنن في تعذيب الأسرى ، وأنهن يقمن بذلك على أعنف وجه ، وأشده قسوة ، وأدناه إلى طبائع التوحش والافتراس» وهذه عبارات المؤلف .. ترى كيف يقوم بذلك الجنس اللطيف ؟ !

٧ - تمكُّنُ المؤلف من لغته العربية ، وتاريخه ، يجعله يربط ، في بعض الأحايين ، بين ما يورده من معلومات عن الهنود الحمر ، وبين ما يقابله في التاريخ العربي ، أو في اللغة العربية ، وقد مرَّ بنا مثل من ربطه اللغوي في كلمة (الأباش) و (الأوشاب) .. أما ربطه التاريخي فمثله ما جاء في ص ١٣٨ ، عن جزِّ ناصية الأسير ، متى أطلق بغير فداء .. فإن ذلك أو ما يشبهه من تقاليد الهنود الحمر ، أو بالحريِّ بعضهم. وهو ما كان متبعاً في الجاهلية عند العرب ، واستشهد بقول حسان بن ثابت :

كم من أسير فككْناهُ بلا ثمنٍ وجزِّ ناصيةٍ كنّا مواليها

٨ - توقفت في الفقرة (٣) عند مسمى قبيلة Arapaho ، وقلت لعلها من كلمة (عرب) .. وهنا أتوقف أيضا عند مسمى قبيلة أخرى ، هي التي تطلق على عشائر Les Iroquois (الإيروكيين) فهل يكون هؤلاء من أصل عراقي .. ؟ إنه مجرد ظن .. قد يقود إلى الحقيقة ..

٩ - وشيء آخر ، يربط ما بين الحياة البدوية التي تعيشها عشائر الهنود الحمر ، وبين ملامح من حياة البدو في الجزيرة العربية ، وهو تدخين الطباق ، أو التبغ عن طريق قصبة طويلة ، تنتهي بوعاء صغير يوضع فيه الطباق ، وعليه جمرة نار .. وهو ما يسمى عند باديتنا في الحجاز (الغليون) .. ويذهب المؤلف في (ص ١٤٧) أن العالم كله أخذ عادة تدخين الطباق ذاتها من الهنود الحمر ، وأنها لم تكن معروفة قبل كشف الدنيا الجديدة ..

وبعد ، فهذا بعض ما عنّ لي تعليقه على هذا الكتيب الصغير المفيد .

الأندلس - سهيل ٨ / ٢ / ١٤١٢هـ .

المراجعات

أبو الفضل الوليد
الشاعر المضيّع
لوليد مشوّح
عبداللطيف الأرناؤوط

مشوّح، وليد / أبو الفضل الوليد: *الشاعر المضيّع*.- دمشق.- مؤسسة الوحدة، [١٤١١هـ، ١٩٩١م]، ٤٤٠ ص.

نادراً ما تقع عين القارئ في كتب الأدب المهجري على نصوص لأبي الفضل الوليد، وهي أكثر ضناً بالحديث عن أدبه وحياته، مع أن ماورد في هذه الدراسات من شعره يكشف عن صدق وجداني لديه وعقيدة صافية، وحس قومي عربي أصيل، ومتانة في النسج يتميز بها، وهكذا يجيء كتاب الأديب وليد مشوّح الذي صدر حديثاً ليسد فراغاً ملحوظاً في مكتبة الأدب المهجري وليلقي أضواء على حياة هذا الشاعر وأدبه طالما تاق إليها المتتبع.

ولقد عكف مؤلف الكتاب على عدة مصادر يختار منها بصبر وجلد كل ما يتصل بحياة أبي الفضل وأدبه، وأسعفه البحث إلى التمهيد لترجمة هذا الأديب بلمحة شاملة عن الأدب المهجري شملت الباب الأول من الكتاب، في ثلاثة فصول، تناول في أولها الفكر السياسي الذي كون أدب المهاجر، وفي الفصل الثاني تناول التيارات السياسية للوعي القومي التي برزت في الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر، وفي الفصل الثالث وازن بين هجرة المغتربين السوريين واللبنانيين إلى بلاد المهاجر وما أفرزته من أدب، وهجرة العرب الأولى إلى الأندلس، وما أبدعت هذه الهجرة من أدب جديد كان وليد الظروف الخاصة في بلاد المغترب. وفي الباب الثاني من الكتاب عرض المؤلف حياة الوليد وهجرته ومؤلفاته، وحلل إبداعه الأدبي شعره ونثره، ووازن تجربته الشعرية بمن عاصره من الرواد أو سبقه من شعراء المغترب، ثم ختم الباب الثاني بدراسته لأسلوبه.

وتحتل المقدمة التي تبحث في أدب المهجر ١٨٢ صفحة، وتتناول الصفحات الباقية ترجمة الشاعر ودراسة أدبه.

وفيما يلي إلمامة بما ورد في الكتاب حول أدب الوليد والظروف التي نشأ فيها:

أ - المكونات الأساسية لأدب المهاجر:

لم تكن هجرة الأدباء إلى الأمريكتين جديدة على التاريخ العربي، فقد ألف الإنسان العربي الاغتراب وعبر عن مشاعر الفراق في مقطوعات أدبية رائعة، وقد جاءت هجرة المغتربين في القرن التاسع عشر ثمرة طموح إلى سبل معاشية أفضل، ورفضاً للواقع السياسي من قبل الدولة، وسوء الأوضاع الاقتصادية، ويبدو أن المغتربين الذين اتجهوا إلى أمريكا الشمالية كانوا أحسن حالاً، وجاءت هجرتهم في رأي المؤلف نتيجة احتضان الجمعيات السياسية والدينية لهم قبل هجرتهم، وكانوا من الأسر الكبيرة في الوطن الأم، في حين أن أمريكا الجنوبية استقبلت الفقراء الذين هاجروا لظروف اقتصادية، ويبدو أن حوادث عام ١٨٦٠م في لبنان ودمشق التي أجج نارها الاستعمار والإقطاع كانت من الدوافع المباشرة للهجرة. وقد عانى المهاجرون صنوف الشظف وقسوة العيش والاحتقار والتفرقة العنصرية، فلم تكن حياتهم هناءة ولا تفتحت لهم كنوز المال كما كانوا يتصورون. وجاء الأدب المهجري ثمرة ظروف المغتربين الاجتماعية والاقتصادية فكان بذرة غريبة في تربة غربية، وفي ظل ظروف حياتية مغايرة لحياة الإنسان العربي في الوطن الأم، وتؤكد الدراسات إنسانية أدب الشمال المهجري وقومية أدب الجنوب، والواقع أن أدب المهاجر الشمالية فيه تياران واضحان، أحدهما عربي الأرومة والتوجّه يمثله الريحاني، والآخر يتكئ على الثقافة الغربية يمثله جبران. وهو أدب يمتاز عن أدب المهاجر الجنوبية بأنه نشأ في جو حضارة وثقافة أكثر رقياً.

ويرى المؤلف أن الهجرة إلى الشمال لم تكن عفوية، فقد خططت لها في رأيه البعثات الاستعمارية لأغراض خاصة ثقافية وسياسية، لكنه لا يعزز هذا الرأي بأدلة وشواهد ثابتة ويحدد الباحث لأدب المهاجر الشمالية ثمانية طوابع هي: الطابع التجديدي والعاطفي والصوفي والتأملي والأخلاقي، والواقعي، والإنساني والاجتماعي، ويدحض رسالة الأدب المهجري والقومي اللغوية في أمريكا الشمالية، ذلك أن التجديد الأدبي الذي نادوا به إنما هو امتداد لدعوات مغرضة بدأت مع الشعوبيين، وكان هدفها مكافحة الفكر العربي الإسلامي بشتى الوسائل، وهو يربط الدعوات التي انطلقت في لبنان ومصر حول إلغاء

قواعد النحو واستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي واعتماد العامية الخ .. بدعوات المهجريين إلى تجديد القيم الأدبية .

ب - التيارات السياسية في الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين

مر المؤلف مروراً سريعاً على بروز الفكرة القومية عند العربي والتيارات السياسية المختلفة التي ظهرت في العهد العثماني ، وفترة الانتداب ونشوء الفكر القومي العلماني في الوطن العربي ، وما يهمنا هو موقف المهجريين من هذا الفكر القومي الذي انتظم عندهم في ثلاثة تيارات سياسية تبلورت أخيراً في اتجاهين قوميين : اتجاه عربي علماني ، واتجاه عروبي ديني ، ولم يكن أدباء المهاجر بمعزل عن التيارات السياسية القومية في الشرق ، بل أسهم بعضهم في خلقها والترويج لها ، وكان مهجريو الشمال أقرب إلى الدعوة القومية العلمانية ، أما أدباء الجنوب فقد نادت فئة كبيرة منهم بقومية عربية تستقي قيمها ومبادئها من الإسلام كفكر عقائدي .

وفي الفصل الثالث من الباب الأول يستعرض المؤلف الهجرة العربية للأندلس وما أفرزته من أدب اتسم بخصائص مميزة ، ثم يوازن بين أدب المهجريين والأدب الأندلسي من حيث تكونهما تاريخياً ، فيشير إلى نشأة الأدبين في ظروف متماثلة ، كلاهما ثمرة الاغتراب ، وكلاهما حمل معتقدات العرب وقيمهم إلى الأرض الجديدة ، أرض المغترب ، أما من حيث الخصائص فكلاهما جدد في مضامين الشعر وأساليبه ، وبرزت في كل منهما سمة الحنين ، وأما ما يفرق بينهما فهو أن الشعر الأندلسي شعر فروسية ، أما الشعر المهجري فشعر معتقدات .

ولا تعنينا تلك المقدمة التي أفاض الكاتب في عرضها عن الأدب المهجري إلا بمقدار ما تلقي أضواء على حياة صاحب الترجمة «أبو الفضل الوليد بن عبدالله» الذي استعرض الكاتب حياته في الباب الثاني من الكتاب .

ا - نشأته ومؤلفاته :

ولد أبو الفضل الوليد بن عبدالله سنة ١٨٨٩م في قرية (قرنة الحمراء) من قاطع المتن بلبنان ، واسمه الحقيقي (إلياس ابن عبدالله بن فرح بن طعمة) ، وعرف بذكائه منذ الصغر ، تابع تحصيله في مدرسة القرية الابتدائية . ثم في مدرسة قرية (عين طورة) ، وكان والده من هواة العلم ، فأرسل ابنه إلى مدرسة الحكمة في مدينة بيروت ، وكانت معروفة بثقافتها العربية ، فتخرج فيها بعد ثلاثة أعوام بتفوق ، وكان مولعاً منذ صغره بنظم الشعر وحب الأدب ، وعزف عن الوظيفة ، وتفرغ وهو في التاسعة عشرة من عمره لكتابة الروايات التمثيلية المقتبسة من التاريخ العربي ، فوضع ثلاث روايات ، كل واحدة ذات خمسة فصول هي : ١ - أسرار بغداد ٢ - نكبة البرامكة ٣ - أحمد وولادة عن الشاعر ابن زيدون .

وترجم عن الفرنسية بعض قصائد لا مارتين ودي موسيه والكوميديا الإلهية . وعرب (أحلام العذارى) و (الحب آخر مرة) و (بعثناه خاطباً فتزوج) لألفريد دي موسيه ، ونظم شعراً نشيد الأنشاد لسليمان ، وقدم له بمقدمة بديعة . وقد ضاعت أصول هذه الأعمال الأخيرة في رحلة قام بها الوليد فكانت خسارة للأدب .

وحاول في صيف سنة ١٩٠٧م أن يخرج روايته (أحمد وولادة) تمثيلاً ، فلقي صعوبات ومعارضات من أهله والسلطة ، لكنه أصر على ممارسة العمل المسرحي ، حتى نجح في مسعاه ، فهيأ مسرحاً من أجمل المسارح وجهزه تجهيزاً حسناً ، وأقبل الناس عليه أيما إقبال وقد شاقهم وراعهم حسن الموضوع وقوة السبك والإخراج .

٢ - خلقه :

أما من خلقه فكان على حد تعبير مارون عبود " منجهياً أرستقراطي الطلعة ، شديد الاعتداد بذاته " ولاغرو فهو ينحدر من بيتين كبيرين من بيوت الوجاهة في لبنان ، أباً وأماً ، وقد زهت به أندية اللهو والسمر ، وأثر عنه طلاوة الحديث وعذوبة المنطق وحلاوة الإنشاء ، والإيمان بالعروبة ، وحب البحث عن الحقيقة ، مع الإقدام والجرأة إلى حد الرعونة .

٣ - رحلاته :

في عام ١٩٠٨م قرر أبو الفضل السفر إلى الأرجنتين ، فأقام فيها سنتين متجولاً ، ثم غادرها إلى البرازيل مروراً بالأرغواي. فأقام في البرازيل اثنتي عشرة سنة ، متخذاً من عاصمتها مقراً له ، ونشر منذ عام ١٩١٦م مقالاته وقصصه في صحفها ، فنالت رواجاً ، ولما قرر العودة إلى وطنه عام ١٩١٤م منعه منها قيام الحرب العالمية الأولى ، فظل مغترباً إلى انتهائها ، ولم يكن الدافع لهجرته العامل المادي ، وإنما هاجر لأسباب سياسية واجتماعية تخالجها أسباب شخصية ذاتية على مايبدو ، منها ماركب في نفسه من طموح وحب للمغامرة .

٤ - أدبه في المغترب :

إن إقبال الناس على كتابات أبي الفضل في البرازيل شجعه على إصدار جريدة عنوانها (الحمراء) تيمناً بحمراء الأندلس ، أو إشارة إلى قريته قرنة الحمراء عام ١٩١٣م ، واستمرت في الصدور حتى عام ١٩١٧م بعد أن نالت شهرة واسعة ، وكانت منبراً لمقالاته القومية وقصائده الوطنية

اللاهبة ، التي ضمنها الكثير من التحسر والتفجع لحال قومه في الحرب العالمية الأولى .

وقد امتاز إلى جانب موهبته الشعرية والأدبية ببراعة الإلقاء والقدرة الخطابية المؤثرة واعتزاز بشعره ونتاجه ، فقد اختار له مرة (توفيق ضعون) أبياتاً نشرها في جريدته ، فارسل إليه معاتباً لأنه اختار واصطفى من القصيدة فشوهها لأنها في نظره كل لا يتجزأ ، وكتب له يقول : فعلام قصصت ذيلي ومددت حبلي !

كتب الوليد في مختلف أغراض الشعر ، ولكنه كان أكثر إبداعاً في الشعر القومي ، وكان شعره بعد إسلامه أمتن وأكثر قوة ، ينبع من وجدانه المتصوف الزاهد .

طبع في البرازيل أربعة كتب من شعره هي : (الغربيات) (الأنفاس الملهبة) (رياحين الأرواح) (القصائد) ثم ألحق بها ديوانه (نفخات الصور) ولما يبلغ الثلاثين من عمره ! حيث انقطع عن نظم الشعر بعد هذه السن . أما عن مذهبه الشعري فهو يري الشعر سليقة وفطرة لا صناعة وفكرة ، طويل النفس كابن الرومي ، شامخ الاعتزاز بذاته كالمتنبي ، كثير الشعور بالغربة والتفرد كأبي فراس ، غزل رقيق كابن زيدون ، نقي اللفظة مثل شعراء العرب الأنقياء .

أما شعره القومي فخطابي مجلجل طويل النفس ، وهو ترجمان أمين لقوله المشهور : (نشأت على حب العروبة منذ طفولتي ، وعرفتها صبياً وفتى ، فلن أنكرها كهلاً وشيخاً ، ذلك الحي كان شعلة فاصبح ناراً ومناراً . ولها أحيا ولأجلها أموت ، إن لي منها قوة في الحياة وبعد الموت خلوداً) . وللشاعر أربعة كتب في النثر هي : (أحاديث المجد والوجد) مجموعة حكايات مستوحاة من التاريخ العربي ، وكتاب (القضيتين) يتناول فيه السياستين الشرقية والغربية ، وكتاب (التسريح والتصريح) وهو دفاع عن العربية ورد على دعاة العامية ، وكتاب (المالك) وفيه موضوعات علمية وفنية عرفت بأسلوب فلسفي يستند إلى نظريات علم النفس .

٥ - شخصيته الأدبية والفكرية :

مرّ الوليد في حياته بمرحلتين : مرحلة الشباب ، وفيها هيأ نفسه لبلوغ المجد الأدبي ، وانكب على التصنيف والتأليف والترجمة ، ثم هاجر مغامراً فغرق في ضياع الحضارة ، ولم يجد في الوطن الجديد ما يروي ظمأه على عالم الروح ، فلم يزده الإغراق في مباذل المدنية الغربية والنهل منها إلا ظمأً وحرماناً :

ألا رب ليل بالقمار قطعته
فأصبحت منه فاقداً متفقدا
بديباجة خضراء بعت سعادتي
ونمت على السوداء حيران موحدا
كتبت على قبر المقامر آيتي
لقد عاش ملحوداً وقد مات ملحدا
وعوني أنم في القبر نومة ماجد
فيسكت هذا القلب أو يسكت العدا

في هذه المرحلة كان جهده البحث عن ذاته الضائعة ، وفي هذه الفترة بدت في حياته إرهاصات تنبئ بتحول كبير في ممارساته ومجرى سلوكه ، فلا عجب أن يسمي ديوانه (نفخات الصور) وكأنه يستعد لقيامة جديدة . وفي ختام هذه المرحلة يعلن الشاعر أنه «تطهر من العجمتين : عجمة اللسان وعجمة القلب» ويشهر إسلامه ، ويتجه إلى الكتابات النثرية .

٦ - عروبته :

لقد أجمع النقاد ودارسو الأدب المهجري على إيمان الوليد بالعروبة منذ مطلع حياته ، فهو يؤمن بها إيماناً محدوداً ويسلك بموجبها فكراً ومذهباً وعقيدة ، سخر قلمه لنشر قيم الأجداد في قصصه ومسرحياته ، ولم يتنكر لها طوال حياته ، وحن إليها مغترباً :

وطن لدى ذكراه أبكي يائساً
من مودة ويدي على أحشائي
وأحب أن أمضي إليه محولاً
وجهي فقي أرض الشام رجائي
فاحمل إلى لبنان يانفس الصبا
زفرات من أضناه طول ثنائي
وعلى ربى بيروت ألق تحية
فهناك أذكر وقفتي ورجائي
وعلى دمشق ونهرها وجنانها
وعلى حمى العربية العرباء

وهو يحن إلى وحدة العرب ويجد فيها خلاصهم :

إلى كل شعب فيه عرق من العرب
كتبت وهذا الشعب أحببته شعبي
تفرقت الأقوام والأصل واحد
فحبا بجمع الشمل يجمعهم قلبي
نعم موطني لبنان لكن مولدي
به عربي كالولي من السحب
فلا قوم إلا العرب لي وأنا لهم
على البؤس والنعماء والسلم والحرب

وهو يحث العرب على النهوض من كبوتهم متأثراً باليازجي وينكر تجزؤهم بين شرق ومغرب ، ويدعوهم إلى الثورة وتحطيم نير العبودية والثأر لكرامتهم المهدورة :

سلام أيها العرب الكرام وجاد ربوع قطركم الغمام
لقد كثرت من العرب الضحايا ولم يهتز في الغمد الحسام

وحتام المخافة من علوج لهم ذم وليس لهم ذمام

لقد جاء إسلامه نتيجة إيمان بأن الإسلام والعروبة صنوان لا ينفصمان ، وبدل اسمه فاختار اسم " أبو الفضل الوليد بن عبدالله بن طعمة " وغيره رسمياً في سجلات الحكومة البرازيلية .

٧ - وفاته :

في عام ١٩٢٢م عاد الشاعر إلى وطنه فعرّج في طريقه على الجزائر وتونس ، وبعد إقامة قصيرة في وطنه الأصلي ارتحل إلى مصر فاحتفى به أهل العلم والسياسة فيها ، وكان مرشحاً ليشغل رتبة سفير للعربية في باريس ، فحال دون تعيينه سقوط مدينة جدة وحرب الحجاز ، وسافر إلى القدس وعمان ، فكرّمه أمير الأردن طلال ، ورحل إلى بغداد ، فاستقبله الملك فيصل ، ومثل لبنان في المؤتمر الشرقي عام ١٩٢٩م ثم اعتزل الكتابة وأخلد إلى الراحة إلى أن توفي سنة ١٩٤١م عن اثنين وخمسين عاماً .

مات أبو الفضل وقد أوصى أن يدفن في دمشق إذ كتب : "هناك تفيض روحي في البادية ، وتنشق نفحاتها الطاهرة وتطرب لهدير بردى ، تلك رقدة أشتهيها وأعلل نفسي بها وأراها خير مكافأة لي إذا كنت مستحقاً " .

٨ - الوليد الشاعر :

أبو الفضل الوليد على حد تعبير النقاد علم من أعلام الشعر العربي ، نظم شعره بديباجة جاهلية ، وبدأت شهرته بالأناشيد الوطنية والحماسية كقوله :

صليل الظبي ، وصرير القلم لفك القيود وشق الظلم

وفي شعره بداوة ، وقوة نسج تذكر بالفحول ، مع عزة نفس وثورة لا نجدها في شعر أقرانه :

يا شامتين بنفس لم تنل أرباً
حذار منها فهذي نومة الأسد
إني لأحملها في الصدر صاعقة
حتى إذا انفجرت طارت من الجسد
ما حال نسر كسير الجناحين رأى
كل العصافير وراداً ولم يرد ؟
لهفي على ولد يقضي الحياة بلا
أم ولهفي على أم بلا ولد

ولا يكاد يصدق المرء أن هذه القصائد الرائعة نظمها ابن عشرين عاماً ، ففيها من النضج والقوة والجري على أساليب الأقدمين ما يشعر أن شاعرنا الشاب قبس أساليب الأقدمين وتربى عليها منذ نعومة أظفاره ، لنستمع إليه يحن إلى وطنه لبنان بصفاء ولغة أسرة :

هل بعد لبنان الجميل تعلة
لفتى ينوح وراء موج مزبد

والماء يجري فيه بلوراً على
حصباء تحسبها سبائك عسجد
وكأنما الصفصاف يحنو فوقه
ظمئاً إلى ورد النمير الأبرد
ياحبذا غاب كثيف تحته
ظلٌّ رديف فيه أطيب مرقد
ياحبذا الثلج المكلل قمة
ملساء عارية كخد الأمرد

أغراضه الشعرية :

أ - الحنين : للشاعر أغراض شعرية متنوعة أبرزها الحنين ، وفي حنينه كما مر بنا صورة الحنين في الأدب العربي القديم وأساليبه ومعانيه :

فكم قيل لي أجل رحيلك يافتى
لئن تدخل الدنيا رمتك على عسر
فلم أنتصح حتى أذبت حشاشتي
وعانيت ما عانى الشجاع من الأسر
لقد كنت طماعاً فاصبحت راضياً
بايسر شيء إذ غلبت على أمري

لكن صورة الطبيعة في لبنان تظل إطاراً لذكرياته :

تمنيت في الوادي الذي تحت قريتي
فراشاً من العشب الندي وثيرا
وظلاً وريفاً يهدر النهر تحته
وأنفاس أرواح تبثُّ عبيرا
وغاباً لـه ناح الصنوبر شاكياً
لصفصافه ترخي على شعورا
وزهراً به خص الربيع حقولنا
وبيتاً كذا فوق الهضاب صغيرا

ولا تبرح صورة أمه مخيلته فيعتذر لها بأن اغترابه لم يكن إلا امتداداً لاغتراب من سبقوه من العظماء :

هناك وراء البحر أمٌّ حزينة
تكابد آلام الشهيدات من أجلي
أبيت أناجي طيفها قائلاً لها
رويدك إني كالأُلى فعلوا فعلي
لقد مات "دانتي" بائساً في جهاده
كما مات في المنفى "امرؤ القيس" من قبلي

ب - الحكمة : في شعر الوليد نزعة تأملية ونظرات في الحياة نجدها في مختلف أغراض شعره ، وكانت حكمته موجزة تنهل من معين ثقافته العربية ، ونزعته الصوفية ، وثورته على المتاجرين بالدين يستغلون الإنسان العربي .

يجوع ويعرى في الكهوف فقيرنا
ويشقى ويبكي صابراً غير عاتب

وقد أكثروا ديباجهم ووجاجهم
وقالوا لشعب الله عشن بالعجائب

ج - **الغزل** : في شعر الوليد غزل عذري وصريح ، منه المجدد ومنه ما يتكئ على معاني السلف كقوله :

ولم أنس يوماً فيه جئتك زائراً
فقلت ألا هبي ، فقالت : رفقاً نبك

د - **الشعر القومي** : أدار الشاعر شعره القومي على التغني بالماضي الغابر ، والتأسي على ما وصل إليه الحاضر ، وتمجيد الشهادة ، والدعوة إلى الجهاد ، والتذكير بالروابط القومية ، والدعوة إلى الوحدة :

تصافوا وكونوا إخوة وتصافحوا
فإن مذاق الصفح أحلى من العسل
ولا تدعوا حبل الأخوة واهناً
فيقتلنا التفريق والغدر والحيل
إذا فاخر القوم الكرام بأرضهم
وباهوا برايات ترف على القلل
نقول لهم والعز يعلو جباهنا
لنا مثلكم أرض بها فكرنا اتصل
لنا وطن فيه تركنا قلوبنا
فيا حبذا لبنان والأهل والحلل !

وفي حبه لوطنه يندد بالتفاوت الطبقي والنفوذ الأجنبي الذي يراه يحكم قبضته على لبنان :

أحب بلادي فوق كل محبة
وأشتاق منها شاطئاً وبقاعا
وأرجو لها حرية حلوة الجنا
يدافع عنها الأكرمون دفاعا
أرى شغف الإنسان في حب أرضه
فإن أمرته الواجبات أطاعا
وشر بلاد ما تخون كرامتها
ويغدو عراة أهلها وجياعا
ونرعى خيول الأجنبي بتاتها
وقد خانها الابن العقوق وباعا

والشاعر مولع بالمجد العربي في الأندلس يتغنى به ، وينظم فيه أندلسية طويلة على غرار قصيدة ابن زيدون في ولادة ، وزناً وقافية ، وإن اختلف الغرض .

* * *

هكذا طاف بنا الأديب وليد مشوح مع سميه الشاعر المتسمي بالوليد ، وسرحنا في حدائق شعره ونثره ، فإذا نحن أمام شاعر صادق مخلص لأمته وعروبته ، صوفي الحنين ، متين الديباجة ، سهل التعبير يعبر عما في نفسه بدقة وأمانة ، معتدٌ بذاته وقومه ، أما نثره فخطابي تغلب عليه أساليب الصحافة آنذاك ، وليس فيه بريق نثر جبران أو أحد الأدباء من الشماليين ، فيه ترادف وتوازن ومحاكاة لكتاب العصور الغربية الزاهية ، يعنى بالاستطراد والتمثيل ، وتبرز من خلاله ذاته وصراحته .

لا شك أن الكتاب سيكون مرجعاً مفيداً للدارسين ليتعرفوا إلى هذا الشاعر الذي أهمل وضُيِّع .

وكنا نتمنى لو أوجز المؤلف في المقدمات المسهبة ، وتجاوز بعض الاستنتاجات السريعة والأحكام غير المؤيدة حول الأدب المهجري أو نشأة الوعي القومي في القرن التاسع عشر وتيارات هذا الوعي السياسية ؛ فقد رفع أصابع الاتهام أكثر من مرة ، وأصدر أحكاماً قاسية على أدب المهجر الشمالي فجعل رواده أو بعضهم سدنة لأبواق المستعمرين والشعوبيين ، دون أن يوضح هذه التيارات المشبوهة أو يدعم اتهامه بشواهد ، وهذا لا يعني أننا ننكر أن يكون وراء التجديد الذي نادوا به ترويج لثقافات واتجاهات فكرية معينة ، ولكن ليس كل تجديد بالضرورة هو وليد اتجاهات مشبوهة .

أسماء شيوخ مالك بن أنس لابن خلفون

تحقيق محمد زينهم عزب

عبدالعزيز الساوري
وجدة ... المغرب

ابن خلفون الأونبي ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٦٣٦هـ) / أسماء شيوخ مالك بن أنس الأصبحي تحقيق محمد زينهم محمد عزب - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، ١٩٩٠م .

مقدمة

صدر في أواخر شهر يونية من سنة ١٩٩٠م عن مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة كتاب أسماء شيوخ مالك بن أنس الأصبحي تأليف أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبدالرحمن بن مروان بن خَلَفُون الأزدي الأوْنَبِي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٦هـ بتحقيق محمد زينهم محمد عزب ... عضو بقسم تحقيق النصوص التاريخية بدار المعارف ... والمعروف عن محمد زينهم أنه لايتثبت في التحقيق والكتابة ولايتمهل .. ولايكاد ينسخ كلمة صحيحة من المخطوطات .. إذ ليس همّه التحقيق والتدقيق وإنما همّه النشر والتكثر به ولعل كلمة (تحقيق) قد أهينت في هذا الزمان وفسد معناها في العقول وخبا نورها الذي كان لها ، مما جعل محمود محمد شاكر يسقطها (أقصد كلمة تحقيق) من كتبه ، بعد أن تطفل على التحقيق كل من هب ودب ، ولذلك لاتجد في الكتب التي حققها إلا عبارة (قرأه وعلق عليه محمود شاكر) . وهو منه موقف صائب ، ومذهب صحيح ذلك أن عبارة (قرأه) أدنى إلى التواضع وأقرب إلى سمت العلماء من الزهو بالتحقيق (انظر برنامج طبقات فحول الشعراء) (١) .

وقد اعتمد في تحقيقه للكتاب على نسخة خطية وحيدة محفوظة في مكتبة دير الأسكوريال بإسبانياتحت رقم ١٧٤٧ ،وهي مكتوبة بخط أندلسي جلي واضح ، وعدد أوراقها ٩٢ ورقة ، ومقاسها ١٢,٥ × ٢٠,٥ سم ، في كل صفحة منها (٢١) سطرا ، وفي كل سطر (١١) كلمة في المتوسط ، وأكثر ألفاظها مضبوطة بالشكل مع بعض التعليقات .. ولاندري على وجه التحديد متى نسخت ، ومن قام بنسخها إذ لم نجد إشارة إلى ذلك في خاتمة النسخة ، ويبدو من خطها أنه قديم ، وربما تكون منسوخة في القرنين السادس أو السابع الهجري تقديرا ، وقد بلغ عرضها على أصل المؤلف .

وهذه النسخة كانت في ملك ابن الحداد الضهاجي ثم آلت ملكيتها إلى أحمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد ابن علي الونشريسي المتوفي سنة ٩١٤هـ صاحب المعيار .

وعنها ميكرو فيلم في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٣٢ تاريخ (٢) ، كما صوّرت دار الكتب المصرية نسختين منها سنة ١٩٤٩م وتوجد برقم ٤٩٠ مصورات خارج الدار برقم ١٩٤٠١ح ميكروفيلم رقم ٥٠٠٥٧ .

وكتاب **أسماء شيوخ مالك بن أنس الأصبحي** ذكر في أسماء الكتب المخطوطة ص ٧٨ وتاريخ الأدب العربي ٢٧٨/٣ ومعجم المؤلفين ٦١/٩ وفهرسة مكتبة الأسكوريال (ميخائيل الغزيري Michaelis Carisi) Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialensis 2/126,167 No 1742 Les Manuscrits Arabes DE Lescurial 3/255 - 256 , Emoayo Bio - Bibliografico No 241 P. 284 .

ويسمى : «شيوخ مالك بن أنس - رحمه الله - الذين روى عنهم الحديث في كتابه الموطأ» في برنامج شيوخ الرعيني ص ٥٥ كما يسمى : «أسماء شيوخ مالكٍ المخرّجِ حديثُهم في هذا الكتاب - يقصد الموطأ» في الذيل والتكملة س ٦ ص ١٢٩ ، وهو عند - الرعيني - في «سُفَيْر» وعند - ابن عبدالملك المراكشي - في «مجلد» .

وقد ذكره المؤلف باسم : «أسماء شيوخ مالك بن أنس الذين روى عنهم الآثار المذكورة في كتاب التلخيص المستخرجة من موطأ مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى الليثي القرطبي » وأحال إليه في مقدمة كتابه (٣) .

وأورد فيه أنسابهم وبلدانهم وعمن رووا عنه ، ومن روى عنهم مع مالك بن أنس ملتزما في ذلك الترتيب الألفبائي الأندلسي ، وإن كان قد ابتدأ فيه بذكرِ مالك بن أنس رحمه الله - ونسبِه ومبلغِ سِنِّه ووقتِ وفاته وفضائله وثناءِ العلماء عليه .

ويقول عنه محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي : «هو كتاب جليل لا نظير له يُحتاج إليه ماوقفت عليه بالمشرق» (٤) .

وفيما يلي شيء من ملاحظاتنا على تحقيق هذا الكتاب . وسنكتفي بعرض بعض الأمثلة ، حتى لايطول حديثنا عن هذا التحقيق ، الذي يعج بالأخطاء في كل سطر من سطور الكتاب (الأرقام الأولى للصفحات ، والأخرى للسطور) :

سقوط كثير من النصوص من الكتاب

وقد أخل ذلك بالمعنى في كثير من الأحيان ، وسأضع

هنا الساقط بين معقوفين، ويمكن تصنيفه إلى أربعة أقسام:

(١) السقط بسبب العجلة في النسخ : وفيما يلي أمثلة لذلك :

ص ٢٦ /٥ - ٦ : «عن يحيى بن معين أنه [قال] : مالك ابن أنس [ثقة ، وهو أثبت في نافع بن أيوب] وعبيد الله ابن عمر ، وليث بن سعد وغيرهم».

ص ٢٨ /٥ - ٧ : «سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : [لما مات] مالك بن أنس أُخرِجَتْ كتبه فأُصيبَ فيها [تُنْدَاقٌ] (٥) عن ابن عمر ليس في الموطا [منه] إلا حديثا [ن] [قال أبو جعفر : وسئل يحيى من الثبتُ في مَالك في الحديث] فقال : القَعْنَبي وهو عبدالله ومَعْن بن عيسى القزاز».

ص ٤٥ /٢ - ٣ : «قال عبادةُ بن الصامت لابنه يا بُني [إنك] لن تجدَ طَعْمَ حقيقة الإيمان حتى تَعْلَمَ انّ ما أصابكَ لم يكن ليخطئكَ [وما اخطاك لم يكن ليُصيبك] ».

ص ١٢٠ /٥ : «مات (أي محمد بن عبدالله بن المُنْكدر) سنة ثلاثين ومائة . قال البَرْقي : وقيل سنة إحدى وثلاثين ومائة [وقال عمرو بن علي مات] في ولاية مروان بن محمد».

ص ١٢١ /٧ : «قال أبو عمر النمري : كان من فضلاء هذه الأمة وعُبّادها وفُقهائها وخيارها ، [كان أهل المدينة يقولون : إنه كان مُجاب الدعوة وكان مُقِلاً] ، وكان مع ذلك جواداً».

ص ١٤٨ /٥ : «وقال أبو زرعة الدمشقي : سمعت أحمد ابن حنبل [يُسألُ] من أثبت الناس في نافع [عبيدالله أو] مالكٌ أو أيوبُ فقدم عبيدالله بن عمر وفضله بلقاء سالم والقاسم».

ص ٢٠٠ /١٤ : «العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب أبو شبْل الحُرَقي مولاهم المدني [والحُرَقَةُ فَخذ من جُهينة] روى عن ابن عُمر وابن عباس».

ص ٢٢٤ /١٠ : «ومحمد بن المنكدر التيمي وعن أبي نُعيم وهب بن كيسان [الأسدي] مولاهم [المدني] وغيرهم».

ص ٢٤٩ /١٦ : «كان يحيى بن سعيد قد ساءت حالُهُ وأصابه ضِيْقٌ شديدٌ وركبه [الدَّيْنُ] فبينما هو على ذلك إذ جاءه كتابُ أبي العباس».

(٢) السقط بسبب «انتقال النظر في القراءة» أو «العبور من سطر إلى سطر» كما يسميه ابن خلكان (٦) ، وهو أن تقفز عين المحقق من كلمة إلى أخرى مثلها تماما في نفس السطر ، أو في السطور التي بعده ، ومن أمثلة ذلك ماجاء في :

ص ٣٦ /٧ : «وأطرق أبو إبراهيم وراقه ملكه لنفسه وخزنه لسانه» . وهذا النص بصورته هذه غير مفهوم ؛ فإذا رجعنا إلى المخطوطة وجدناه كما يلي : «وأطْرَقَ أبو إبراهيم [عنه وعاد إلى ما كان فَعَلَهُ أولا من الإطراق والوُجُوم فاقصر الحكم (أي المستنصر) مُضْطرا وأعرض عن الانكار على أبي إبراهيم] وراقهُ مِلْكَهُ لنفسه وخَزْنُهُ لسانهُ».

وهكذا اترى أن عين المحقق قد قفزت من كلمة «أبو إبراهيم» الأولى ، إلى كلمة «أبي إبراهيم» الثانية فحدث هذا الخرم الذي أخل بالمعنى . ومن المؤسف أن محقق الكتاب لم يفطن إلى مافيه من خلل في هذا الموضوع وغيره ، على رفعة قدره ومكانته .

ومثل ذلك في ص ٤٩/٨ : «قال : نا عبدالله بن سعيد ابن مَرْجَانة قال ...» . ففي هذا النص جملة ساقطة بسبب انتقال النظر كذلك . والصواب كما جاء في المخطوطة : «قال : نا عبدالله بن سعيد [بن أبي هند عن إسماعيل بن أبي حكيم عن سعيد] بن مَرْجَانة قال ...» .

وهذه أمثلة أخرى وردت في :

ص ٧٥ /٨ : «وحكى أبو حاتم البُستي عن ابن معين أنه قال عنه : [ضعيفٌ وروى عن أحمد بن حنبل أنه قال : ليس بقوي الحديث . وروى عن أحمد أيضا أنه قال عنه] : ثقةٌ» .

ص ٧٩ /١٥ : «ومالكٌ روى عن داود بن الحصين [عَنْ غَيْر عِكْرِمةَ ، وسُئل أبو زرعة الرازي عن داود بن الحصين] فقال : هو لين» .

ص ٨٧ /٥ : «وهو خالد بن أسلم [وكان والده أسلم] مولى عمر بن الخطاب من سبي عين التمْر ومن جِلة الموالي بالمدينة علماً ودينا وثقة» .

ص ٩٠ /١٥ : «قال أبو رافع : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن أقْضِيَ الرجل بَكْرَهُ ، فقلتُ : لم أجد في الإبل إلا جملاً خِيَاراً رَبَاعياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم] أعطه إياهُ ، فإن خيار النّاس أحسنهم قضاء» (٧)

ص ١٠٢ /١١ : «وروى عن جماعة كثيرة من التابعين منهم ... وعبدالحميد بن عبدالرحمن بن الحارث [بن زيد ابن الخطاب العَدَوي ومحمد بن عبدالله بن الحارث بن نَوْفَل ابن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث] بن هشام المخزومي» .

ص ١١١ /٥ : «وسألت أبا داود قلت : من كان أثبت في الزهري [يونس بن يزيد أم عقيل ، قال : سألت يحيى ، فقال لي : يونس بن يزيد أثبت من عقيل ، وعقيل قد روى عن الزهري] ، ولسنا ننظر إلى كثرة الرواية إنما ننظر إلى الضبط وحسن التادية» .

ص ١١١ /١٩ : «وسمعت يحيى بن معين يقول : [مالك أحب إلي من ابن عيينة ويونس ومعمر وعقيل يعني في الزهري وقد كان يونس وعقيل عالمين به وسمعت يحيى بن معين يقول] : معمر أثبت في الزهري من ابن عيينه» .

ص ١٢٤ /١٥ : «وأبي الحباب سعيد بن يسار الهاشمي

مولاهم المدني [روى عنه أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي والوليد بن كثير المخزومي مولاهم المدني] وغيرهما ».

ص ٤/١٣١ : « وروى يزيد بن هارون عن شعبة أنه قال : محمد بن عمرو أحب [إلي من يحيى بن سعيد الأنصاري في الحديث . قال أبو عمر النَّمَري : حسبُك بهذا ، ويحيى ابن سعيد أحد] الأئمة الجلة ».

ص ١٠/١٩٠ : « وذكر ابن الأعرابي عن عباس بن محمد الدورى عن يحيى بن معين قال : عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ليس به بأس وليس بالقوي وقال في موضع آخر : [ليس بحُجة وفي موضع آخر] في حديثه ضَعف وعلقمة بن أبي علقمة أوثق منه ».

ص ١٤/١٩٥ : « وحكى محمد بن مسلمة عن مالك أن عامر بن عبدالله بن الزبير كان يواصل في رمضان ثلاثا [فقيل له ثلاثة أيام قال لاَ مَنْ يَقْوَى على ثلاثة أيام بل ثلاثا] من الدهر يومين وليلة ».

ص ١٣/٢٠٧ : « كان سعيد (بن أبي سعيد المَقْبُرِي) من سكان المدينة وبها كانت وفاته في خلافة هشام بن عبدالملك سنة ثلاث وعشرين ومائة وقيل توفي [سنة خمس وعشرين وقيل سنة ست وعشرين ومائة وتوفى] أبوه سعيد في خلافة عمر بن عبدالعزيز ».

ص ١٥/٢٠٧ : « وكان يقال له المقبُري لأنه كان يسكن على المقبرة [وفي المقبرة لغتان : مَقْبُرَةٌ و] مَقْبَرَةٌ بفتح الباء وبضمِّها ».

ص ١٥/٢١٩ : « وقال ابن الأعرابي نا عباس قال سمعت يحيى بن معين يقول شريك بن عبدالله بن أبي نَمِر ليس بالقوي وفي موضع آخر ليس به بأس [وذكر عثمان الدارمي أنه سأل يحيى بن معين قال قلت فشريك بن أبي نَمِر كيف حديثُهُ ؟ فقال ليس به بأس وقال النسوي في التمييز : شريك بن عبدالله بن أبي نَمِر ليس به بأس] وقال أبو عمر النمري كان صالح الحديث وهو في عِداد الشيوخ وليس به بأس ».

ص ٣/٢٤٢ : « وقال ابن القاسم حدثني مالك عن يوسف بن يونس بن حِمَاس عن عمه عن أبي هريرة [وكذلك قال ابن وهبٍ وابن بُكَيْر وابن نافعٍ وجماعةٌ سواهُمْ مالك عن يوسف بن يونس بن حِمَاس عن عمه عن أبي هريرة] وتابعه عن مالك مَعْنُ بن عيسى القزاز وعبدالله بن يوسف التنيسي ».

(٣) السقط بسبب وجود كلام على الهامش سقط من الناسخ ونبه عليه في المتن بـ «علامة إلحاق» أو «علامة الإحالة» ، ولم يتنبه إلى ذلك المحقق . وفيما يلي أمثلة لذلك :

ص ١٥/٤٩ : « يقال (أي أيوب بن أبي تَمِيمَة السَّخْتياني) : إنه توفي [بطريق مكة راجعاً إلى البصرة في طاعون الجارف] سنة اثنتين وثلاثين ومائة ».

ص ١٠/٥٩ : « سمعت يحيى بن سعيد يقول : هشام ابن حسان في ابن سيرِين [أحبّ إليّ من عاصمٍ وخالدٍ في ابن سيرِين] يعني عاصماً الأحْولَ وخالداً الحذّاءَ ».

ص ١٤/٧٩ : « قال [علي (أي ابن المديني) مارُوي عن] عِكْرمة فَمُنْكَرُ الحديث ».

ص ١٨/٩٠ : « قال (ص) : أيُّما إهَابٍ دُبِغَ فقد طَهُرَ [مالك عن زيد بن أسلم عن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخُدري عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال : إذا كان أحدكم يُصلي فلا يَدَعْ أحداً يمرُّ بين يديْه وليَدْرَأْهُ مااستطاع ، فإن أبَى فليُقَاتِلْهُ فإنما هو شيطانٌ ».

ص ١/٩٣ : « قال النسائي في التمييز : زيد بن أُنَيْسَة [ليس به باس وذكر بعضهم عن أحمد بن حنبل أنه قال : زيد بن أُنَيْسَة] حديثه حسن ».

ص ٣/١١٩ : « وانا غيره فقال لِمَ [لم تحمل عن أبي الزبير] . فقال : خدعني شعبة ... ».

ص ١٥/١٣٩ : « واسم أبي مريم يسار السلمي مولاهم المدني [يقال : إنهم ثلاثة إخوة مسلم ومحمد وعبدالله بنو أبي مريم ومسلم أعلاهم] وقد قيل : إنه ليس باخيهما فالله أعلم ».

ص ١/١٤٧ : « وابو [عبّادٍ] هشام بن سعد الهاشمي مولاهم المدني ».

ص ١٥/١٤٨ : « حليف [عثمان بن] عُبيدالله القرشي التَّيمي ».

ص ١٤/١٥١ : « قال سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي [وأحمد بن صالح وأبو حاتم والنسوي] وغيرهم زاد أحمد من خِيَارِ عِباد الله الصالحين وفضلاء المسلمين وزاد ابن صالح رجل صالحٌ ، وكان أسودَ ».

ص ٧/١٥٢ : « ولقد سمعته يوما [وهو يدعو في سجوده] يقول : اللهم لا تؤاخذني في تقصيري عن عبادتك ».

ص ٧/١٦١ : « وقيل توفي سنة [اثنتين و] ثلاثين ومائة ».

ص ٣/١٦٣ : « أخرج له [البخاري و] مسلم وهو ثقة قاله يحيى وابن صالح وأبو حاتم ».

ص ٦/١٦٥ : « عبدالله [بن الفضل] بن العباس بن ربيعة بن الحارث ».

(٤) السقط بسبب ضياع ورقة من أصل المخطوط : وهذه الورقة تقع مابين ص {٩أ } و ص {٩ب } ولم يفطن إليها المحقق ، فاختلطت أواخر ترجمة « إسماعيل بن أبي حكِيم القرشي » باوائل ترجمة « أيوب بن ابي تَمِيمَة السَّخْتَياني » ، وقد حدث هذا السقط مرة واحدة

في النص التالي :

ص ١٤/٤٩ – ١٥ : « فلما قام بين يديه قال : اذْهبْ فانت حرٌ لوجه الله [... ...] إبراهيم المعروف بابن عُلَيَّةَ وغَيْرِهم ... » ، انظر : ورقة ٩ (أ - ب) من المخطوط ، و ص ٤٩ من المطبوع .

التحريفات والتصحيفات :

يضرب التحريف والتصحيف أطنابه في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ، بل في كل سطر من سطوره ، بطريقة جعلت النص مشوهاً غامضاً ولغزا من الألغاز ، لايزيد على أن يكون مخطوطة أخرى للكتاب ، ومن أمثلة ذلك :

ص ٣/١٧ : « وأبعد الأمور بمشيئته وتعذره » . صوابه كما في المخطوطة : « وأنفذ الأمور بمشيئته وتقديره » .

ص ٤/١٧ : « وأثر منذه سيمتها محمد صلى الله عليه وسلم » . صوابه كما في المخطوطة : « وآثر هذه الأمة بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم » .

ص ٨/٤٣ : « نا أبو حذيفة بن مروان بن معاوية الغزاوي » . صوابه كما في المخطوطة : « نا أبو حُذَيْفَة بن مروان بن معاوية الفَزَارِي » .

ص ١٣/٤٩ – ١٤ : « فقال علي بن حسن عند ذلك لغلام له أبرة فلما أدع لي مكانا فلما قام بين يديه ثال أذهب فانت حر لوجه الله » . صوابه كما في المخطوطة : « فقال علي بن حسين عند ذلك لغُلَامٍ لَهُ أَفْرَهَ غِلْمَانِه ادْعُ لي مُطَرِّفاً فلما قام بين يديه قال : اذْهَبْ فانت حرٌ لوجه الله » .

ص ٨/٥٦ : « وكان ابن عون يحدثني بالحديث فاخذته عن أيوب بخلابه » . صوابه كما في المخطوطة : « وكان ابن عون يحدثني بالحديث فأُحَدِّثُه عن أيوب بخِلافِه » .

ص ١٩/٥٨ : « فسقطت الغدر من الجارية على البصبية فماتت » . صوابه كما في المخطوطة : « فسقطتِ القِدْرُ من الجارية على الصَّبية فماتت » .

ص ١٠/١١٣ : « هويلح ليس بالقوي » . صوابه كما في المخطوطة : « صُوَيْلِحٌ ليس بالقوي » .

ص ١٤/١١٤ – ١٥ : « مرزوى بن أبى الهذيل » . صوابه كما في المخطوطة : « مرزوق بن أبي النديل » .

ص ٤/١١٥ : « وعلى رأسه المغفرة فلما تركه » . صوابه كما في المخطوطة : « وعلى رأسه المِغْفَرُ فلما نَزَعَهُ » .

ص ٤/١١٥ : « فتعلق باستار الكعبة » . صوابه كما في المخطوطة : « مُتَعلقٌ باستار الكعبة » .

ص ١٢/١١٦ : « ومد عمره أيوب السَّختياني » . صوابه كما في المخطوطة : « وقد غمزَهُ أيوب السَّخْتِيَاني » .

ص ١١/١١٧ : « علي بن الحسن السختياني » . صوابه كما في المخطوطة : « علي بن الحسن المِيسِنْجَاني » .

ص ١٩/١١٧ : « عمن كان تدليس » . صوابه كما في المخطوطة : « عمن كان يُدلس » .

ص ١/١٢٤ : « فقالت يصلى في الخمار والدرع السايغ إذا غيب ظهور قدمها » . صوابه كما في المخطوطة : « فقالت تصلي في الخمار والدرع السابغ الذي يُغَيِّبُ ظهور قَدَمَيْها » .

ص ١٨/١٤٠ : « توفى ابن ميسرة سنة خمس ومائة سنة » . صوابه كما في المخطوطة : « يوجد من مسيرة خمسمائة سنة » .

ص ٢١/١٤٤ : « أنت أسن فبدأ قط حتى قدم نافعا » . صوابه كما في المخطوطة : « أنت أسَنّ فتدافعا حتى قدما نافعاً » .

ص ٣/١٤٥ : « ولكل طبقة منها متربة » . صوابه كما في المخطوطة : « ولكل طبقة منها مزية » .

ص ١٠/١٤٦ : « برد بن سيار الدمشقي » . صوابه كما في المخطوطة : « برد بن سِنان الدمشقي » .

ص ١٢/١٤٦ : « عبدالعزيز بن أبي داود » . صوابه كما في المخطوطة : « عبدالعزيز بن أبي رَوَّاد » .

ص ١٢/١٤٦ : « سليمان بن ساحق » . صوابه كما في المخطوطة : « سليمان بن مُساحق » .

ص ١٥/١٤٦ : « وهو الأشبه عندهما » . صوابه كما في المخطوطة : « وهو الأشبَهُ عندي بهما » .

ص ١٧/١٤٦ : « عبيدالله بن الأحسن » . صوابه كما في المخطوطة : « عبيد الله بن الأخْنَس » .

ص ١٨/١٤٦ : « علي بن الحكم الثناني » . صوابه كما في المخطوطة : « علي بن الحكم البُنَاني » .

ص ٧/١٦٩ : « وقد قيل في سنة إحدى وثلاثين ومائة » . صوابه كما في المخطوطة : « وقد قيل توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة » .

ص ٨/١٦٩ : « مات بالمدينة فجاة في عشية ليلة الجمعة لتسع عشرة » . صوابه كما في المخطوطة : « مات بالمدينة فُجَاءَةً في مُغْتَسَلِه ليلة الجمعة لسبع عَشْرَةَ » .

ص ١٣/١٦٩ – ١٤ : « فجلس أمير المؤمنين أهل أن يعاد منه العلم » . صوابه كما في المخطوطة : « مَجْلس أمير المؤمنين أهلٌ أن يُقَادَ منه العلم » .

ص ٣/١٧٠ : « قد مانع مالك على روايته جماعة » . صوابه كما في المخطوطة : « قد تَابَعَ مَالكاً على روايته جماعة » .

ص ٥/١٧٠ – ٦ : « جابر بن عتبة الأنصاري المغاوى » . صوابه كما في المخطوطة : « جابر بن عتيك الأنصاري المُعَاوِي » .

ص ٨/١٧٠ : « عبيد بن الحارث بن عتبة » . صوابه كما في المخطوطة : « عتيك بن الحارث بن عتيك » .

ص ١٢/١٧٠ : « عبدالرحمن بن أبي حبيش » . صوابه

كما في المخطوطة : « عبدالرحمن بن أبي حسين ».

ص ١٨٩/١٠ : « وإن كان البياض وأيله عند إنسان عينها ». صوابه كما في المخطوطة : « وإن كان البياض زائلاً عن إنسان عينها ».

ص ١٩٠/١٦ : « بعض الأماكن ». صوابه كما في المخطوطة : « بعض الإنكار ».

ص ١٩٠/١٧ : « تكلم على روايته نظير إسقاطها لها ». صوابه كما في المخطوطة : « تُكُلِّمَ في روايته بغير إسقاط لها ».

ص ١٩١/٦ - ٧ : « تيم بن عبد عمرو الأنصاري الهادي المدني ». صوابه كما في المخطوطة : « تميم بن عبد عمرو الأنصاري المازني المدني ».

ص ١٩٤/٨ : « لا قياس لك أشياء ». صوابه كما في المخطوطة : « لاتأهُبْن لك أهْبَتَكَ ».

ص ١٩٤/١٥ : « اقسمها في بيويات الأنصار ولا تعطيتما جار فامنها دوما جاء في سمعت الله يقول ». صوابه كما في المخطوطة : « اقسمْها في بيوتات الأنصار ولا تُعْطِ يتيماً حادثاً منها درهماً فإني سمعتُ الله يقول ».

ص ٢١٢/٦ : « كان الناس يجيئون إليه والانفراد ». صوابه كما في المخطوطة : « كان الناس يُحِبون الخَلْوَة والانفراد ».

ص ٢١٢/١٢ : « عندي فوق سمي ». صوابه كما في المخطوطة : « عندك فوق سُمَيٍّ ».

ص ٢١٣/١ : « وأبي عبيد حي المذجي ». صوابه كما في المخطوطة : « وأبي عبيد حُيَيٍّ المَذْحِجي ».

ص ٢١٤/١ : « عبدالعزيز بن محمد الدراوري ». صوابه كما في المخطوطة : « عبدالعزيز بن محمد الدراوردي ».

ص ٢١٥/٥ : « سمعت عن أبي صالح ». صوابه كما في المخطوطة : « سُمَيٌّ عن أبي صالح ».

ص ٢١٥/١٢ : « وهو ثقة ماله ابن صالح ». صوابه كما في المخطوطة : « وهو ثقة قاله ابن صالح ».

ص ٢٥٠/٦ : « وجب له مسالة ». صوابه كما في المخطوطة : « وَجَبَ له هناك ».

ص ٢٥٠/١٠ : « ماعينت منها دينارا ». صوابه كما في المخطوطة : « ماغَيَّبْتُ منها ديناراً ».

ص ٢٥٢/١٢ : « خالد بن مروان بن أبي كرب ». صوابه كما في المخطوطة : « خالد بن مَعْدَانَ بن أبي كرب ».

ص ٢٥٣/٨ : « وكان من أحرم حصون المدينة ». صوابه كما في المخطوطة : « وكان من أَحْرَزِ حصون المدينة ».

التصرف في النص

وذلك بإضافة كلمات ، أو عبارات في صلب النص دون الإشارة ، أو التنبيه على أنها إضافة منه حتى لا يتوهم متوهم أنها موجودة في الأصل ، مما يتنافى مع أصول التحقيق ، ويمكن أن نورد نماذج من ذلك لبعض الإضافات التي لم ترد في النص على النحو التالي :

ص ١٢٦/٦ أضاف (وهو الثورى) بين « مالك بن أنس » و «عبيدالله بن عمر ».

ص ٦٦/١٩ - ٢٠ أضاف (الحديث الطويل يعني حديث جابر في الحج . قلت ليحيى مجالد بن سعيد وجعفر بن محمد) بين « جعفر بن محمد » و « قال مُجالد ».

ص ٦٧/١٠ - ١٢ أضاف (وقال ابن أبي الشافعي وبن معين وأبو حاتم الرازي والنسوي وغيرهم ، زاد أبو حاتم لا يسئل عن مثله) بين « لا يسال عن مثله » و « قال ابن أبي حاتم الرازي » .

ص ٧٢/٤ أضاف (ابن) بين « سمعهُ من » و « ثابت ».

ص ٨٢/٤ أضاف (وكان أعلم منهما) بين « وكان أعلم منه » و « كان ربيعة ».

ص ١١٢/١٢ أضاف (يقولون سفيان بن عيينة أثبت الناس) بين « بعض الناس » و «يقولون » .

ص ١٢٥/١١ - ١٢ أضاف (وليس فيما دون خمسين اواق من الفد وصدقة) بين « من التمر صدقة » و « وليس فيما دون خمس ».

ص ١٣٢/١٣ - ١٤ أضاف (وهو ثقة قال يحيى بن معين وغيره) بين « وغيره » و « روى ».

ص ١٦٣/٢٠ أضاف (المدني القاضي من بني مالك بن النجار) بين « بن النجار » و « قاله الواقدي » .

ص ١٧١/١ أضاف (روى عن نافع بن جبير بن مطعم ابن عدي القرشي وطاووس بن) بين « طاوس بن » و «كيسان ».

ص ١٧٩/٧ - ٨ أضاف (الرازي نا صالح بن أحمد) بين « بن أحمد » و « بن حنبل ».

ص ١٩١/٢ - ٣ أضاف (ثقة وسئل عنه أبو حاتم الرازي فقال لاباس به روى عنه مالك و) بين « فقال مدني » و «ليس به بأس ».

ص ١٩١/١٢ - ١٣ أضاف (ويحيى بن أبي كثير وأيوب ابن أبي تميمة) بين « العمري » و « وعبدالملك ».

ص ٢٠٠/١٥ - ١٦ ، ص ٢٠١/١ : أضاف (روى عن نافع بن جبير بن مطعم القرشي وغيرهم . روى عنه الضحاك بن عثمان القرشي الأسدي الحزامي وقال ابن أبي حاتم سالت أبي عن عمارة بن عبدالله بن صياد عن سعيد ابن المسيب أنه سمعه) بين « فَخِذ من جُهينة » و « روى عن ابن عُمر وابن عباس ».

ص ٢٠٢/٥ - ٧ أضاف (العلاء بن عبدالرحمن هذا مسلم أو غيره . وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل قال أبى العلاء بن عبدالرحمن ثقة لم نسمع أحدا ذكر العلاء بسوء

قال عبدالله وسألت عن) بين « أخرج عن » و « العلاء بن عبدالرحمن ».

ص ٦/٢١٦ – ٧ أضاف (وعباد بن أبي صالح) بين «سهيل بن أبي صالح » و « ثبتاً ».

بياضات مزعومة

وقد تسبب سوء فهم النص في زعم المحقق بوجود بياضات فيه . ومن أمثلة ذلك :

ص ١٥/٨٤ : « ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم والبُرْمَةُ تَفُورُ بِلَحْمٍ (...) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألَمْ أرَ بُرْمَةً فيها لَحْمٌ ، فقيلَ : بلى يارسول الله ولكن ذلك لحمٌ تُصُدِّقَ به على بَرِيرَةَ وأنت لا تأكل الصدقةَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو عليها صدقةٌ » (٨) وتكملة البياض المزعوم كما ورد في المخطوطة : « فَقُرِّبَ إليه خُبْزٌ و أُدْمٌ من أُدْمِ البيت » .

ص ١٩/١١٤ : « روى مالك عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (...) غِضُوا ولا تَدَارُوا ولا تَحَاسَدُوا و كُونُوا عباد الله إخواناً ولايحل لمسلم أن يَهْجُر أخاه فوق ثلاث ليالٍ » . وتكملة البياض المزعوم كما ورد في المخطوطة : « لاتَبَاً » .

الزيادة القلقة

وهي أن يَبْدُوَ في النص شيء في غير موضعه حتى إذا ماتأمله المرء تبيّن له أن ناسخاً جاهلاً قد أدخل اللحَق الموجود بحاشية الأصل في غير موضعه من النص (٩) . ومن أمثلة ذلك ماورد في :

ص ٤/١٨٨ – ٥ : « وكان لعمرو بن الحارث هذا معرفة بالفقه والحديث والكتابة والأدب والأشعار ، وكان من أحسن الناس حظا ، ولم يكن له نظير في الحفظ [في] زمانه ، أخرج له البخاري ومسلم ، وهو ثقة قاله يحيى وابن صالح و أبو زرعة والنسوي وأبو عمر النمري وغيرهم ، وقال ابن أبي حاتم الرازي : سئل أبي عن عمرو بن الحارث ، فقال : كان أحفظ الناس في زمانه ».

فإنه مما لاشك فيه أن عبارة « ولم يكن له نظير في الحفظ في زمانه » وهي التي وضعنا تحتها خطاً في النص – كانت قد سقطت من نسخة الأصل ، بسبب انتقال النظر ، ثم ألحقها كاتب هذا الأصل بعد المراجعة على حاشية نسخته ، مبيّنا وضعها من النص بعلامة الإلحاق ، ولكن المحقق وضع هذا النص في غير موضعه ، فاختل نسخ الكلام . وصواب ترتيب عبارات النص كما في المخطوط : « وكان لعمرو بن الحارث هذا معرفة بالفقه والحديث والكتابة والأدب والأشعار ، وكان من أحسن الناس حظا . اخرج له البخاري ومسلم ... وقال ابن أبي حاتم الرازي : سئل أبي عن عمرو بن الحارث ، فقال : كان أحفظ الناس في زمانه . ولم يكن له نظير في الحفظ في زمانه ».

عدم مقابلة النصوص بمصادرها المنقولة عنها

وهو مما يستهين به المحقق تماما ، فيقع لذلك في سلسلة طويلة من الأخطاء والتحريفات . ومن أمثلة ذلك ماورد في (ص ٨/٩٧ – ١١) قال الحافظ أبو عبدالله بن خَلْفُون : « هكذا روى يحيى بن يحيى الأندلسي هذا الحديث عن مالك على الشبابى تقديم إحدى اللفظتين وتابعه يحيى بن بكير وغيره ورواه طائفة عن مالك على القطيع بلاشك ». وصواب هذا النص بعد مقابلتنا إياه بكتاب ملء العيبة لابن رشيد السبتي (٢٥٤/٥) هكذا : «قال الحافظ أبو عبدالله بن خَلْفُون : هكذا روى يحيى بن يحيى الأندلسي هذا الحديث عن مالك على الشك في تقديم إحدى اللفظتين ، وتابعه يحيى بن بُكَيْر وغيره ، ورواه طائفة عن مالك على القَطْعِ بلاشك ».

تحريفات كثيرة وأخطاء لاتحصى

وقعت في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأبيات الشعرية ، لم يفطن إليها المحقق ، ولم يحاول أن يكشف عنها في مظانها في المصحف وكتب الحديث ودواوين الشعراء .

(١) فمن الآيات القرآنية ماجاء في :

ص ١٢/٩٣ : « واذا أخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم ». صوابها : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) (الأعراف ١٧٢/٧).

ص ١٦/١٩٤ – ١٧ : « إنّ بيوتنا عورة وماهيتي بعورة إن يريدون إلا قرارا ». صوابها : (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً) (الأحزاب ١٣/٣٣) .

(٢) ومن الأحاديث ماجاء في :

ص ١٢/٦٢ : « ... عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم بارك لهم في مكيالهم وبأو لم لهم في ضياعهم وغيرهم ، يعني أهل المدينة ». صوابه كما في المخطوطة : « ... عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم بارك لهم في مِكْيَالِهِمْ ، وبارِكْ لهم في صَاعِهِمْ ومُدِّهِمْ يعني أهل المدينة » (١٠) .

ص ١٢/٨٠ – ١٤ : « ... عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المراثبة والمحافلة والمراثبة أشيرا الثمر في رؤوس النخل ، والمحافلة : كراء الأرض بالحيطة ». صوابه كما في المخطوطة : « ... عن أبي سعيد الخُدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المُزَابَنَةِ والمُحَاقَلَةِ ، والمزابَنَةُ : اشتراء الثَّمَرِ بالتَّمْرِ في رؤوس النخل ، والمحاقَلَةُ : كراء الأرض بالحِنْطَةِ » (١١) .

ص ٢/٩١ : « مالك عن زيد بن أسْلَمَ عن نجيد الأنصاري

ثم الحارثي عن جدته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردُّوا السايل ولو تكلف نحرف ». صوابه كما في المخطوطة : « مالك عن زيد بن أسْلَمَ عن بُجَيْد الأنصاري ثم الحارثي عن جدّته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رُدُّوا السائل ولو بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ » (١٢) .

ص ١٤/٩٩ – ١٥ : « ... عن عائشة أم المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تدرأت يطيع الله فليطعه ومن تدر أن يقضي الله فلا يقضه ». صوابه كما في المخطوطة : « ... عن عائشة أم المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من نَذَرَ أنْ يطيعَ اللهَ فليطعْه ، ومن نَذَرَ أن يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِه » (١٣) .

ص ١٨/١٣٤ – ١٩ : « ... عن محمد بن أبي بكر الثقفي انه سال أنس بن مالك وهما عاديان من منى إلى عرفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان يهمل المهمل مثل فلا تنكر عليه ويكبر المنكير فلا ينكر عليه ». صوابه كما في المخطوطة : « ... عن محمد بن أبي بكر الثقفي أنه سأل أنس بن مالك وهما غاديان من مِنى إلى عرفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان يُهِلُّ المهلُّ منا فلا ينكرُ عليه ، ويُكَبِّر المكبرُ فلا يُنْكَرُ عليه ».

ص ١٢/١٣٩ : « ... عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنير بالدنير والدرهم بالدرهم لايصل بينهما ». صوابه كما في المخطوطة : « الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لافضل بينهما » (١٤) .

ص ١٧/١٤٠ – ١٨ : « ... عن أبي هريرة أنه قال نساءكما سيئات على باب مايلات مميلا لايدخلن الجنة ولا يحدق فجمعا وزيجها . توفى ابن ميسرة سنة خمس ومائة سنة ». صوابه كما في المخطوطة : « ... عن أبي هريرة أنه قال : نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مُميلاتٌ لا يَدْخُلْنَ الجنةَ ولا يَجِدْنَ ريحَها . وريحُها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة» (١٥) .

ص ٤/١٤٢ : « ... عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو إمراة في الدين ». صوابه كما في المخطوطة : « ... عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينظر اللهُ إلى رجُلٍ أتى رجلاً أو إمرأةً في الدُبُرِ ».

ص ١٤/٢١٦ : « ... عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاميين ». صوابه كما في المخطوطة : « ... عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهِدِ ».

ص ١٥/٢٥٠ – ١٧ : « ... عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأعمال بالنية ولكل أمرئ مانوى ممن كانت متجرته إلى الله ورسوله فمتجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت متجرته لدينا يصيبها أو أمراة فيتزوجها فهجرته إلى بابها إليه ». صوابه كما في المخطوطة : « الأعمال بالنيّة ، ولكل امرئ مانوى ، فمن كانت هِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصيبُهَا ، أو امْرأةٍ يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » (١٦) .

(٣) ومن الأبيات الشعرية ماورد في :

ص ١٥/٨٩ – ١٦ :

١ – خليلى أبا حفص هل أنت مخيرى
أبى الحق أن اقضى وبدر ابن

صوابه كما في المخطوطة : (من الطويل)

١ – خَليلي أبا حَفْصٍ هل أنتَ مُخْبِرِي
أبَى الحقُّ أن أقْضِي ويُدْنى ابنُ أسْلَمَا

ص ١/٩٥ – ٢ :

١ – يايها القارى المرجى غمامته
هذا و ماقط إنى فرجلا بنى

صوابه كما في المخطوطة : (من البسيط)

١ – يا أيُّها القارِىءُ المُرْخِي عِمامَتَهُ
هذا زَمَانُكَ إني قَدْ خَلاَ زَمَني

ص ٥/٩٥ – ٦ :

١ – أبلغ خليف إاء إن كنت لا فيه
أنا الذى الباب محبوسون في قرن

صوابه كما في المخطوطة : (من البسيط)

١ – أبْلِغْ خَليفَتَنا إن كُنْتَ لاَقِيَهُ
أنَّا لَدَى البابِ محبوسُون في قَرَنِ

ص ١٧/١٦٩ – ١٨ : « قال علي بن الجون :

٢ – وسار يسيره العمرين فينا
يعدل في الحكومة واقتصاد »

صوابه كما في المخطوطة : « قال علي بن الجَوْن : (من الوافر)

٢ – وسار بِسِيرَةِ العُمَرَيْنِ فينا
بِعَدْلٍ في الحكومة واقْتِصَادِ »

عدم إدراكه للأوزان الشعرية أو لموسيقى الشعر

جعله يكتب بعض الأبيات على هيئة النثر ، مع مجموعة كثيرة من الأخطاء التي لاتحصى ، ومما يُستغرب له هنا أن المحقق لم يلتفت إلى عبارة (ومما ينشد) . ومن ذلك :

ص ١٧/١٠٦ – ٢٠ : « ومما ينشد لابن شهاب الزهري يخاطب أخاه عبدالله وقيل قالها لعبدالله بن عبدالملك بن مروان أقول لعبدالله يوم لقيته وقد شد اخلاس المطي شرفا تتبع خيابا الأرض وأدع مكيلها العلا يوما أن تجات فنزرعها». وصوابه كما في المخطوطة : « ومما يُنْشَدُ لابن شهاب الزهري يخاطب أخاه عبدالله وقيل : قالها لعبدالله

ابن عبدالملك بن مروان : (من الطويل)

١ - أقول لعبدالله يوم لقيته
وقد شد أحْلاسَ المَطِي مُشَرِّقاً

٢ - تَتَبَّعْ خَبَايا الأرض وادْعُ مَلِيكَها
لَعَلَّكَ يوماً أن تُجاز فَتُرْزَقَا

حذف بعض الأشعار عمداً

وقد أدّاه جهله بقراءة الأشعار ومعرفة الأوزان الشعرية أن يتخفف من بعض هذه الأشعار فيحذفها من المتن عمداً .

ومن أمثلة ذلك :

ص ٨/٣٦ : « ... وأنشد متمثلا : (من الكامل)

١ - يأبى الجَوَابَ فما يُرَاجَعُ هَيْبَةً
والسائلون نَوَاكِسُ الأذقانِ

٢ - هَدْيُ العليم وعزّ سلطان التُّقَى
فهو المُطَاعُ وليس ذا سلطانِ

ثم قال فيمن قيل ... »

والبيتان في حلية الأولياء ٣١٨/٦ - ٣١٩ وترتيب المدارك (طبعة بيروت) ١٦٧/١ .

ص ١٢/٣٦ : « ... عبدالله بن المبارك يقول فيه : (من الطويل)

١ - صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيَّنَ أهلهُ
وَفَتَّاقُ أبْكَار الكَلام المُخَتَّمِ

٢ - وَعى ماوَعَى القُرآن من كُلِّ حِكْمَةٍ
وَسِيطَت لَهُ الآدَابُ بِاللَّحم والدَّمِ

فقال له أبو إبراهيم ... »

والبيتان في ديوانه ق ٣٨ ص ٦١.

ليست لديه الخبرة بالأساليب القرآنية

ولذلك فاته تخريج كثير من الآيات التي تبدو كأنها نَثْرٌ عاديٌ في النص . ومن أمثلة ذلك :

ص ١٦/١٩٤ - ١٧ : « وروى أنه دفع إلى رجل ثلاثين ألف درهم وقال اقسمها في بيويات الأنصار ولا تعطيتما جارفا منها دوهما جاء في سمعت الله يقول أنهم قالوا بيوتنا عورة ومابيتى بعورة إن يريدون إلا قراراً وهم الذين أدخلوا على قومي يوم الحَرَّة ». صوابه كما في المخطوطة : « ورُوي أنه (أي عامر بن عبدالله بن الزبير) دفع إلى رجل ثلاثين ألف درهم ، وقال : اقسِمْها في بيوتات الأنصار ولا تُعْطِ يتيماً حَارِثاً منها درهماً ، فإني سمعت الله يقول : إنهم قالوا (بُيُوتنا عَوْرَة وما هي بِعَوْرَة إنْ يُرِيدُونَ إلاّ فِرَاراً) (الأحزاب ١٣/٣٣) وهم الذين أدخلوا على قومي يوم الحَرَّة ».

أخطاء في أسماء الكتب التي ينقل منها المؤلف

ومن ذلك :

ص ١/٩٣ ، ٧/٩٤ ، ١١/١٢٦ ، ٥/١٦٣ ، ١٧/١٧٨ ، ٣/١٩٦ ، ٣/٢٠٢ ، ١١/٢١٥ ، ١٣/٢٢١ ، ١/٢٤٠ ، ١١/٢٤٠ ، ٤/٢٤٢ ، ٦/٢٤٣ ، ٦/٢٤٧ : « وقال النسوي في التميز » . صوابه كما في المخطوطة : « وقال النسوي في التمييز ».

ص ١٤/١٠٨ : « وقد ذكرته في كتاب رفع البخاري في أسماء من تكلم فيه من رجال البخاري ». صوابه كما في المخطوطة : « وقد ذكرته في كتاب رفع التَّماري في أسماء من تُكلِّمَ فيه من رجال البخاري » (١٧) .

متابعة المحقق الهمزات في رسمها القديم في المخطوطة

والذي تعارف عليه المحققون في العصر الحاضر أن تكتب هذه الهَمْزات بالطريقة الإملائية الحديثة ، ومن ذلك :

ص ٤/٢٧ ، ١٠/٢٠٣ ، ١٠/١٠٨ ، ٢٠/١١٣ ، ١١/١٢٣ ، ٨/١٢٤ ، ٢/١٤٤ ، ٤/١٤٦ ، ٩/١٥٦ ، ٩/٢٠٥ ، ٨/٢٠٨ ، ١١/٢٠٨ ، ٢٠/٢٠٨ ، ١٧/٢١٠ ، ١٤/٢٣٨ : « ابن أبي ذيب ». صوابه : « ابن أبي ذئب ».

ص ٢/٣٣ : « عبدالله بن نافع الصايغ ». صوابه : «عبدالله بن نافع الصائغ ».

ص ٤٥٣/ : « حتى تعلمَ أنَّ ما أصَابَكَ لم يكن ليخطيك ». صوابه : « حتى تعلمَ أنَّ ما أصَابَكَ لم يكن لِيُخْطِئَكَ ».

ص ١٠/٧٤ : « اخْتُلِفَ في ولايه ». صوابه : « اخْتُلِفَ في ولائه ».

ص ١١/٨١ ، ١/١٠٢ ، ١/١٠٧ ، ٤/١٥٦ ، ١/١٧٤ ، ٥/٢٠١ ، ٤/٢٣٥ ، ٥ - ١٢/٢٤٤ : « السايب ». صوابه : « السائب ».

ص ١٠/١١٠ : « كان سماعه مع الولاة إملا من الزهري عليهم ». صوابه « كان سماعه مع الولاة إملاء من الزهري عليهم ».

ص ١٧/١٢١ ، ٩/١٢٢ ، ٢٠/١٢٦ ، ١٣/١٤٣ ، ٩/١٩٦ ، ١/١٩٧ ، ٦/٢٢٢ ، ١٣/٢٤٣ ، ٧/٢٥٣ : « عايشة ». صوابه : «عائشة ».

ص ٧/١٤٨ : « من يجترى على أيوب ». صوابه : « مَنْ يَجْتَرِيءُ على أيوب ».

ص ٦/١٦٤ : « أبو الصلت زايدة بن قدامة الثقفى ». صوابه : « أبو الصلت زائدة بن قدامة الثقفي ».

ص ٩/٢٢٢ : « يحيى بن زكريا بن أبي زايده ». صوابه : « يحيى بن زكرياء بن أبي زائدة » ، وانظر كذلك : ص ٦/٢٠١ .

ص ١٣/١٨٣ : « عبدالكريم صاحب سنة وسالم مرجى». صوابه : « عبدالكريم صاحب سنة وسالمٌ مُرْجِئٌ ».

ص ٢/١٩٥ : « فسمع عامر بن عبدالله بن الزبير دعاه». صوابه : « فسمع عامر بن عبدالله بن الزبير دعاءه »

ص ٣/٢٠٨ : « عطاء بن مينا ». صوابه : « عطاء بن مِينَاءَ ».

ص ٣/٢٥٠ : « كاني أنظر إليها صفرا ». صوابه : «كاني انظر إليها صَفْرَاءَ ».

أخطاؤه في وضع الهمزة

أما أخطاؤه في وضع الهمزة فوق الألف أو تحتها فحدّث عنها ولا حرج . ومن أمثلة ذلك :

ص ٤/١٩ : « حِمْير بن سبأ ». صوابه : « حمير بن سبإ ».

ص ١٠/٢٩ : « إدركت أقواما صالحين ». صوابه : «أدركت أقواما صالحين ».

ص ٥/٩٩ : « عامل إيلة ». صوابه : « عامل أيْلَةَ ».

ص ٢١/١٠٧ : « يونس بن يزيد الإيلي ». صوابه : «يونس بن يزيد الأيْلِي ».

ص ١٤/١٣٢ : « محمد بن أبي إمامة ». صوابه : «محمد بن أبي أمامة ».

١٣/١٣٦ : « إدرك عبدالله بن عمرو ». صوابه : « أدرك عبدالله بن عمرو ».

ص ٧/١٤٣ : « إن ابن عمر إصابه في غزاته ». صوابه : « إن ابن عمر أصابه في غزاته ».

ص ٢/١٤٥ : « وإصحابه الذين أخذوا عنه ». صوابه : «وأصحابه الذين أخذوا عنه ».

تمييز الهمزة في حالتي القطع والوصل

كما أنه لايميز بين الهمزة في حالتي الوصل أو القطع ، ومن ذلك :

ص ٦/٣٦ : « فانبعث معه أبو إبراهيم ». صوابه : «فانبعث معه أبو إبراهيم ».

ص ٨/٥٠ : « وإذا إختلف أيوب وابن عون ». صوابه : « وإذا اخْتَلَفَ أيوب وابن عون ».

ص ٤/٥٦ : « وأشدهم أتباعا للسنة ». صوابه : «وأشدهم اتِّباعاً للسنة ».

ص ٦/٥٦ : « لما مات محمد بن سيرين أغتممت عليه غما شديدا ». صوابه : « لما مات محمد بن سيرين اغْتَمَمْتُ عليه غَمّاً شديداً ».

ص ١٤/١١٩ : « فاغفرلي ماقدمت وأخرت ». صوابه : «فاغفر لي ماقدمت وأخرت ».

ص ١٨/١٩٤ : « فاستنفقها محمد بن المنكدر ». صوابه : « فاسْتَنْفَقَهَا محمد بن المنكدر ».

ص ٩/٢٤٩ : « فكان أول من أستقبله جنازة ». صوابه : « فكان أول ما اسْتَقْبَلَتْهُ جنازةٌ ».

أخطاء نحوية

لم يسلم النص من بعض الأخطاء النحوية التي وقعت به . ومن ذلك :

ص ١٤/٣٧ : « فلم يوصي بهما إلى أحد ». صوابه : «فلم يُوصِ بهما إلى أحد ».

ص ٢/٤٠ : « وذكر ابن أبي حاتم أنه سال عنه أبيك ». صوابه : « وذكر ابن أبي حاتم أنه سال عنه أباه ».

ص ٤/٦٧ : « لم يروى مالك ». صوابه : «لم يَرْوِ مالك ».

ص ١٢/٧٣ : « تناول رجل حميد الطويل ». صوابه : «تناول رجل حميداً الطويل ».

ص ١٦/٧٩ : « ولولا أن مالك روى عنه لترك حديثه ». صوابه : « ولولا أن مالكاً رَوَى عنه لتُرِكَ حديثُهُ ».

ص ١٩/٨٣ : « سمعت مالك يقول : ». صوابه : «سمعت مالكاً يقول : ».

ص ١٩/٩٢ : « سمعت رجل من حران ». صوابه : «سمعت رجُلاً من حَرَّان ».

ص ١/١١٠ : « وأن مالك عرض ». صوابه : « وأن مالكاً عَرَضَ ».

ص ١١/١١١ : «وذكرنا مالك». صوابه : «وذكرنا مالكاً»

ص ١٧/١١٤ : « أعطاني الزهري جزء فكتبته ». صوابه: « أعطاني الزهري جزءاً فكتبته ».

ص ٥/١١٥ : « ويقال أن مالك انفرد به ». صوابه : «ويقال : إن مالكاً انفرد به ».

ص ٩/١٩٥ : « فاعطاه عن كل بيت دينار ». صوابه : « فاعطاه عن كل بيت ديناراً ».

ص ١٥/١٩٨ : « سالت يحيي بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني قال ضعيفا ». صوابه : « سالت يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني قال ضعيفٌ ».

ص ٤/٢١٥ : « سالت مالك ». صوابه : «سالت مالكاً».

ص ٢/٢٢٨ : « فلقى أبي هشام بن عروة ». صوابه : «فلقى أبا هشام بن عروة ».

ص ٢٢/٢٢٨ : « وكان قد بلغ خمس ». صوابه : « وكان قد بلغ خمساً ».

ص ١/٢٣٣ : « وأبا هريرة و جابرٌ ». صوابه : « وأبا هريرةَ و جابراً ».

ص ٤/٢٤٠ : « لم يروى عنه ». صوابه : « لم يَرْوِ عنه».

ص ٣/٢٤٨ ؛ ٥ : « سمعت جرير ». صوابه : « سمعتُ جريراً ».

أخطاء الإملاء

من الأخطاء الإملائية التي تكررت في الكتاب كلّه ، خطؤه في كلمة : « يحيى » التي يكتبها دائما : (يحي) انظر مثلا: ص ٩/١٧ ، ٥/٢٤ ، ٥/٢٨ ، ٢/٣٤ ، ١٢/٣٧ ، ٢/٤٣ ، ١٧/٤٩ ، ١/٥٥ ، ٤/٥٩ ، ١/٦٠ ، ١/٦١ ، ١٥/٦٣ ، ٩/٦٥ ، ١٧/٦٦ ، ١١/٧٢ ، ٧/٧٥ ، ١١/٧٧ ، ١/٨٣ ، ١/٨٥ ، ٩/٩٣ ، ١٤/٩٦ ، ٦/٩٩ ، ٦/١٠٣ ، ٢٠/١٠٥ ، ١٨/١٠٩ ، ٢١/١١٠ ،

١٦/١١٢ ، ١/١١٤ ، ١١/١١٨ ، ١٧/١٢٣ ، ٧/١٢٦ ، ١١/١٢٨ ، ١/١٣٠ ، ٣/١٣٢ ، ٨/١٣٥ ، ٣/١٣٦ ، ٩/١٣٨ ، ٥/١٤٤ ، ٢١/١٤٦ ، ٥/١٥٠ ، ١٠/١٥٢ ، ١٠/١٥٥ ، ١٨/١٦١ ، ١٨/١٦٥ ، ٨/١٦٨ ، ٨/١٧١ ، ٢/١٧٣ ، ١٢/١٧٦ ، ٩/١٧٨ ، /١٨٥ ، ١٨/١٨٧ ، ٥/١٨٨ ، ٧/١٨٩ ، ٨/١٩٠ ، ١٠/١١١ ، ٧/١٩٢ ، ١٢/١٩٧ ، ٥/١٩٩ ، ١٨/٢٠١ ، ٧/٢٠٧ ، ٤/٢١٠ ، ١٢/٢١٢ ، ٧/٢١٤ ، ٥/٢١٥ ، ١٣/٢١٧ ، ٩/٢٢١ ، ١١/٢٢٤ ، ٣/٢٢٦ ، ١٦/٢٢٧ ، ١٦/٢٣٢ ، ٢/٢٣٨ ، ١/٢٤٤ - ٢ ، ٢/٢٤٧ ، ٢/٢٤٨ ، ١/٢٤٩ ، ٢/٢٥٠ ، ٢/٢٥٢ ... وفي صفحات كثيرة من الكتاب - لاحصر لها - كتبت كلمة : (ابن) بالألف ، وهي بين علمين وليست في أول السطر . كما كتبت كلمة : « يدعو » للغائب المفرد المذكر في (ص ١٣/٦٣ ، ٢٠/٩٤ ، ١٧/١٩٩) هكذا : « يدعوا » بالألف .

والحق أن هذا الكتاب ليس فيه من التحقيق إلا الكذب على التحقيق والافتراء على المحققين ، لا يخلو سطر فيه من أربعة أخطاء على الأقل ، أما التخريج كما رأينا فلا يعرفه ، وأما السقط فكثير كثير ، ولا شك أن مخطوطة الكتاب أصح من تحقيق زينهم إلى حد بعيد ، وقد قابلتها مع المطبوعة فوجدتها تخلو من أخطائه الفاحشة القاتلة التي لاتحصى .

وإننا نتساءل أخيرا هل يمكن لمثل هذا الشخص أن يُشرف على نشر كتب تراثية بدار كبرى كدار المعارف ؟

وبعد ، فهذا مابدا لنا من خلاف بين المطبوع والمخطوط وقد انتهينا من تحقيقه ودراسته على نسخته الوحيدة ، وشاركتنا العمل فيه نجاة المريني من كلية آداب الرباط ، ونرجو أن ييسر الله لنا إخراج الكتاب مطبوعا في وقت قريب ، إنه سميع مجيب .

الهوامش

(١) مساجلات - عبده عبدالعزيز قلقيله ص ١٨٣ مكتبة الأنجلو - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٠م .



(٢) فهرس المخطوطات المصورة ١٥/٢ .

(٣) انظر : ص ١٧ (ط) ، ورقة ٢ أ (خ) .

(٤) أسماء الكتب المخطوطة ص ٧٨ .

(٥) انظر في تفسير هذه الكلمة مقال : القنداق وألفاظ أخرى للمرحوم عبدالله كنون ص ١٣٧ - ١٤٠ ضمن كتاب « البحوث والمحاضرات » - مجمع اللغة العربية - القاهرة الدورة الثانية والثلاثون ١٩٦٥م - ١٩٦٦م الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

(٦) وفيات الأعيان ١٨٢/٤ .

(٧) الموطأ (طبعة عبدالوهاب عبداللطيف) ص ٢٦٦ - ٢٦٧ رقم ٨٢٧ .

(٨) الموطأ ص ٥٦٢ (عبدالباقي).

(٩) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين - رمضان عبدالتواب ص ١٥٨.

(١٠) الموطأ (طبعة محمد فؤاد عبدالباقي) ص ٨٨٤ - ٨٨٥ .

(١١) الموطأ (طبعة عبدالوهاب عبداللطيف) ص ٢٥١ رقم ٧٨٠ .

(١٢) المصدر السابق ص ٣٠١ رقم ٩٣٣ .

(١٣) نفسه ص ٢٤٠ رقم ٧٥١ .

(١٤) الموطأ (طبعة عبدالوهاب عبداللطيف) ص ٢٦٣ رقم ٨١٦ .

(١٥) الموطأ (طبعة بيروت) ص ٧٩٣ .

(١٦) الموطأ (طبعة القاهرة) ص ٣١٢ رقم ٩٨٣ .

(١٧) ذكره ابن خلفون بهذا الاسم وأحال إليه في كتابه أسماء شيوخ مالك بن أنس (خ) ورقة ٣٣ أ، (ط) ص ١٤/١٠٨ ويسمى : « رفع التَّماري فيمن تُكلِّمَ فيه من رجال البخاري» في الذيل والتكملة س ، ص ١٣٠ وبرنامج شيوخ الرعيني ص ٥٥ ، وهو - عند ابن عبدالملك المراكشي في «مجلد » ، وعند - الرعيني - في « سفر » .

٤٩

أبى حكيم مسلم وهو ثقة قاله يحي والنسوى . وقال أبو عمر النمرى إسماعيل بن أبى حكيم سكن بالمدينة وكان فاضلاً ثقة وهو حجة فيما روى عنه جماعة أهل العلم .

روى عن مالك عن إسماعيل بن أبى حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال أكل كل ذى ناب من السباع حرام ، قال مالك وهذا الأمر عندنا .

وخرج عبدالله بن على بن الجارود نا حماد بن عنبسه الوراق قال فاتكى يعنى إبن إبراهيم قال نا عبدالله بن سعيد بن مرجانة قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منه إربا منه من لناق حتى ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالعرج العرج .

فقال على بن حسين : يا سعيد أنت سمعت هذا من أبى هريرة قال نعم . فقال على بن حسين عند ذلك لغلام له أبرة فلما أدع لى مكانا فلما قام بين يديه قال أذهب فأنت حر لوجه الله .

نظرات في كتاب الإشراف في منازل الأشراف

لابن أبي الدنيا

تحقيق نجم عبدالرحمن خلف

وليد قصّاب

ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبدالله بن محمد/ الإشراف في منازل الأشراف تحقيق نجم عبدالرحمن خلف . - الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

صدر عن مكتبة الرشد في الرياض (١) كتاب {الإشراف في منازل الأشراف } للإمام الحافظ المحدِّث أبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ) بتحقيق نجم عبدالرحمن خلف الأستاذ المساعد في الجامعة الإسلامية . وهو كتاب جليل القدر ، عظيم القيمة ، يُعَدّ من المصادر الهامة في تراثنا العربي الإسلاميّ ، وهو من كتب الأدب العام ؛ إذ هو أمشاج من أقوال وحكم ومواعظ وأخبار لأشراف الرجال وساداتهم من الصحابة والتابعين والفقهاء والحكماء والقضاة والقادة وغيرهم ، وهو يضمّ حكايات لطيفة ، ومتفرِّقات أدبية ، وأشعاراً وطرفاً مأثورة ، ويدخل - في جملته - فيما أخذ ابن أبي الدنيا به نفسه من اهتمام بالتصنيف في الرقائق والزهد ، ويشكِّل مادة تأديب وتهذيب وحثّ على الخلق الإسلاميّ الكريم . ويلتزم المصنِّف - وهو المحدّث الكبير - أسلوب المحدثين في إيراد الأخبار ، فيسوقها بالأسانيد المتصلة إلى أصحابها ، ممّا يمكِّن من الحكم عليها ، ومعرفة درجتها .

وعلى اتصال المحقق الوثيق بابن أبي الدنيا ، ونشره بعضاً من كتبه ؛ جاء عمله في هذا السُّفر الجليل مخيباً للآمال ، لما وقع من التصحيف والتحريف ، والبعد عن المنهجية والدقة في مواطن لاتكاد تُحصى .

وإليك بعضاً من ذلك :

- الخبر (٣) أثبت المحقق البيت الأول من أبيات الشاعر شداد بن الأسود : «وماذا بالقليب » وهو في الأصل : «ماذا ..» وخطّأ الأصل وعدّه مصحَّفاً ، وهو صواب ؛ ففي الجزء خرم ، وهو علة عروضية ، إذ سقط الحرف الأول من الوتد المجموع . وضبط (الشُّرب) في البيت الثالث بكسر الشين ، والصواب فتحها (الشَّرْب) وهم جماعة الشاربين .

- في الخبر (٥) : «هلم نبايعُك» والصواب سكون العين : «نبايعْك» .

- وفي الخبر (١٠) : «مارأيت رجلاً أحسن وجهاً أحسن ..» و «أحسن » الثانية مقحمة ، وكلام أبي عتاب في مختصر تاريخ دمشق : ٣١٥/١٥ .

- الخبر (١٧) وفيه : «حذِر المنية ..» والصواب : «حذَر» بالفتح ، وفيه : «إذا امرءاً » والصواب : «إن ..»

- الخبر (١٨) وفيه : «أن أفْزَعا» ولايقوم بها الوزن ، والصواب : «أفَزْعا»

- الخبر (٢٣) وفيه : «إن أكرم الخلق مابدأ أن نفخ فيّ الروح ..» وهو كلام مضطرب ، وفيه : «فنظرت فيه ، محمد رسول ..» وهو مضطرب ، ولعلّ في الكلام سقطاً ، ولم يشر إليه المحقق .

- الخبر (٢٥) وفيه : «لَيَثيني» والصواب : «ليُثيني» بضم الثاء ، وفيه : «وإنني» بكسر الهمزة ، وصوابها الفتح : «وأنني» وفيه : «يظلُع» بضم اللام ، والصواب الفتح

- الخبر (٢٦) وفيه : «فاطلا» والصواب : «فاطّلى» أي تلطخ . وفيه : «ونحسن عطاءك» وهي في الأصل : «نُسني» أي نرفع ونجزل ، ولم يحسن المحقق قراءتها .

- الخبر (٢٧) وفيه : «تركت» ولا معنى لها ، الصواب -كما في أخبار القضاة - «نزلت» وفيه : «أكتبها» والصواب : «اكتبها» بالوصل ، ولعلها من زلات الطباعة .

- الخبر (٢٩) وفيه : «لا ألفينك» وفي الأصل : «لأُلفينْك» ولا أدري لماذا غيّرها المحقق .

- الخبر (٣٩) وفيه : «منازل العسكر معمورةُ» ولا يقوم بها الوزن ، والصواب : «معمو رُ » .

- الخبر (٤٠) وفيه : «وكما لم تَعْرف .. غايةً ، كذلك جهلتُ .. إلا مالهم ..» وهو كلام مضطرب ، صوابه : «وكما لم تُعرَف .. غايةٌ ، كذلك جُهِلتْ .. إلا ما ألهموا»

- الخبر (٤١) وفيه : «متأخُرا» والصواب : «متأخْرا» بفتح الخاء ، وفيه : (يابُرز) وهي (يابَرز) بفتح الباء ، وفي البيت الثالث : «عارف» والصواب : «عارق» بالقاف ، من عرق العظم : أكل ماعليه من اللحم .

- الخبر (٤٢) وفيه : «يتأكّل الناسُ» والصواب : «الناسَ» بالفتح .

- الخبر (٤٤) وفيه : «لورآني» وهي كذا في الأصل ،ولا يستقيم بها الوزن ، والشعر في المصادر : «فلورآني» وفي البيت الثالث : «تهلك الطرق» وإنما هي : «الورق» كما في مصادر كثيرة ، كالطبري : ١٠٧/٦ ، والإصابة : ١٨٧/٣ والأوائل : ٥٠/٢ ، وغيرها .

- الخبر (٤٦) وفيه : «وتضحى وجوه» وإنما هو : «وتضحي» بكسر الحاء .

- الخبر (٤٧) وفيه : «وقلّ عليك» وصوابه : «وقُلّ»

وفيه : «بدائق» وصوابه : «بدابق» وفيه : «حُريبتي» والصواب : «حَريبتي» بفتح الحاء .

– الخبر (٥٣) وفيه : «بعيداً من أبواب» والصواب بالوصل : «بعيداً منَ ابواب» وفيه : «مجانب» والصواب – كما في الأصل – : «مجانباً»

– الخبر (٥٥) وفيه : «وأعظمه غنى .. وإنه لأعظم الناس غنى ..» والصواب في الموضعين : «غَنَاء» والغناء : الكفاية .

– الخبر (٦٢) وفيه : «ثم العام المقتبل» صوابه : «ثم العام المقبل» وهو في الأصل : «ثم العام ثم المقبل» ولم يشر المحقق إلى ذلك .

– الخبر (٦٣) وفيه : «ليس فيها تنويه» وإنما هو : «ليس فيها مثنوية»

– الخبر (٦٥) وفيه : «وإنا نخاف» وهو في الأصل : «فإنا ..» وهو الأصحّ .

– الخبر (٦٦) وفيه : «فقلت : إن الحجاج كافر ....» والأصل : «فقلت أنا : الحجاج كافر ..»

– الخبر (٦٨) وفيه : «ظاهر الخز» وصوابها : «طاهر» بالمهملة ، كما في نسخة الظاهرية ، وفيه : «سرادقُ المجلد عليك ممدودِ . أنت الجواد والجواد محمودِ «وهو خطأ فاضح وفيه : «أجب دعاك» ولا يقوم بها الوزن ، والصواب : «دعاءك»

– الخبر (٧٠) وفيه : «تدفن الغَرّة» وهي : «الغُرّة» بضم الغين .

– الخبر (٧٣) وفيه : «لم تنتج» ولا يقوم بها الوزن ، وصوابها : «لم تنتتج» وفيه : «دِرتها» والصواب : «دَرتها» بفتح الدال ، من الدَّر . وفيه : «يعشى» وهي : «يغشى»

– الخبر (٩٢) وفيه : «ينازعها جلد استة وتنازعه» وقد أورده المحقق على أنه نثر ، وهو نصف بيت من الشعر ، وعلق في الحاشية على كلمة : «استة» قائلاً : «كذا في الأصلين» وإنما هي : «استه»

– وفي الخبر (٩٥) علق على كلمة «استه» الواردة في الشعر بقوله : «كذا في الأصل !!» ولا أدري ما الذي لفت نظره هنا وفي الموضع السابق حول هذه الكلمة .

– الخبر (٩٦) ورد فيه اسم «الأحوص» بالمهملة في أكثر من موضع ، وصوابه : «الأخوص» بالمعجمة ، كما في المؤتلف والمختلف : ٤٩ ، وهو زيد بن عمرو . وفيه : «حراء» والصواب : «جراء» بالمعجمة ، كما في الأصمعيات ، والأغاني : ١٣٤/١٣ ، وضُبط اسم الشاعر : «ابن وُثيل» وصوابه : «وَثيل» بفتح الواو . وفيه : «لايرى أنه ضيَع» والصحيح – كما صُوِّبت في حاشية نسخة الظاهرية – صنع ، وهي موافقة لرواية الأغاني .

– الخبر (١٠٠) وفيه : «قوسي» والصواب «قُوسى» وهو موضع ببلاد السراة . وفيه : «توكل بالأدنى وإن جلّ..» وأظن الصواب : «نوكل»

– الخبر (١٠٢) وفيه : «وحقٌ مازعم» وصوابه : «وحقٌ مازعم» وفيه : «فالصدق للبر وللفضل الكرم» ولم يحسن المحقق قراءتها ، إذ هي في الأصل : «أدم» وهي من «أدم بينهما» أي أصلح .

– الخبر (١٠٣) وفيه : «أعرابية من صَباح» والصواب : «صُباح» بضم الصاد . وفيه : «لاتَهْجُري» وصوابه : «لا تُهْجِري» فهو من أهجر ، أي تكلّم بالهُجر ، وفيه : «ولا تُنْثُين» وصوابه : «تَنْثُنْ» من نثّ الحديثَ ، أي أفشاه ، وفي الأصل : تنثين .

– الخبر (١٠٦) وفيه : «ألْجَمْت» بالمعلوم ، وأظن صوابه : «أُلجِمْتَ» بالمجهول ، وفيه : «ومَدَّ» صوابه : «مُدَّ» بالمجهول كذلك .

– الخبر (١٠٩) وفيه : «لا يُطلع» والصواب : «لا يَطّلعُ الناسُ» وفيه : «لم آلِك» والصواب : «آلُك» وفيه : «وتحظى» والصواب : «وتَحظَ»

– الخبر (١١٠) وفيه : «قد خنت ؟» وهي : «قد خِفتُ» وفيه : «جزِل» وهي : «جَزْل» وفيه : «أجلها» وأظنها : «أحلَها» وفيه : «مُحَسَّنة للون ، مُطَيَّبة ..» وصوابه : «مَحْسَنَة .. مَطيَبَة» وفيه : «الطُرْق» وهي : «الطِّرْق» وهو الشحم والقوة . وفيه : «معمور مقهور» والصواب : «مغمور» وفيه : «يُقصد» والصواب : «يَقْصِد»

– الخبر (١١٩) وفيه : «مقاحيدَ أمثالَ التماثيل بُزّل .. جزيليه» والصواب في هذا : «مقاحيدُ .. أمثالُ .. بُزّلٌ .. جَدِيليةٌ» وفي البيت الأول : «جَمَالُها» وهو : «جِمَالُها» وفيه : «أسار» وهي : «إسار» .

– الخبر (١٢٠) وفيه : «حِبِّي البَتٌ» والصواب : «حتى البَتٌ» وهو شعر معروف .

– الخبر (١٢٢) وفيه : «وشباب بها حماةٌ وشيبِ» صوابه : «وشبابٍ بها حماةٍ وشيبِ» وفيه : «منع البرَّ ضغنَ..» والصحيح : «منع البرَّ ضغنٌ» وفي الأخير : «ذاك أني» والصحيح : «إني» .

– الخبر (١٢٨) وفيه : «ذُلّ» والصحيح : «ذَلّ» بالفتح .

– الخبر (١٣٣) وفيه : «هذا المشيب عارضيا» والأصل : «في عارضيا» وهو الصحيح ، وفيه : «طالما جهده» والصواب : «ظالماً» بالمعجمة. وفيه : «وغدا» ولايقوم بها الوزن ، وأظن صوابها : «وعداً» وفيه : «أخذُ القدٌ» ولا معنى لها ، وأظنها «القَدٌ» .

– الخبر (١٤٢) وفيه : «إن مُغْداه» ولايقوم بها الوزن ، وصوابها : «مُغَداه» .

– الخبر (١٤٣) وفيه : «يرتِق» والصحيح ضم التاء: «يرتُق» .

- الخبر (١٤٦) وفيه : «سألتُ أميرَ المؤمنين المهدي أبا عبيد ينظر ... فاخبر بمحمد ..» وأبو عبيد هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، أحد كبار الوزراء ، فوّض المهدي إليه تدبير المملكة (انظر سير أعلام النبلاء : ٣٩٨/٧) .

- الخبر (١٥١) وفيه : «ألا استعدي» والصحيح للوزن والمعنى : «ألا اسعدي» وفيه : «كانوا أشباه» ولايقوم بها وزن ولا معنى ، والصحيح : «كانوا أساة» وفيه : «وخرّمتهم ربوعٌ ..» وأظن صوابها : «وخرٌ منهم ربوعٌ .. » .

- الخبر (١٥٢) وفيه : «ربطتي» والصحيح : «ريطتي» وهي الملاءة . وفيه : «وادى» والصحيح : «وأرى» وفيه : «عضنّي» ولايقوم بها الوزن . وفيه : «أزُلغيت» ولا معنى لها ، والصحيح : «ازلغبّتْ» أي طلع ريشها .

- الخبر (١٥٣) وفيه : «سلام ترى» والصواب : «سلم» وكذا الأصل ، والسَّلْم : الدّلو .

- الخبر (١٥٤) وفيه : «حُلْ سبيلَ .. » والصحيح : «خَلِّ سبيلَ» كما في عدد من المصادر كالهواتف لابن أبي الدنيا : ٦٤ ، وآكام المرجان : ١٤٨ .

- الخبر (١٦٦) وفيه :«إن أفضلَ أهل زمانكم المُثَبِّطين» وهو خطأ بيِّن وصوابه : «المُتَبَيِّنُ» .

- الخبر (١٧١) وفيه : «استقبال الشمس واستدبارها دواء» ولا معنى لهذا الكلام ، وأحسب أن فيه سقطاً ، وصوابه : «استقبال الشمس داء واستدبارها دواء» .

- الخبر (١٧٥) وذكر فيه المحقق أن في البيت : «ومولى كداء .. » إقواء ، والحق أن البيت مقحم على هذه القصيدة من قصيدة أخرى ، ولو رجع إلى ديوان حاتم (ص ٤٨) لوقف على ذلك .

- الخبر (١٧٦) وفيه : «وأَبَو ثقالاً» ولا أدري مامعنى هذا ، ولعله من زلات المطبعة ، وصحيحه : «وأبوا ثقالاً» وفيه : «سقانا بكأسهما .. » والصحيح - ليقوم الوزن - «سقاناه» .

- الخبر (١٨٢) وفيه : «يكتب قدامه شيئاً يُمْلِه» وهو خطأ فادح ، والصحيح : «يُمِلُّه» .

- الخبر (١٨٣) وفيه : «أعزم على صاحبها الإمام» والصحيح : «إلا قام» .

- الخبر (١٨٥) وفيه : «أربعين بعيراً أو ثلاثاً وثلاثين» والقياس : «ثلاثة» .

- الخبر (١٨٦) وفيه : «ليسوا بالمنخزقين» وصوابه : «المتحزِّقين» والمتحزِّق : البخيل .

- الخبر (١٨٧) وفيه : «تحدوا بحُمَل ثِقَال» والصحيح : «تحدوا بجمل ثُقَال» والجمل الثُّقال - كسحاب - البطيء من الإبل وغيرها .

- الخبر (١٩٠) وفيه : «يعمل على مايهوى» ومن الواضح أن السياق يقتضي : «تهوى» وفيه : «مَؤنة» والصحيح : «مُؤْنة بالضم ، أو مؤونة .

- الخبر (١٩١) وفيه : «من يقيه فما له ..» والصحيح : «من يَقُتُه» .

- الخبر (١٩٢) وفيه : «طابت معاقد الأزر من .. » وهو كلام مضطرب ، صوابه : «معاقد أزر من .. » وفيه : «إنهم لم يعقدوها» بالكسر ، والصحيح الفتح : «أنهم لم .. » .

وأمسك عن إيراد ما وقع في بقية الأخبار من تخليط عجيب ، وأحسبني بعد هذا القدر من التتبع في غنى عن إيراد المزيد . والحق أنه لايكاد يخلو خبر واحد من تصحيف ، أو تحريف ، أو خطأ في اللغة ، أو في ضبط الألفاظ ، ممّا هو بريء من زلات المطبعة .

تصحيفات الأعلام

وعلى تتبع المحقّق للأعلام ، وعنايته بها أكثر من عنايته بتحقيق النص وإخراجه سليماً معافى ، أخطأ في الكثير منها ، وإليك نماذج ممّا وقفنا عليه :

- الخبر (٩) وفيه : «حدثنا يزيد ، يعني ابن زياد ، ..» والصواب : «ابن أبي زياد» وهو أبو عبدالله القرشي الهاشمي (انظر تهذيب التهذيب : ٢٨٧/١١) .

- الخبر (١٤) وفيه : «نصر بن باب» وهو الأصل ، والصواب فيه : «نصر بن ثابت» فهو الذي روى عن داود بن أبي هند (انظر لسان الميزان : ١٥٠/٦) .

- الخبر (٣٠) وفيه : «رجلاً أحمر من حمدان» والصحيح : «همدان» ولعله وزر الطباعة .

- الخبر (٣٩) وفيه : «حدثني سهيل بن عبدالرحمن» والصحيح أنه : «سهل بن عبدالرحمن» أبو الهيثم السّدي (انظر الجرح والتعديل : ٢٠١/٤) .

- الخبر (٤٠) وفيه : «الحسن بن جهور» وقد ترجم له المحقق من لسان الميزان : ١٩٨/٢ ، واسمه في اللسان : «الحسن بن جمهور» ولم يستوقف ذلك المحقق .

- الخبر (٥٤) وفيه : «حدثنا ابن حصين» والصحيح : «أبو حصين» الكوفي ، عبدالله بن أحمد (انظر تهذيب التهذيب : ٤١/٥) وكذا هو الأصل ، ولم أدر لماذا عدل عنه وغيّره من دون إشارة .

- الخبر (٥٩) وفيه : «أخبرنا حصين عن عبيدالله بن عتبة» والصحيح - كما هو الأصل الذي لا أدري لماذا عدل عنه - : «عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي» (انظر تهذيب التهذيب : ٢٣/٧) .

- الخبر (١٣١) وفيه : «سالم بن قتيبة عن الأصبغ ، عن القاسم ، عن أبي أيوب» والصواب : «سلم بن قتيبة عن الأصبغ عن القاسم بن أبي أيوب» وهو ابن بهرام الأسدي (انظر تهذيب التهذيب : ٣٠٩/٨) .

– الخبر (١٥٢) وفيه : «عمّار بن أبي كُبار» واسمه في الأغاني : (٢٢٠/٢٤) عمار ذو كُبار ، وهو شاعر أموي .

– الخبر (١٦٧) وفيه : «الجَريري» بفتح الجيم ، والصواب ضمها «الجُريري» وهو سعيد بن إياس البصري (انظر تقريب التهذيب : ٢٩/١) .

– الخبر (١٧٦) وفيه : «حدثنا محمد بن تمام الطائي عن أبي سورة التنّيسي» والصحيح أنه : «السُّنْبِسيّ» نسبة إلى «سنبس» وهي قبيلة مشهورة من طيء .

– الخبر (١٨٤) وفيه : «حدثنا مزاحم بن داود بن علبة» والصحيح : «مزاحم بن ذوّاد» انظر تهذيب التهذيب : ٢٢١/٣

– الخبر (٢٠٠) وفيه : « مولى بني سوادة بن عامر » والصحيح : «بني سُوَاءة ابن عامر » بن صعصعة (انظر جمهرة أنساب العرب : ٢٧٢) .

– الخبر (٤٨٧) وفيه : «حدثنا ابن أبي عتبة» والصحيح أنه : «ابن أبي غنيّة» وهو يحيى بن عبدالملك الخزاعي (انظر تهذيب التهذيب : ٢٥٢/١١) وفيه : «محرز ابن حُريب» والصحيح : «ابن حُريث» وفيه : «الحسن بن الحسن » وصوابه : «الحسن بن الحر» النخعي ، وقد ورد الخبر بهذا الإسناد في سير أعلام النبلاء : ٥٢/٦ .

– الخبر (١٣١) وفيه : «كان سعيد يبكي بالليل .. » وذكر المحقق في الحاشية أنه سعيد بن المسيب ، والصواب أنه سعيد بن جبير ، وخبره بالإسناد المذكور في حلية الأولياء : ٢٧٢/٤ ، وسير أعلام النبلاء : ٣٣٣/٤ .

إهمال الفروق بين النسخ

والاهتمام – في التحقيق – بذكر الفروق بين النسخ أمر رئيسي لا يخفى على أحد ، ولكن المحقق أهمل في بعض المواطن الإشارة إلى فروق هامة بين النسختين اللتين اعتمدهما في التحقيق ، وإليك نماذج من ذلك :

– الخبر (٧٣) وفيه : «وبنو مجد قعوداً» ورواية النسخة الظاهرية التي لم يشر إليها : «قعودٌ» وهي الصواب .

– الخبر (١٠٠) وفيه : «وإن جلّ ما يمضي» وفوق «جلّ» في نسخة الظاهرية : «ذم» ويبدو أنها رواية أخرى ، ولم يشر المحقق إلى ذلك .

– الخبر (١٠٣) وفيه : «تغريه» ورواية نسخة الظاهرية: «تقزيه» .

– الخبر (١١٢) وفيه : «حدثني جعفر بن عمر» وفي النسخة الظاهرية : «حفص بن جعفر» ولم أدر أيهما أصحّ ؛ إذ لم أجد ترجمة لأي منهما .

– الخبر (١٢٣) وفيه : «أبو نهيك» وهذه رواية نسخة الظاهرية ، وهي الصواب ، ولكن رواية النسخة الأخرى التي اعتُمدت أصلاً : «نهيل» باللام .

– الخبر (١٢٠) وفيه : «حليلتي» وهذه رواية النسخة الظاهرية ، ولكن رواية النسخة الأخرى الأصل : «خليلتي» بالمعجمة .

– الخبر (١٢٦) وفيه : «تحدّثوا» ورواية الظاهرية : «فتحدّثوا» وأظنها الأنسب لسياق الكلام .

– الخبر (٢٨٨) وفيه : «فما إن ينزعون بيوم خير» وقد زاد على الأصل : «إن» وهي زيادة ضرورية ، ولكنه لم يشر إليها .

– وفي نسخة الظاهرية بعد الرقم (١٢٧) خبر لم يرد في النسخة الأخرى المعتمدة ، وأوله : «حدثني أبو بكر بن سهل .. » وفيه شعر لحاتم طيء ، ولم يثبت المحقق هذا الخبر من النسخة الأخرى ، ولم يشر إليه .

اسم الكتاب

وفي النفس شيء من الاسم الذي اختاره المحقق للكتاب وهو «الإشراف في منازل الأشراف» لأن جميع المصادر (٢) التي أشارت إلى الكتاب أو نقلت عنه نقولاً سمته «الأشراف» فقط إلا نسخة تشستربتي التي اعتمدها المحقق أصلاً لتمامها ، وأما نسخة الظاهرية فقد حملت اسم «الأشراف» في آخر جزئها الأول ، وعلى الصفحة الأولى من الجزء الثاني وفي نهايتها ، كما حملت نسخة تشستربتي نفسها هذا الاسم في نهايتها ، ولم يرد اسم «الإشراف في منازل الأشراف» إلا على صفحتها الأولى .

ويلفت النظر أن اسم هذه النسخة ورد في فهارس دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات «الإشراف إلى منازل الأشراف » ولا ندري كيف وقع هذا الاختلاف ، كما لا ندري – على وجه القطع – أكان اسم الكتاب في الأصل – كما في نسخة تشستربتي – «الإشراف في منازل الأشراف » ثم آثر من ذكروه إيجاز هذا العنوان واختصاره ، أم كان اسمه «الإشراف» ثم أضاف الناسخ أو غيره « في منازل الأشراف» لبيان الاسم وإيضاحه ؟

ونحن نؤثر اسم «الأشراف» فهو الموجود على نسخة الظاهرية القديمة النفيسة ، وهو الذي أطبقت عليه جميع المصادر كما ذكرنا ، زد على ذلك أن تعبير «الإشراف في» لايبدو مستساغاً من الناحية اللغوية ، والأصحّ «الإشراف على» على نحو ماسمِّيت بذلك كتب معروفة ككتاب «الإشراف على مذاهب الأشراف» ليحيى بن هبيرة بن محمد ، وكتاب «الإشراف على مذاهب الأشراف» لأبي بكر محمد بن إبراهيم المعروف بابن منذر النيسابوري الشافعي وغيرهما (انظر كشف الظنون : ١٠٣) .

ملاحظات عامة

وبقيت ملاحظات أخيرة نوجزها فيما يأتي :

(١) قلّت عناية المحقق بالتوقف عند هذا الفيض الغزير من الأقوال والأخبار والأشعار التي تضمنها الكتاب ليخرج منها ولو يسيراً .

(٢) وزادت في مقابل ذلك عنايته بالتعليقات الوعظية على هذه الأقوال والأخبار في الحواشي ، مما هو بعيد عن منهج التحقيق العلمي وموضوعيته وغايته . ويكفي أن يرجع القارىء إلى نماذج من هذه التعليقات التي لا داعي لها في حواشي الصفحات (١٢٥ ، ١٥٤ ، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٢، ٢٠٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٨٢..) ليرى أيّ ضيم وإرهاق مُنِيَت بهما هذه الحواشي .

(٣) يطيل المحقق أحياناً في الترجمة للأعلام ، وقد يعيد ترجمة بعضهم مرة أخرى ، أو يشير إلى أن ترجمته مرَّت قبل قليل من غير داع ، أو لا يترجم للعلم حيث ورد أول مرة ، ويمكن الوقوف على أمثلة لذلك في الصفحة (١١٤، حاشية : ٢) والصفحة (١٢٧ ، حاشية : ٢) والصفحة (١٣٦ ، حاشية : ١) والصفحة (١٢٨ ، حاشية : ٤) والصفحة (١٣٣ ، حاشية : ١) والصفحة (١٥٩ ، حاشية : ١) والصفحة (٢٧٩ ، حاشية : ٧) وغيرها .

وأخيراً أقول : لقد أساء المحقق الفاضل إلى كتاب (الإشراف) القيم النفيس ، وإلى مصنفه الجليل ابن أبي الدنيا إساءة بالغة بهذه الطبعة السَّقيمة ، وكان ينبغي أن يوفي الكتاب وصاحبه حقهما من التقدير العلميّ ، وأن يصرف جهده إلى ضبط النص ، وإخراجه بشكل صحيح سليم، فهذه هي الغاية الأولى من التحقيق .

ويبقى هذا السِّفر الثمين في حاجة إلى طبعة علمية تستدرك ما وقع في هذه النشرة من عوار أشرنا إلى شطر منه وأمسكنا عن الشطر الآخر ، خوفَ إطالة لا يتسع لها المقام .

الهوامش

(١) الطبعة الأولى : ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

(٢) انظر على سبيل المثال :

سير أعلام النبلاء : ٤٠١/١٣ ، المزهر : ٣١٥/٢ ، كنز العمال : ٧٧٧/٥ (الحديث رقم ١٤٣٥٧) بروكلمان : ١٣٢/٣ (الترجمة العربية) الذيل : ٢٤٨/١ (الطبعة الألمانية) معجم مصنفات ابن أبي الدنيا للدكتور صلاح الدين المنجد : ٥ ، دائرة المعارف الإسلامية :٧٢/١ ، فهرس مخطوطات الظاهرية (حديث) : ٩ ، فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية : ٨٧٧٠ أدب ، فهرس معهد المخطوطات : ٤١ تاريخ ، مخطوطات تشستربتي : ٤٤٢٧ .

تطبيقات الحاسوب التربوية

بقلم : مجموعة من الخبراء العرب والاجانب

صدر عام ١٩٨٨م عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

ياسر الفهد

تطبيقات الحاسوب التربوية ، مجموعة من الخبراء العرب والأجانب . - الرباط : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ١٩٨٨م .

تضمن الكتاب عدة دراسات هامة ومتخصصة سبق أن قُدمت في ندوة علمية عقدت برعاية المنظمة في الرباط في عام ١٩٨٧م . وأعدَّ الدراسات عدد من المختصين العرب والأجانب ، منهم علي القاسمي وعبدالرحمن رضا ومحمد رجب الجابري وصبحي سعيد وإبراهيم العبدالله وأحمد الأخضر غزال وآرثر وايت وروبرت بنسون وغيرهم .

ويدور الكتاب حول إدخال الحاسوب إلى مدارس الدول الإسلامية وإدماجه في التعليم الابتدائي والثانوي ، وذلك انطلاقا من القناعة بأن التعليم يجب ألا يبقى مجرد تكيف وتلاؤم مع الأوضاع الجديدة ، بل لابد من وضع سياسات تربوية تؤدي إلى التغيير الموجه لصالح المجتمع ، ولما كان عصرنا الحاضر ، كثيرا مايوصف بأنه عصر ثورة المعلومات أو عصر الحاسوب الآلي ، فقد عمل المخططون التربويون منذ فترة طويلة على استثمار المنجزات المعلوماتية في المجال التربوي . ويعرِّف الكتاب علم المعلوميات (*) بأنه {علم يعالج بصفة عقلانية وبواسطة آلات أوتوماتيكية المعلومات بوصفها أساس المعرفة والتواصل في الميادين التقنية والاقتصادية والاجتماعية } . ومن المعروف أن حل المشكلات في مختلف المجالات ، العلمية منها أو التربوية أو غيرها ، يعتمد على كيفية معالجة المعلومات . وأحسن أداة لمعالجة المعلومات هي الحاسوب . وهذا مايجعل استخدامه في حقل التربية مهما ومفيدا ، ولاسيما أن ثمنه أصبح في متناول اليد كما أن تصميمه بات يلائم حاجات الطلاب المدرسية ويساير قدراتهم الإدراكية .

وتعاني الدول النامية ، ومن بينها الدول الإسلامية من نقص في الموارد البشرية والتقنية اللازمة لتطبيق المعلومات في الميدان التربوي . وقد بدأت هذه الدول تعي هذا الأمر ، وشرع الكثير منها في تطبيق برامج هامة في مجال الاستخدام التربوي للحاسوب .

ويبين الكتاب أن الأبحاث حول الحاسوب كانت قد بدأت منذ الخمسينات ضمن إطار التعليم المبرمج الذي يتم بتحضير الدروس تحضيرا علميا بواسطة آلة تعليمية يتلقى التلميذ الدرس منها مباشرة وفقا للطريقة التي يصممها واضع الدرس . وقد تدعم التعليم المبرمج بعد إدخال الحواسيب المصغرة ذات الحجم الضئيل والسعر المنخفض . ومنذ الستينات بدأت الدول الصناعية الكبرى في استخدام الحاسوب في جميع مجالات الحياة ، بما في ذلك المجال التربوي . أما في الدول العربية فقد تأخر استعمال الحاسوب في التربية حتى الثمانينات . ويتجلى هذا الاستعمال في التطبيقات التربوية التالية :

(أ) **في حقل الإدارة المدرسية** : مثل حفظ ملفات الأطفال وسجلاتهم ، وتصحيح الاختبارات ، واستخلاص المؤشرات الإحصائية ،وكتابة التقارير المدرسية وغير ذلك.

(ب) **في عملية التعليم** : كما في سرد المعلومات ، وطرح الأسئلة ، وإعطاء التمارين ، وتصحيح بعض نواحي الضعف عند الطلاب .

(ج) **في المحاكاة** : ويتجلى ذلك في عدة أمور مثل تمثيل الظواهر المختلفة بواسطة خلق نماذج منطقية لها ، مما يؤدي إلى توفير في الأجهزة والمواد ، وكذلك تمثيل الفترات الزمنية الطويلة بدقائق أو ثوان قليلة .

(د) الجمع بين الحاسوب والتسجيل المرئي مما يعني تدريسا مرئيا ومسموعا يؤدي إلى ترسيخ أفضل للمعلومات في أذهان الطلاب .

(هـ) تخزين المعلومات وسرعة استرجاعها ، تحقيقا لتخزين أكبر كمية من المعلومات ضمن أصغر مساحة .

ويرسم لنا الكتاب ملامح سريعة عن واقع الاستعمال التربوي للحاسوب في عدد من الأقطار العربية والإسلامية مبينا أن نصف الدول الإسلامية تقريبا تستخدم الآن الحاسوب في مدارسها الثانوية ، ففي عام ١٩٨٥م بدأت المملكة العربية السعودية في تخصيص مقررين للمرحلة الثانوية ، أولهما مقرر (مقدمة الحاسبات) ، وثانيهما مقرر (مدخل للبرمجة) . وهناك مقرر ثالث باسم (برمجة الحاسبات ومقدمة لنظم المعلومات) . وهذا المقرر إجباري لفروع العلوم الإدارية والإنسانية ، واختياري للفروع الأخرى وتعمل وزارة المعارف على جعل دراسة الحاسوب إلزامية في أكبر عدد من المدارس السعودية ، ضمن خططها المستقبلية . واللغة المستعملة الآن في البرمجة هي اللغة العربية ، وذلك حتى لايحول جهل الطالب باللغة الأجنبية دون تعلم الحاسوب . ويتم اختيار مدرسي مادة الحاسوب من بعض خريجي كليات وأقسام الحاسوب في الجامعات ، ومن بعض أساتذة الرياضيات بعد تدريبهم على استخدام الحاسوب والبرمجة في معهد الإدارة العامة ثم في جامعة الملك سعود .

أما في العراق فقد تم استخدام الحاسوب في وقت مبكر ، إذ أن كلية الهندسة في جامعة بغداد شرعت في استعماله منذ عام ١٩٦٨م ثم حذت باقي الجامعات العراقية حذوها . وفي عام ١٩٧٧م أُدخل الحاسوب إلى بعض المدارس الابتدائية (الصف السادس) ثم إلى بعض المدارس المتوسطة (الصف الأول) في عام ١٩٨٣م . ويجري اليوم تدريس مادة (المعلوميات) في كثير من المدارس الثانوية العراقية . أما الحاسوب فيتم تدريسه بوصفه مادة علمية ، كما يُستخدم وسيلة تعليمية مساعدة ، في آنٍ واحد .

وفي الكويت بُدئ منذ عام ١٩٨٥م بتطبيق برنامج يتضمن إدخال الحاسوب إلى المدارس الثانوية وتدريب الطلاب على استخدامه وبرمجته . وتعمل الحكومة على توفير فصل خاص للحاسوب في كل مدرسة من المدارس الثانوية ، وفي جميع أنحاء الكويت . ويتضمن البرنامج أيضا إجراء دورات تدريبية لأساتذة الحاسوب .

أما في الأردن ، فقد شرعت مدرستان ثانويتان في عمان منذ عام ١٩٨٤م بتدريس مادة الحاسوب . ثم شمل التطبيق ست مدارس ثانوية أخرى ثم ثمان . وهناك الآن خطة للتوسع في التجربة ولإجراء دورات تدريبية على الحاسوب واستخدامه وسيلة تعليمية مساعدة أو مادة علمية للتدريس في وقت واحد .

وفي قطر أنشئ قسم للحاسوب ضمن إدارة التقنيات التربوية في سنة ١٩٨٥م . وبعد ذلك بعام بدئ في استخدام الحاسوب في إدارات المدارس الثانوية والإعدادية ، ثم في الإبتدائية . ويجري العمل اليوم على إنشاء مركز للحاسوب في كل مدرسة ثانوية في قطر ، على أن يكون انضمام الطلاب إلى هذا المركز طوعيا لا إلزاميا . ويقوم المركز بتقديم معلومات عن الحاسوب ومعالجة المعلومات وكذلك بالتدريب على تشغيله وممارسة البرمجة وغير ذلك.

وفيما يتعلق بالبحرين ، فقد أصدرت وزارة التربية في عام ١٩٨٣م قرارا بإدخال تجربة الحاسوب في المرحلة الثانوية . وبدأ العمل في ذلك في عام ١٩٨٥م ، ويجري اليوم تدريس مادة الحاسوب في ٣٠٪ من المدارس الثانوية البحرينية كمادة اختيارية . وهناك تخطيط للإفادة من الحاسوب في تقديم برامج تعليمية خاصة للمعوقين وللمتفوقين على السواء .

أما في المغرب ، فإن الحاسوب يستعمل اليوم على نطاق واسع في التعليم العالي ، ولاسيما في كليات العلوم ولكنه لايُستخدم في المدارس الثانوية ، إلا ضمن حدود ضيقة ، إذ أن عدد المدارس التي تستعمله لا يتجاوز (٣٧) مدرسة .

وفي ماليزيا تم إدخال المعلوميات المدعومة بالحاسوب إلى المدارس منذ عام ١٩٨٦م بطريقة تدريجية . كما أنشئ المعهد الماليزي للنظم الميكروألكترونية الذي يعتمد بصورة خاصة على الحواسيب الصغيرة .

وهناك أيضا الباكستان التي بذلت جهودا كبيرة منذ الثمانينات لإدخال الحاسوب إلى الوسط المدرسي مبتدئة بمدارس كراتشي ولاسيما مدرسة الآفاق الجديدة التي تطبق برامج هامة في التعليم الإفرادي المبرمج واستخدام الحاسوب في حل مشكلات المتعلمين . ويقدم لنا الكتاب ، أخيرا ، بعض التوصيات الهامة التي يحسن بالدول الإسلامية أن تأخذ بها ، وأهمها :

(١) ضرورة إدخال هذه الدول الحاسوب إلى مدارسها ، ووضع هدف محو الأمية المعلوماتية ضمن أهداف خططها التنموية .

(٢) الإفادة من خبرات الدول المتقدمة في تطبيقات المعلوميات التربوية .

(٣) العمل على توفير العناصر البشرية الوطنية المتخصصة في تقنية الحاسوب ، وعلى وضع معايير أساسية ودقيقة لاختيار التجهيزات الفنية وحسن صيانتها

(٤) تبادل الخبرات ونتائج التجارب في مجال الحاسوب بين الدول الأعضاء .

(٥) الاهتمام بإعداد وتدريب المدرسين في أثناء الخدمة وتعريفهم بالحاسوب واستخداماته .

(٦) تدريب الأطر الإدارية على استخدام الحاسوب في الإدارة المدرسية .

(٧) ضرورة إدخال الحاسوب في مجالات التخطيط والمناهج والبحوث التربوية .

وبعد ، ففي الوقت الذي تزداد فيه النفقات التربوية بسبب ازدياد أعداد الطلاب المسجلين وما ينجم عنه من الحاجة إلى المزيد من الصفوف والمعلمين واللوازم المختلفة ، وفيما تواجه كثير من الدول النامية كسادا اقتصاديا وعجزا ماليا وديونا ثقيلة ، يصبح من الضروري إيجاد الوسائل الكفيلة بتحسين العملية التعليمية وزيادة كفاءتها في حدود الإمكانات المالية المتاحة ، وإحدى الطرق البارزة في هذا المجال التوسع في استخدام التقنية التربوية ، ويعد الحاسوب أداة تقنية فعالة رخيصة الثمن نسبيا ومتعددة الاستعمالات ، وملائمة لمستويات الطلاب .

ومن هنا تتكشف لنا أهمية هذا الكتاب الذي صدر برعاية منظمة إسلامية ذات سمعة علمية عالمية ، وهي منظمة الأسيسكو . وكان يمكن للكتاب أن يكون أشمل فائدة لو أنه غطىّ تطبيقات الحاسوب التربوية في جميع الأقطار العربية والإسلامية ، دون استثناء .

هامش :

(*) المعلوميات : أي المعلوماتية وعلم المعلومات .

مقومات الشخصية المسلمة أو (الإنسان الصالح)

لماجد عرسان كيلاني

عباس عبدالحليم عباس

كيلاني ، ماجد عرسان / مقومات الشخصية المسلمة .- الدوحة ، رئاسة المحاكم الشرعية ، ١٤١١هـ (كتاب الأمة)

كتاب ذو صبغة فكرية تربوية شاملة ، يقدم جزيئات مكثفة تصلح الواحدة منها لإقامة بحث فكري تربوي مستقل، وفكر هذا المؤلف يمثل استيعاباً دقيقاً لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فضلاً عن الفهم الوظيفي لهذه الأحكام . ويجد القارىء فيه تنوعاً وشمولاً يصدران عن إدراك واع لمدى ارتباط العملية التربوية بالحياة العامة وبميادينها المختلفة ، سياسية ، وتاريخية ، واجتماعية ، ودينية ، وهو لا يتناول هذه الميادين بالشرح والتفصيل فحسب ، إنما بالنقد والتحليل أيضاً .

تقديم :

هذا الكتاب فاتحة للفكر التربوي في سلسلة كتاب الأمة ومؤشر على البدء بطرح المسألة التربوية جنباً إلى جنب مع المسألة الثقافية كما يقول عمر حسنة في تقديمه المطوّل ، الذي يؤكد فيه أهمية المشروع التربوي ، وخطورة المسألة التربوية وضرورتها لمجتمعنا المسلم ، ويرى عمر حسنة أن أمريكا التي تنفرد بقيادة العالم اليوم ، عندما سُبقت إلى الفضاء من قبل الاتحاد السوفياتي ، اعتبرت السبب «فساد نظامها التربوي التعليمي ، وعجزه عن إخراج المبدعين» . والتوهم أن التربية الإسلامية حدودها كتاب التربية الإسلامية المدرسي هو بحد ذاته سبب من أسباب الخلل الذي تعاني منه تربيتنا .

فمن أجل الوصول بالنظرية التربوية إلى مستوى من النضج الحقيقي ، طرح مقدم الكتاب فكرة رائدة في مجالها حين قال : «لابد من علم لأصول الفقه التربوي في الإسلام» وهذه خطوة جديرة بالبحث والتطوير ، لأنها كفيلة بأن تمنحنا القدرة على استنباط الأحكام التربوية للمشكلات المتجددة مما يلائم كل زمان ومكان حسب الحاجة ، وحقيقة إن غياب هذا العلم ربما كان سبباً في سيادة النظرة الجزئية المفتقرة إلى الشمولية والتوازن في مؤسساتنا التربوية عموماً . ومن أجل صياغة فكر تربوي إسلامي قويم يجب أن نوفق بين كثير من الثنائيات التي يخالها البعض متناقضة كالعقل والنقل ، وغير ذلك مما يخص قضايا العلم والحرية ، والرجل والمرأة ، والسلطة المعصومة وغير المعصومة ، والفرد والجماعة ، والبيئة ، والمواريث الثقافية وغيرها .

المدرسة الإسلامية والمقومات الرئيسية للشخصية الإسلامية :

يقرر الكيلاني في بداية كتابه أن الإنسان المسلم هو غاية المدرسة الإسلامية ، وأن العمل الصالح بمستوياته كلها هو غاية هذا الإنسان ، إن مفهوم (العمل الصالح) تتكامل مظاهره الدينية والاجتماعية والكونية بحيث تفقد قيمتها في معزل عن هذا التكامل ، فضلاً عن أن هذا العمل يتجاوز البعد الخيري النفعي إلى البعد المقاوم لكل قوى الشر ، بحيث يصبح المسلم صالحاً مصلحاً في آن ، وفي القرآن الكريم إشارات إلى أن الأمة الصالحة أقل حصانة من الأمة الصالحة المصلحة (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) «هود : ١١٧» .

ولكي تكتمل جوانب العمل الصالح يجب أن يتصف بأنه أخلاقي أولاً ، ناجح ثانياً ، نفعي ثالثاً ، وهذا بالطبع لا يتم دون إعداد وتدريب ، وتوفير بيئة ومؤسسات ، ووسائل وأساليب ، فالسؤال ، إذن ، كيف تعمل التربية على إخراج الإنسان الذي يقوم بالعمل الصالح بكفاءة عالية ؟

للإجابة على هذا خصص المؤلف ما تبقّى من كتابه ، بحيث يمكن القول : إن الصفحات القادمة كلها إجابة مطوّلة ومفصّلة عن هذا السؤال ، وقد تمثلت هذه الإجابة بالنقاط التالية :

أحكام تربية القدرات العقلية (وظيفة العقل) :

قام المؤلف بتصنيف القدرات مشيراً إلى ما ورد في القرآن كقدرة العقل ، والتأويل ، والفقه ، والتدبّر ، والنظر ... وغير ذلك . ولكي نستفيد من هذه القدرات يجب أن نصل إلى منهج سليم للتفكير ، وهو ما حدده الكيلاني بثلاثة مكونات ، هي : خطوات التفكير ،

وأشكاله ، وأنماطه .

فخطوات التفكير : هي خطوات التفكير العلمي في التربية الحديثة ، والإسلام يشدّد على ضرورة الالتزام بهذه الخطوات والالتزام بتطبيقها ؛ لأن الحياد عنها مآله الانحراف (ولا تقف ما ليس لك به علم ....) «الإسراء : ٣٦ و.. (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) «الحجرات : ٦» .

أما أشكال التفكير فتشمل :

(أ) التدريب على النقد الذاتي (قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) «الأعراف : ٢٣» بدلاً من التفكير التبريري الذي يعد ضرباً من أضرب التفكير الإبليسي .

(ب) التدريب على التفكير الشامل لا الجزئي .

(ج) التدريب على التفكير التجديدي لا التقليدي (لايكن أحدكم إمعة ...) «الحديث» .

(د) التدريب على التفكير العلمي بدل الظن والهوى (إن الظن لا يغني من الحق شيئا) «النجم : ٢٨» .

(هـ) التدريب على التفكير الجماعي بدل الفردي .

(و) التدريب على التفكير السنني بدلاً من الخرافي والخوارقي .

أما أنواع التفكير ، فقد توزّعت على أربعة هي : المنطقي التحليلي ، والتجريبي ، والأخلاقي ، والجماعي ، وقد حاول المؤلف – بناء على هذه الأنواع – أن يشرح لنا كيفية تنمية القدرة على التفكير ومنهج التفكير السليم ، فأكّد ضرورة التفاعل مع عناصر الكون القائم ، والأحداث الجارية فيه ، مع مراعاة أن القدرات العقلية تولد كامنة في الإنسان ، تنمو بالرعاية ، وتموت بالإهمال ، وأنها ذات صبغة لا نهائية .

ولمّا كان للبيئة دور كبير في الفكر التربوي الحديث ارتأى الكاتب أن ثمة بيئة لازمة تتطلبها عملية تنمية القدرات العقلية المشار إليها ، وأبرز سمات هذه البيئة : [الحرية ، ثم الممارسة والتدريب على التفكير الحر] . فالحرية بقسميها : حرية التفكير ، وحرية الاختيار ، يجب ألا تقيدها إرادة مخلوقة ، وألا تخرج عن سنن الكون ، والخالق في الوقت نفسه . أما مسألة الممارسة فهي جديرة باهتمام الباحثين ، والمربين ، لا سيما وأن الإسلام يخصص أجرين للمصيب ، ولا يحرم المخطئ أجره في مجال العقل والتفكير . وهنا يقدم المؤلف انتقاداً خفياً للأنظمة التربوية الشاملة أو الضيقة التي تنحصر بسلطات المعلم الذي يمارس نوعاً من (الدكتاتورية) على الطالب ويطالبه بالتقليد الأعمى والأبائية الصنمية ، الأمر الذي لا يعوق تنمية القدرات العقلية فحسب ، وإنما يعوق السياسة التربوية بوجه عام .

ويرى أيضاً أن الحرية في الغرب تعاني أزمة حادة ممثلة في أمرين : الأول : بالرغم من أن إرادة الفرد لا تقيّد حرية الإنسان إلا أن الإنسان يصطدم بسنّة الخالق كما هو الحال في الفوضى الجنسية . والثاني أن المؤسسات التربوية والثقافية توفّر له حرية التفكير لكنها تسلب منه حرية الاختيار بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال توجيهه بوسائل المعرفة المختلفة ، ولا سيما وسيلة الدعاية والإعلان بأدواتها المختلفة . لقد حاول المؤلف أن ينقل لنا صورة تنمية القدرات العقلية عند المؤسسات التربوية الإسلامية قديماً وحديثاً ، فوجدها قائمة على الاستماع والقبول ، ثم التصوّر والفهم ، ثم التحليل والاستدلال ، وأخيراً العمل والنشر . وخرج بنتيجة مفادها أن القدماء وقفوا عند العناية بالقدرة على الحفظ وقللوا من شأن بقية القدرات العقلية . كما أن التربية الحديثة ، المستمدة من النمط الأوروبي تهمل هذه القدرات أيضاً لأسباب متنوعة ، ويمكن القول : إن الآثار السلبية لقصر العملية التربوية على الحفظ والاستظهار تتمثل بإضعاف القوة على المناقشة ، والتحليل ، والتطبيق ، والإحساس بالنقص إزاء المثلين الماضي والحاضر ، ومن ثم عدم القدرة على الاستفادة من الخبرات العملية والاجتماعية بمختلف الميادين . وأخيراً من الإنصاف القول : إن علم النفس الحديث الذي نشأ على أيدي الغربيين قد خطا خطوات جيدة في ميدان البحث المتعلق بالقدرات العقلية لدرجة أن بعض الأبحاث استطاعت أن تصل إلى ما مفاده أن ٩٠٪ من العقل الإنساني لمّا يستعمل بعد .

وفي حديثه عن علاقة الفرد (بالمثل العليا) وتربيته على تعشقها أوضح المؤلف أن (المثل الأعلى) يعني : نموذج الحياة التي يراد للفرد المسلم أن يحياها ، وللأمة المسلمة أن تعيش طبقاً لها . وهذا النموذج حدده الخالق عزّ وجلّ . لقد تبيّن أن لهذا المثل مستويات ثلاثة ، أعلاها مثل أعلى هدفه الارتقاء بالنوع الإنساني ، وأوسطها هدفه الإبقاء على النوع البشري ، وأدناها هدفه تلبية حاجات الجسد البشري . وتكون أكمل صورة له عندما تتضافر المستويات الثلاثة ، وهو ما تقدمه التربية الإسلامية من تصوّر شامل للكون والحياة والإنسان .

أما في مجال تنمية الخبرات (الدينية ، والاجتماعية ، والكونية) عند الفرد ، فإن الخبرة عمل ، وأثر يتركه هذا العمل في نفس الإنسان ، علماً بأن الخبرة ذات عنصرين : عقلي ومادي ، يتمثلان في العلم والعمل المنتجين من خلال استعمال المعلومة والأداة معاً ، وإلا ينطبق قوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ...) «الأعراف: ١٧٩» . والتفكير هو أوّل سمات الخبرة المربية لحل المشكلات القائمة ، أو تقديم مشروع للانتفاع بالأحداث الجارية ، سواء أكانت هذه الخبرة (كونية) تبحث العلاقة

بين الكون والإنسان ، أم (اجتماعية) ويكون الإنسان محورها ، أو (دينية) توجّه مسيرة الاجتماع البشري وترشدها ، وقد صنف (ماسلو) الخبرات الدينية في القمة أو ما أسماه (Peak Experience)

تربية الإرادة عند الفرد :

يُعرِّف الكاتب الإرادة عند الفرد بأنها : قوة الرغبة والاختيار التي توجّه الإنسان ، ولهذه القوة مستويات أساسية ، وأخرى فرعية : فالأولى تتمثل بإرادة الإنسان للغذاء والزواج والعقيدة والقيم ، والأخرى ذكر منها القرآن الكريم عدداً ، كإرادة الإحسان والإصلاح ، والهدى ، والنصح ، والتواضع .. وغير ذلك مما ورد ذكره . وقد ركّز المؤلف على ضرورة أن تأخذ كل إرادة حجمها الخاص بها ، ولا تطغى على غيرها ، ولا شك أن كل هذه الإرادات قابلة للنمو والنضج للوصول إلى المثل الأعلى ، وذلك وفق شروط خاصة بهذا النمو ، مثل شرط نمو القدرات العقلية ، وتوفير البيئة المناسبة ، والاستمرار في عرض المثل الأعلى ، وتحرير الفرد من الموروثات التي تخالف هذا المثل ، وعلى العكس يمكن لهذه الإرادات أن تفقد أو تضعف في حالة نقص الشروط السابقة .

تنمية القدرة التسخيرية :

وهي القدرة على اكتشاف قوانين الخلق في الكون والنفس ، وتفاعل القدرات العقلية معها ، وقد حثّ القرآن الكريم على اكتشاف هذه القوانين التي أسماها (السنن) ، فاستطاع الإنسان أن يسخّر كثيراً من مخلوقات الأرض وكنوزها لمنفعته ، وثمة تناسب بين قدرة الإنسان التسخيرية وسعة خبرته المربية وهو تناسب طردي ، الأمر الذي يجعل الفرد المسلم دائم التفكير في خلق السماوات والأرض وما فيها من كائنات ، وهو ما يقود إلى الانتفاع والإيمان معاً (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ) «فاطر : ٢٨» .

كما يرى المؤلف أن الإرادة العازمة والقدرات التسخيرية في تربية الفرد مما يؤدي إلى العمل الصالح ، غير أن التربية في الأقطار المتقدمة تعاني قصوراً واضحاً في ميدان تربية (الإرادة النبيلة العازمة) مما أدّى إلى فقدان الثقة بالمثل الأعلى ، وهذا ما يفسّر التوجه المادي للتربية ومن ثم معاناة الاغتراب .

مشكلة تربية الفرد في أهداف التربية الحديثة :

يوضح الكيلاني مظاهر التربية الحديثة في بلورة (أهداف تربية الفرد) ويجملها فيما يلي :

١ - تضييق مفهوم العمل الصالح وحصره بالإنتاج المادي ، وإيجاد الفرد المنتج – المستهلك ، دون اهتمام بما يتعلق بإنسانية الإنسان ورفعته وأخلاقه ، وتهمل الدراسات الدينية إهمالاً يكاد يكون كاملاً . بينما تركّز الثقافة الإسلامية على ثقافة القيمة .
٢ - تدني مستوى المثل الأعلى إلى مستوى المحافظة على (الجسد البشري) .
٣ - حصر الإرادة في مستوى الرغبات والشهوات .
٤ - حصر الخبرات بالكونية والاجتماعية دون الأخلاقية والدينية .
٥ - حصر القدرات بالعقلية والجسدية دون الأخلاقية .

إن أزمة تربية الفرد في المؤسسات التربوية القائمة في الأقطار العربية والإسلامية تتمركز فيما يلي :

أ - انحسار مفهوم العمل الصالح وحصره في ميادين العبادة والأخلاق الفردية ، مما أدى إلى شيوع الجبرية والكسل وأحدث تناقضاً بين السلوك الفردي والجماعي والعناية بالغايات دون الوسائل ، مما صيّر الأهداف مثاليات غير قابلة للتطبيق ، وشوّه المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالعمل الصالح ، كأن يصبح معنى (الصبر) الصبر على الظلم بدلاً من أن يكون صبراً في مواجهة هذا الظلم وصموداً أمامه .
ب - غموض نموذج المثل الأعلى .

أما أزمة المؤسسات الحديثة فتتمثل في :

أ - حصر مفهوم العمل الصالح في القدرات والمهارات المادية مما أدى إلى انفلات من القيم وضعف في الانتماء.
ب - اضطراب مفهوم المثل الأعلى .

وأخيراً ينهي الكيلاني كتابه بالخاتمة والتوصيات التالية:

١ - ضرورة وجود مؤسسة تنظير (أو اجتهاد) تربوي .
٢ - إقامة مختبر التطبيقات التربوية .
٣ - توفير فرص التكامل المحكم الشامل بين مؤسسة التنظير ومؤسسة التطبيقات .
٤ - مراعاة قدرات الحكمة النظرية والعملية مما يرفع منزلة الاجتهاد التربوي عند الفرد والجماعة .
٥ - توفير الفرصة كاملة للمؤسسات التربوية المقترحة للاطلاع على ما يجري في حارات (قرية الكرة الأرضية) وأنحائها كافة من تجارب تربوية في التنظير والتطبيق .